وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة يحي فارس بالمدية
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم: التّاريخ والآثار

السُّلطة المعرفية وأثرها في البناء الاجتماعي والسياسي ببلاد الأندلس في عهد الموحدين(541هـ- 668هـ/1146م- 1269م)

أطروحة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الدكتوراه الطور الثالث، نظام (ل.م.د)،
في التاريخ، تخصص: تاريخ وحضارة الغرب الاسلامي في العصر الوسيط

إعداد الطالب: إشـــــــــــــراف:
بن علية قراني أ.د/ توفيق مزاري عبد الصمد

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الدرجة العلمية	المؤسسة الجامعية	الصفة
موسى هيصام	أستاذ التّعليم العالي	جامعة المدية	رئيساً
توفيق مزاري عبد الصمد	أستاذ التّعليم العالي	جامعة المدية	عضو مشرفاً ومقرراً
عبد العزيز حاج كولة	أستاذ محاضر " أ "	جامعة المدية	عضواً مناقشاً
بغداد سحيري	أستاذ محاضر " أ "	جامعة المدية	عضواً مناقشاً
عبد القادر بوعقادة	أستاذ التّعليم العالي	جامعة البليدة	عضواً مناقشاً
عبد الجليل ملاخ	أستاذ التّعليم العالي	جامعة غرداية	عضواً مناقشاً

السنة الجامعية: 1446هـ - 1447هـ / 2025م - 2026م

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾

سورة النساء – الآية 70

الإهداء:

أهدي عملي المتواضع وثمرة جهدي إلى:

- الوالدين الكريمين أطال الله في عمرهما

- الزّوجة السند الّتي صبرت وتحملّت طيلة البحث

- الأبناء: محمّد أمين، عبد اللّطيف، سارة، ياسين بلقاسم

- الإخوة الأعزاء، رفقاء العُمر كل باسمه ومقامه.

- العائلة الكريمة كبيرها وصغيرها

- كل من علّمني حرفًا، وكان له فضلاً، معلمي وأساتذتي

– كل طالب علم ومعرفة ذا همّة وإرادة

- الزملاء والأصدقاء والأحبة

- كل عارف ومريد ومحب

رسالة شكر وعرفان

أهدي أسمى عبارات الشّكر والعرفان لكل من:

الأستاذ الدّكتور: توفيق مزاري عبد الصمد الّذي أشرف على البحث، مرافقًا ومُوجهًا، مصححًا ومصوبًا ومسدّدًا، غمرني بطول صبره، ورحابة صدره، حتى اكتمل البحث في شكله النّهائي.

الأستاذ الدّكتور: عبد القادر بوعقادة الّذي أجاد وأفاد ولم يبخل، رافق وتابع ولم يُهمل، ظلّ مُرشدًا ومُوجهًا.

الأستاذ الدّكتور: عبد الجليل ملاخ، الّذي قدّم يد العون والمساعدة، فهو المُشجّع والدّافع لانهاء البحث

أعضاء لجنة المناقشة: الأستاذ الدكتور موسى هيصام، والدكتور بغداد سحيري، والدكتور عبد العزيز حاج كولة.

اللهمّ لك الحمدُ والشُكر

المقدمة

مقدمة:

يتجلّى التّاريخ الاسلامي في الأندلس بارتباطه بطبيعة وحساسية الفترة، وانعكاساتها على مسار التّطورات الّتي عرفها هذا الجزء من العالم الاسلامي، والّتي تحتاج إلى دراسة التّجليات الأساسية لمختلف الجوانب السياسيّة والحضارية.

ولا شك أنّ السُّلطة المعرفية الممثّلة في الحكام العلماء والفقهاء والفلاسفة والمتصوّفة عهد الموحدين، قد أسهمت بطريقةٍ أو بِأُخرى في إذكاء المرحلة والتّأثير فيها بمختلف الوسائل، وبما تملكه من مكانة اجتماعية و روحيّة.

برزت السُّلطة المعرفية عهد الموحدين من خلال فرض نفسها في مختلف مجالات الحياة، ففي الميدان الثّقافي رأى المعرفي نفسه قائدًا للحياة المعرفيّة كونه منتجًا لها، فصنّف وألّف في مختلف الفنون، ممّا جعلها تخطو خطوات ثابتة، وبروز معارف أخرى كان مضيّقًا عليها كالفلسفة وغيرها، وامتّد همّه إلى التّعليم الّذي لم يدخر جُهدًا من أجل النُّهوض به وتطويره، ليُقبل على نشر المعرفة في المجالس والمناظرات العلمية، وتنشيط الحياة المعرفية بصفة عامة.

إنّ تميُّز المعرفي عن غيره، جعله ينال مكانة اجتماعية مميّزة، فتمسّكت به فئات المجتمع الأندلسي الّتي رأت فيه المنقذ والمصلح، مما دفع به إلى توظيف ما يحوزه من علوم وفنون، لتوجيه المجتمع ووقايته الانحراف الأخلاقي والفساد الاجتماعي الّذي استفحل بين أفراده.

واعتمد الحاكم الموحدي على المعرفي في بناء دولته وتسيير شؤونها، وجعله سندًا له متّى احتاج إليه، فاستعمله في الجهاز السيّاسي، ووظّفه في مختلف خطط الدّولة، واستعان به في المجال العسكري، ممّا جعل البعض من أهل المعرفة يسعى لمنافسة الحاكم أو تنحيته، للوصول إلى الحكم السياسي في إطار ما يُسمّى بالمعارضة السيّاسيّة، وإثارة الفتن والتّحريض على الحاكم، في حين لجأ البعض الآخر إلى المعارضة السّلمية، كل هذا دفع بالحاكم الموحدي إلى اتّخاذ تدابير تحدُّ من نُفُوذ المعرفي، والحدّ من طموحه الّذي يراه مشروعًا، فتعرّض للنّقد أو الاضطهاد في بعض الأحيان.

– أسباب إختيار الموضوع:

اجتمعت عدّة أسباب أدّت بي إلى اختيار موضوع السُّلطة المعرفية وأثرها في البناء الاجتماعي والسيّاسي

ببلاد الأندلس في عهد الموحدين ما بين 541هـ و668هـ/ 1146م و1269م، نذكر منها:

– الأسباب الموضوعيّة:

1. إبراز المعرفة ومكوناتها وعوامل انتشارها عهد الموحدين.
2. الوقوف على مدى تأثير السُّلطة المعرفية في ميادين الحيّاة الثّقافيّة والاجتماعيّة والسيّاسيّة في عهد الموحدين.
3. الكشف عن القوة الّتي امتلكها أهل المعرفة، خاصة في عهد الموحدين بالأندلس، وإبراز مدى فعاليتها، باعتباره الرّحى الّتي تدور عليها دواليب الحياة.
4. مواصلة البحث في الموضوع من أجل إعطاء قيمة إضافية للدّراسات الأكاديمية السّابقة.

– الأسباب الشّخصيّة:

موضوع السُّلطة المعرفية من المواضيع الهامة حسب ما أراه:

1– الرّغبة والميول الشّخصي إلى هذا النّوع من المواضيع، والبحث في تاريخ الأمة الاسلامية خاصة بلاد الأندلس، لما لها من تأثير في تطور المجتمع وحركته التّاريخية.

2– الكتابة في هذا الموضوع، وإبراز التّاريخ الحضاري للأمّة الاسلامية بالأندلس، باعتبار التّاريخ ضربان، أحدهما يهتم بالملوك والدّول والحروب والحوادث العامّة، والآخر يُبيّن أهل العلم والمعرفة، وفضلاء الرؤساء وأصحاب المقامات المحمودة، وتأثيرهم في التّطور الحضاري.

– أهمية الموضوع:

رغم الأبحاث الأكاديمية النّوعية والمتنوعة في تاريخ العدوة الأندلسية، والّتي تمثل جزءً هامًا من تاريخ وحضارة الغرب الاسلامي في العصر الوسيط، إلاّ أنّها مازالت تسير بوتيرة بطيئة في بعض المواضيع الّتي لا تزال تحتفظ بخصوبتها، أو حظيت ببعض الاهتمام في أحسن الأحوال، وخاصةً تلك المتعلقة بتأثير أهل المعرفة على الحياة السياسية والاجتماعية بالأندلس في عهد الموحدين.

ومن هنا جاءت فكرة البحث الموسوم **بالسُّلطة المعرفية وأثرها في البناء الاجتماعي والسياسي ببلاد الأندلس في عهد الموحدين ما بين 541هـ و668هـ/ 1146م و 1269م.**

– الاشكالية: وهي:

. إلى أيّ مدى أثّرت السُّلطة المعرفية في البناء الاجتماعي والسياسي بالأندلس في عهد الموحدين ؟

وعنها تفرعت أسئلة ثانوية تمَّ حصرُهَا في:

1- ما نوع المعرفة الّتي برزت في عهد الموحدين ؟ وهل اقتصرت على معرفة معيّنة أم معارف متعدّدة؟

2- ما مدى مساهمة المعرفي في المجال الثّقافي بالأندلس ؟

3- ما مدى تأثير المعرفي في الميدان الاجتماعي بالأندلس ؟

4- بماذا تميّزت العلاقة القائمة بين المعرفي والسيّاسي في عهد الموحدين، وماذا ترتّب عنها؟

– الدّراسات السابقة:

من بين الدّراسات السّابقة الّتي تناولت بعض جوانب هذا الموضوع، والّتي لا يمكن الاستغناء عنها نذكر منها:

1- حيدر علي حول القريشي، تطوُّر الحركة الفكرية في عهد الموحدين (541هـ- 610هـ/ 1146م- 1213م): تقاطعت مع البحث المتناول في بعض الجوانب الّتي أدّت إلى تطوّر المعرفة عهد الموحدين، ودور الحكام في ذلك، مع إبراز المراكز العلميّة خلال الفترة المدروسة.

2- رقية بن خيرة: الآفات الاجتماعية في الأندلس ما بين القرنين الخامس والسّادس الهجريين (ق11- 12م)- دراسة في ظاهرة الانحراف: استفدت منها في رصد مظاهر الانحراف المنتشرة في المجتمع الأندلسي زمن الموحدين.

3- عقيلة عومري، جدل السُّلطة العلميّة والسيّاسيّة في التّجربتين المرابطيّة والموحّديّة (445هـ- 668هـ- 1053م- 1269م): استثمرتها في الجانب السياسي منها، وتوضيح العلاقة بين أهل المعرفة والحكام الموحدين، والقائمة على التّجاذب والتّنافر، والتأثير والتّأثُّر، والائتلاف والاختلاف.

4- لخضر بولطيف، فقهاء المالكيّة والتجربة السيّاسيّة الموحدية في الغرب الإسلامي (510هـ-668هـ/ 1116م- 1269م): يتقاطع مع الموضوع المبحوث فيه في الجانب السيّاسي، موضّحًا العلاقة القائمة بين الحكام الموحدين والفقهاء باعتبارهم مكوّن أساسي للسُّلطة المعرفية، ومعرفة تجليات الفقهاء الدّاعمين للحاكم من خلال تولي المناصب السيّاسيّة من جهة، والفئة المعارضة له من جهة أخرى.

5- مثنى فليفل سلمان الفضلي، الحياة الاجتماعية في الأندلس خلال القرنين الخامس والسّادس الهجريين: استعنت به في معرفة تركيبة المجتمع الأندلسي عهد الموحدين، والمظاهر الاجتماعية المنتشرة خلال هذه الفترة.

6- نجادي بوداعة، تطور الحياة الفكرية ببلاد المغرب الاسلامي في عهد الدولة الموحدية: تقاطعت مع البحث المدروس زمانًا ومكانًا، وانتفعت بها في إبراز مجهودات الحكام العلماء في انتشار المعرفة، وواقع التّعليم منهجًا وطرقًا، وأماكن التّدريس، مما أدّى إلى تطوّر الحركة الثّقافيّة.

المنهج المتبع في الدّراسة:

للإجابة عن اشكالية البحث والأسئلة المتفرعة عنها، اعتمدت على **المنهج التاريخي**، بالرجوع إلى استغلال المادة التاريخية المتوفرة من مصادر ومراجع ونقدها، مستعملاً المقارنة والنّقد والتّحليل لتناول الموضوع المبحوث فيه، كُلُّ ذلك للوصولِ إلى الحقيقة التّاريخيّة قدر الامكان، وإبراز الدّور الايجابي للمعرفي من حكام علماء وفقهاء ومتصّوفة وفلاسفة في المجالات الثّقافيّة والاجتماعيّة والسيّاسيّة.

الخطة المعتمدة في البحث:

للإجابة على إشكاليّة البحث والأسئلة المتفرعة عنها، تمّ رسم خطّة تقوم على أساس التدرّج والانتقال من مرحلة لأخرى لأجل التّحكم في الموضوع الواسع في نظري، والّذي يجب إيضاح الكثير من معالمه من خلال تقسيمه إلى مقدّمة وأربعة فصول أساسية هي:

. **مقدمة** : وضّحت فيها الاشكالية الأساسية للموضوع والأسئلة المتفرّعة عنها، وأهميّة الموضوع وأسباب اختياره وأجزائه، ومنهجية تقديمه، مع ذكر الدّراسات السّابقة، وعرض أهم المصادر والمراجع .

. **مدخل مفاهيمي**: تمّ ضبط المصطلحات المتعلقة بالموضوع، باعتبارها كلمات مفتاحية يقوم عليها البحث، وهما مصطلحا السُّلطة والمعرفة.

. **الفصل الأول**: وضحت فيه المعرفة عند الموحدين، ودور محمد المهدي بن تومرت في بناء معرفة جديدة الهدف منها بناء دولته الجديدة، والعوامل التي أدّت إلى انتشارها، مبرزًا الفئات الّتي كان دور في ازدهارها من حكام وفقهاء ومتصوفة وفلاسفة.

. **الفصل الثاني**: تطرقت فيه لتأثير السُّلطة المعرفية في الميدان الثقافي، من خلال مؤلفات أهل المعرفة في المجال الديني وعلمي الفلسفة والتّصوف، ونشاطها في مجال التّعليم، ودورها في المجالس والمناظرات العلمية.

. **الفصل الثالث:** عالجت فيه التّأثير الاجتماعي للسُّلطة المعرفية في عهد الموحدين، وإبراز تركيبة المجتمع الأندلسي، ودورها في إصلاح المجتمع، ومعالجة قضاياه المختلفة، وقيامها بالأعمال الخيرية.

– الفصل الرّابع: تناولت فيه علاقة التّأثير والتّأثر بين السياسي والمعرفي، ووضحت فيه اعتماد الحاكم الموحدي على المعرفي في بناء دولته، ليستغل المعرفي تلك المكانة في منافسة الحكام والقيام بالثورات ضدهم، لكن الحاكم الموحدي لجأ إلى التّضييق على المعرفي والحد من نفوده.

– عرض أهم المصادر والمراجع :

– المصادر:

إنّ الفترة المبحوث فيها غنية بالمصادر والمراجع، خاصةً تلك الّتي كان أصحابها قريبين من بلاط الحكام الموحدين أو ممن عايش الأحداث في زمنها، ومن أهمّ مصادر الفترة الّتي أفادتني في الدّراسة، نذكر:

– كتب التّاريخ العام:

1- أبو بكر بن علي الصنهاجي المكنى بالبيدق (ت القرن 06/ 12م)، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين: يُعد مؤلفه أحد طلبة محمد المهدي بن تومرت، وضّح من خلاله جهود ابن تومرت في بناء معرفة جديدة ببلاد المغرب، والتي تبناها خلفاؤه من بعده، وكان لها الأثر في الميادين الثقافية والاجتماعية والسياسية في بلاد المغرب والأندلس معا.

2- ابن أبي زرع الفاسي (كان حيًّا 726هـ/ 1325م)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس: تناول التّاريخ السيّاسي للدُّول الّتي حكمت بلاد المغرب والأندلس، بداية من دولة الأدارسة إلى غاية زمن المؤلف، واهتم بكتابة تاريخ الدّولة الموحدية، مبرزًا نسبها وقبائلها ومراحل تأسيسها، والخلفاء الّذين تداولوا على حكمها، وما ميّزها من أحداث اجتماعيّة واقتصادية، إضافة إلى الظّواهر الطبيعية من أوبئة ومجاعات، ممّا جعل المعرفي سواءً حاكمًا أو فقيهًا أو فيلسوفًا أو متصوفًا يتفاعل معها.

3- ابن صاحب الصّلاة عبد الملك (ت594هـ/1198م)، المن بالإمامة: يعدُّ مصدرًا هامًا، أرّخ صاحبه للدّولة كونه شاهدُ عيان ومقرّب من بلاط الحكام، وأفادني في استنباط العلاقة القائمة بين المعرفي والسيّاسي سواء عسكريًا أو سياسيًا، إضافة إلى وقوفه على بعض الظّواهر الاجتماعية آنذاك، وموقف الحاكم منها، باعتباره أحد أقطاب المعرفة عهد الموحدين، واستخلاص فئات المجتمع الأندلسي في عهد الموحدين.

4- ابن عذارى المراكشي (ت بعد 712هـ/ 1312م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب: تأتي أهميته في كونه تناول دور الحكام العلماء في المجالات العسكرية والسيّاسيّة والاجتماعية، واستناد السيّاسي على

المعرفي في بناء دولته، وإبراز أهم المعارف عهد الموحدين خاصة المعرفة الفلسفة، واهتمام الحكام الموحدين بها، وموقفهم من منتحليها.

5- عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب: تمَّ تأليفه سنة 621هـ/ 1224م، ومؤلفه كان على اتّصال مباشر بالحكام الموحدين، ناقلاً لأخبارهم ونشاطهم السياسي والاداري والعسكري، ساعدني في تناول بعض أعلام السُّلطة المعرفية من فقهاء وفلاسفة، ودورهم في البناء السياسي من خلال توليهم للمناصب السُّلطانية من وزارة وقضاء وكتابة وحسبة.

6- ابن القطّان المراكشي (ت منتصف القرن 7هـ/ 13م)، نُظُم الجُّمان لترتيب ما سلف من أخبار الزَّمَان: تطرّق فيه مؤلفه لأحداث زمانه، ورتّبها زمنيا من سنة 500هـ إلى غاية 533هـ، وركّز فيها على الدّعوة التُّومرتية بالمغرب الاسلامي، وجهود عبد المؤمن بن علي في التّمكين لدولة الموحدين، واستفدت منه في بناء الأسس الّتي قامت عليها المعرفة، وتأثيرها اللاّحق في جميع مجالات الحياة.

- كتب الطّبقات والتّراجم:

1- ابن عبد الملك المراكشي (ت703هـ/ 1303م)، الذّيل والتّكملة لكتابي الموصول والصِّلة: كونه أحد كتب الطّبقات، تناول تراجم لأعلام الأندلس، وحتّى الوافدين إليها مشرقًا ومغربًا، استفدت منه التّعرف على أعلام المعرفة خلال الفترة المبحوث فيها، من فقهاء ومتصوفة وفلاسفة، ودورهم في المجال الثّقافي، والاصلاح الاجتماعي والبناء السيّاسي.

2- ابن الأبّار القضاعي (ت658هـ/ 1259 م)، التّكملة لكتاب الصّلة: بدأ تأليفه سنة631هـ، وبيّن في مقدمته أنّه سار على منهج بعض المؤرّخين كابن بشكوال وابن الفرضي وغيرهما، بل تجاوزها في ذلك، وذكر أعلامًا آخرين أندلسيين وغيرهم، واعتمدت عليه في التّعرف على أعلام المعرفة في عهد الموحدين، وإبراز تأثيرهم الثّقافي والاجتماعي وحتّى السيّاسي.

- المراجع :

1- أبو الخيل محمد بن ابراهيم بن صالح الحسين، جهود علماء الأندلس في الصّراع مع النّصارى خلال عصري المرابطين والموحدين (483هـ - 640هـ / 1090م - 1242م): استخلصت منه تأثير العلماء السياسي والعسكري والفكري، وبروزهم كسُّلطة معرفية المعرفية لها وزنها وثقلها خلال عهد الموحدين.

2- عبد الباقي السيّد عبد الهادي، الظّاهرية والمالكيّة وأثرهما في المغرب والأندلس عهد الموحدين: أفادني في

استخلاص بعض الظّواهر الاجتماعية المنتشرة في الأندلس، كالغناء وشرب الخمر والاحتفال بالمناسبات الدّينيّة وغيرها، وموقف المعرفي منها، وجهوده في تغيّير الواقع الاجتماعي.

3- عبد الباقي السيّد عبد الهادي، دراسات أندلسية في الفكر والتّاريخ والمذاهب: وهو مرجع يكاد يتشابه مع المرجع السّابق، حمل بين ثناياه العلاقة بين بعض أهل المعرفة والحاكم الموحدي، وساعدني في توضيح المعارضة العنيفة الّتي تزعمها المعرفي خاصة الفقهاء عهد الموحدين، بالإضافة إلى المعارضة السّلمية.

4- عبد الله عنّان، دولة الاسلام في الأندلس: يتكون من قسمين، أفادني القسم الأوّل في قيام دولة الموحدين، ودور المعرفة التُّومرتية في بناء النّظام السيّاسي الجديد، والجهود العسكرية لعبد المؤمن بن علي مغربًا وأندلسًا، أما القسم الثّاني منه، فاستفدت منه في إبراز دور المعرفي سياسيا وعسكريًا ببلاد الأندلس.

- الصعوبات:

1- إنّ الموضوع المبحوث فيه متّسع، وزواياه متعددة، مما يستوجب طول البحث والتّفكير، لاستنباط مدى تأثير السُّلطة المعرفية، كونها تكاملية تراكمية، مما صعّب التّحكم فيه، وبكل تفاصيله خاصة المجالين الاجتماعي والسياسي.

2- إنّ دراسة السُّلطة المعرفية وتأثيراتها، لا يظهر إلاّ بعد فترة طويلة، تتّطلب من الباحث التّمعن الجيّد، والتّركيز لأجل دراسة الظّواهر المنبثقة عنها، وتوضيح الأحداث والوقائع.

3- تزامُن البحث في الأطروحة مع مشّقة الوظيفة من جهة، والواجبات الأسرية والاجتماعية من جهة أخرى، مما أدّى حتمًا إلى تضيّيع الوقت، والتّأخُر في البحث وعدم إتمامه في زمنه، ولا يُمكن أن نغفل فترات الانقطاع والاحباط الّتي يمّر بها الطالب أثناء العمل والبحث العلمي، وفقدانه لرؤية واضحة ومتزنة لضبط البحث بشكل نهائي.

مدخل

أولا– السُّلطَة:

1– السُّلطة لغةً:

السُّلطة مشتَّقة من الفعل سلط، والسين واللاّم والطّاء أصل واحد،[1]ومنها السّلاطة والقّهر، وقد سلّطه الله، فتسلّط عليهم، والاسم السُّلطة بالضَّم.[2]

سلط، سلُط، سلط، سلاطة، وسلوطة، سلّطه عليه، بمعنى غلبه، وأطلق عليها القدرة والقهر.[3] السلاطة هي مصدر السليط من الرجال، والسليطة من النسّاء،[4]والسَّليط هو الفصيحُ الحديدُ اللِّسان، وهو مدح للرّجل وذَّم للمرأة،[5] ورجل سَليط هو فصيح اللِّسان حديد بيّن، وامرأة سليطة هي طويلة اللِّسان صخّابة.[6]

والسّليط هو الزَّيتُ عند عامّة العرب، وعند أهل اليمن دهن السّمسم، والسّلطة هي السّهم الطويل، والجمع سلاط،[7] والسّلاط هو الغليل،[8] والسلاطة من السّلط، وهو القهر، ولذلك سُميّ السلطان سلطانا،[9] على وزن فعلان يذكر ويؤنث، والنون مضافة، والجمع سلاطين، لأن أصل كلمة البناء السّليط.[10]

وارتبطت كلمة السُّلطة بكلمة السُّلطان في معاجم اللُّغة، وفي القرآن الكريم والسنّة النّبوية الشّريفة، وقد أخذت عدّة معاني كالحجّة والقوّة والقهر والحدّة والقُدرة والملك.

---

[1]أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا (ت395هـ/ 940م)، **معجم مقاييس اللغة**، تح: عبد السلام محمد هارون، دط، ج3، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1979م، ص95

[2]أبو نصر اسماعيل بن حمّاد الجوهري (ت393هـ/ 1002م)، **الصحاح**، مر: محمد محمد تامر وآخرون، دط، دار الحديث، القاهرة، 2009م، ص552

[3]بطرس البستاني، **محيط المحيط**، مكتبة لبنان، بيروت، 1957م، ص420

[4]أبو عبدالرحمان الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175هـ/ 791م)، **كتاب العين**، تح: مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي، دط، ج7، دت، ص213

[5] البستاني، المصدر السابق، ص421

[6]ابن منظور أبو الفضل جمال الدين بن محمّد بن مكرم (ت 711هـ/ 1311م) **لسان العرب**، دط، ج7، دار صادر، بيروت، دت، ص320

[7]الجوهري، المصدر السابق، ص552

[8]الفراهيدي، المصدر السابق، 213

[9]ابن فارس، المصدر السابق، ج2، ص471

[10]ابن منظور، المصدر السابق، 321

السُّلطان هو **الحُجّة** والبرهان،[1] وكل سُلطان في القرآن حجّة،[2] وفي الكليّات كل سُلطان حجّة، في قوله تعالى: {وَلقَد أَرسَلنَا مُوسَى بِآياتنَا وَسُلطانٍ مبين (96)}[3]، بمعنى الدّلالات الباهرة والآيات،[4] ولذلك أطلق على الأمراء سلاطين، لكي تُقامَ بهم الحُجّة والحقوق،[5] وفي قوله تعالى:{ يا أيُّها الّذينَ ءامنوا لاَ تتّخذُوا الكَافرينَ أَولياءَ مِن دُونِ المؤمنينَ أتُريدونَ أَن تجعَلُوا للّهِ عَلَيكُم سُلطانًا مُبينًا(144)}،[6] وفي قوله تعالى:{ وكَيفَ أخَافُ مَا أَشرَكتُم ولاَ تخافونَ أنَّكُم أَشرَكتُم بِاللهِ مَا لَم يُنزِل بهِ عَليكُم سُلطانًا فَأَيُّ الفَرِيقَينِ أَحَقُّ بِالأَمنِ إِن كُنتُم تَعلَمُونَ(81)}،[7] وفي قوله تعالى: { هَلكَ عَنِّي سُلطَانيه (29)}،[8] بمعنى ذهب عني حجتيه،[9] وفي قوله: { يَا مَعشرَ الجِنِّ وَالإِنسِ إِن استَطَعتُم أَن تَنفُذُوا مِن أَقطَارِ السَّماوَاتِ والأَرضِ فَانفُذُوا لاَ تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلطَانٍ (23) }،[10] بمعنى حيث ما كنتم ستشاهدون حجّة الله تعالى، وسلطانًا على أنّه واحد.[11]

وجاءت كلمة السُّلطان بمعنى **القُدرة**، في قوله تعالى { إنَّ عِبَادِي لَيسَ لكَ عَليهِم سُلطَان وكَفَى بِربّكَ وَكيلاً (65) }.[12]

ووردت كلمة سلطان بمعنى **المُلك**، وقدرة من جعل له ذلك، وإن لم يكن ملكا، كأن تقول قد جعلت له سلطانا على أخذي حقي من فلان.[13]

وجاءت كلمة السُّلطان بمعنى **الحدّة**، كقول الشّاعر يصف نُصُلاً حادّة: سِلاط حِداد أرهقتها

---

[1] ابن منظور، المصدر السابق، ج7، ص321، الجوهري، المصدر السابق ، ص552، الفراهيدي، المصدر السابق، ص213

[2] عماد الدين أبي الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي(ت774هـ/ 1372م)، **المصباح المنير في تهذيب تفسير بن كثير**، إش: صفي الرحمان المباركفوري، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، 2013م، ص349

[3] سورة هود، الآية 96

[4] ابن كثير، المصدر السابق، ص673

[5] ابن منظور، المصدر السابق، ص321

[6] سورة النساء، الآية144

[7] سورة الأنعام، الآية 81

[8] سورة الحاقة، الآية 29

[9] ابن منظور، المصدر السابق، 321

[10] سورة الرحمان، الآية 33

[11] ابن منظور، المصدر السابق، ص321

[12] سورة الاسراء، الآية 65

[13] الفراهيدي، المصدر السابق، ص213

المواقع.[1]

وجاء في الحديث " إلاّ أن تسأل ذا سلطان "، وهو اللُّجوء إلى **الوالي** أو **الملك** لطلب حقّك من بيت مال المسلمين، وفي حديث آخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم " لايؤم الرجُلُ الرجُلَ في سلطانه، ولا يجلس على تكرمته"، بمعنى لا يؤمه في بيته، ولا يجلس على وسادته، فإنّ ذلك يُؤذي صاحب البيت، وفيه ازدراء واحتقارًا له.[2]

2- السُّلطة اصطلاحا:

السُّلطان ظلُّ الله في الأرض، فمن أكرمه، أكرمه الله تعالى، ومن أهانه، أهانه الله تعالى، وظيفته حماية كل مظلوم من العباد يطلب منه ذلك، فإن فعل وعدل نال الأجر والثواب، وكان على الرعية الشُّكر والثناء، وإن قصّر في الأمر أو جار أو ظلم، كان عليه الإثم والوزر، وعلى الرّعية الصبر والاحتساب لله تعالى، والسُّلطان بمعنى الوالي، فأن جار قحطت السّماء، وإذا منعت الزّكاة انتشر الفقر والزّنا والمسكنة وغيرها.[3]

والسُّلطان هو القائم على أمور الدّين والدّنيا، والمتّحكم في زمام الأمور، والحافظ للحقوق، والقائم على الحدود، وهو حمى الله في بلاده، وظلُّه الممدود على عباده، به يمتنع حريمهم، وينتصر مظلومهم، ويأمن خائفهم، ويرتدع ظالمهم، ويزع (يمنع المحارم) الله بالحاكم – السلطان – أكثر مما يزع بالقرآن،[4] كما جاء في قوله تعالى { الّذينَ إن مكنّاهُم في الأرضِ أقامُوا الصَّلاةَ وآتوا الزَّكَاةَ وأَمرُوا بالمعروفِ ونهوا عنِ المنكرِ ولله عاقبةُ الأمُورِ (41) }،[5] لذا قال الحكماء: أسد حطوم خير من ملك غشوم، إمام عادل خير من مطر وابل، وإمام غشوم خير من فتنة تدوم، إمام عادل خير من مطر وابل.[6]

---

[1] ابن منظور، المصدر السابق، ص321

[2] أبو الفتح ناصر الدين المطرزي (ت610هـ/ 1213م)، **المغرب في ترتيب المغرب**، تح: محمود فاخوري وعبد الحميد مختار، ط1، ج1، مكتبة أسامة بن زيد، حلب، 1979م، ص408

[3] علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي البرهان (ت975هـ/ 1567م)، **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**، ضبط: بكري حياني، تص: صفوة السقا، ط5، ج6، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985م، ص4

[4] أحمد بن محمّد بن عبد ربه الأندلسي (ت 368هـ/ 978م)، **العقد الفريد**، تح: مفيد محمد قميحة، ط1، ج1، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، 1983م، ص9، النويري، المصدر السابق، ج6، ص7

[5] سورة الحج، الآية41

[6] أبو منصور الثعالبي (ت429هـ/ 1037م)، **آداب الملوك**، تق: عبد الحميد حمدان، ط1، عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة، القاهرة، 2007م، ص39.

وقد أخذت السُّلطة عدّة مفاهيم، فمنهم من يرى أنّها المرجع الأعلى المسلّم له بالنُّفوذ والسّيطرة،[1] يُظهرها الغالبون الّذين يملكون زمامها من خلال تميُّزهم على المغلوبين الّذين تمارس عليهم،[2] أو هي تلك الهيئة الاجتماعية القادرة على فرض منطقها وإرادتها على الارادات الأخرى، وتعترف هذه الأخيرة لها بالقدرة والقيادة والفصل، وتُصبح خاضعةً لها، مُقرةً لها بالشّرعية، ومحترمة لكل ما يصدر منها من قرارات، وإنزال للعقوبات.[3]

والسُّلطة هي تلك العلاقة القائمة بين طرفين، يعترف فيها الأوّل باعتباره الآمر، أنّ ما بدر منه من أمر إلى المأمور صادر عن حق له فيه، في حين يُقر الثّاني بأنّ تنفيذه للأمر والعمل به، مبني على وُجوب الطاعة والانصياغ له، فالسُّلطة الّتي يتولاها السُّلطان الّذي له عنصر النُّفوذ كأمر واقع، يجب أن تكون له القدرة على التّأثير في النُّفوس، وفي أيّ ميدان من ميادين النّشاط الانساني، الّتي تُصبح مُطيعة ومنقادة، لما يأتيها في العقل أو في الوُجدان أو في العاطفة (الميول).[4]

والسُّلطة عند هيوم ليست مُسلّمة، وما هي إلاّ مقُولة ذاتية، بل فرضية يجب إثباتها، وليست صفة ملازمة للأفراد، ولكنّها تبدُو كمظهر غائي، قادرة على إنتاج تأثيرات من ذاتها على الأشخاص والأشياء، بينما يرى سميث السُّلطة على أنّها قدرة التّأثير الفعلي على الأشخاص والأشياء، معتمدةً على مجموعة من الوسائل الّتي تبدأ بالاقناع وتنتهي إلى حدّ الاكراه، ويُعرّفها ج.بيتي أنّها بمثابة مقولة خاصة للعلاقات الاجتماعية، تتّضمن إمكانية إكراه الآخرين في هذا النّظام أو نظام آخر من العلاقات بين الأفراد من جهة، وبين الجماعات من جهة أخرى.[5]

أمّا في **الجانب السيّاسي**، فالسُّلطة يُقصد بها السيطرة والهيمنة، الّتي تصل أحيانًا إلى حدّ الاستبداد والقهر،[6] أو هي الدّولة في حدّ ذاتها الّتي لا تعلو فوقها سُلطة أخرى، أوجدت لنفسِهَا طرقًا وممارسات صادقت

---

[1] عبد الوهاب الكيالي وآخرون، **موسوعة السياسة**، ج3، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ص215

[2] جيل دلوز، **المعرفة والسلطة**، ترجمة: سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1987م، ص33

[3] الكيالي وآخرون، المرجع السابق، ص215

[4] ناصيف نصّار، **منطق الفلسفة**، ط2، دار أمواج للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2001م، ص7، 8

[5] جورج بالانديه، **الأنثروبولوجيا السياسية**، ترجمة: علي المصري، ط2، مجد المؤسسة الجامعية للدّراسات والنّشر والتّوزيع، بيروت، 2007م، صص53، 54

[6] سعد البازعي، **مواجهات السلطة – قلق الهيمنة عبر الثقافات**، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2019م، ص14.

عليها، وتقوم بحمايتها ومراقبتها أكثر من ممارستها، كما تعود ملكيتها لطبقة معيّنة، الّتي حازتها ونالتها على وجه الغلبة بالتَّدابير والحِيل والوَسَائل والتّقنيات والأعمَال، فهي طموح وخُطة أكثر منها ملكية، كما أنّها ليست حقا تحوزه الطبقة المالكة وتحتكره، بقدر ماهي مجسّدة في كل المواقع الاستراتيجية للدولة،[1] ومُلازمة لكلّ مُجتمع، تعمل على احترام الأسس الّتي قام عليها، وتدفع عنه سلبياته، وتحمل في باطنها نتائج المنافسة بين الأفراد والجماعات، فهي ممارسة قبل أن تكون ملكًا.[2]

ووردت **السُّلطة** على أنّها إحدى الوظائف الأساسية للتّنظيم الاجتماعي، فهي القُوة الآمرة الّتي تملك الامكانيات الفعلية لتسيّير أنشطة النّاس، ولا يكون ذلك إلاّ بتنسيق المصالح المتعارضة للأفراد أو الجماعات، وإلحاق تلك المصالح بإدارة واحدة عن طريق الاقناع أو القسر.[3]

3- مصدر السلطة:

كثيرًا ما يربط الباحثون السُّلطة بالجانب السياسي، ولكن هذا لا يمنع لأن يكون مصدرها ديني، كما حدث ببلاد المغرب الاسلامي، عندما تأسست به دول، انطلقت من مبدأ ديني محض، وانتهت بقيام سلطة سياسية، يُمارس فيها الحاكم ميزان الشرع في سياسة النّاس وتدبير شؤونهم، إذ اتّخذ الرستميون من المذهب الاباضي وسيلة للوصول إلى الحكم، وبناء دولتهم، وفرض وجودهم بالمغرب الأوسط لمدّة طويلة،[4] وجعل الفاطميون من المذهب الاسماعيلي لتحقيق مبتغاهم السيّاسي ونيل السُّلطة،[5] كما لا يمنع أن يكون مصدر السّلطة اجتماعي أو اقتصادي.

ويذكر ابن تيمية أنّ مصدر سُلطة الحاكم يرجع إلى بيعة الرّعية وتزكيتها له، ورضاها به، وأنّ حبّها له دليل على صلاحه وصدقه وورعه، واستدّل في قوله بأحاديث نبوية شريفة.[6]

وقد تكون السُّلطة فردية المصدر، مرتبطة بشخصٍ لذاته، فيُمارسها باعتبارها حقًّا شخصيًا، ويستمد

---

[1] دلوز، المرجع السابق، ص31،32

[2] جورج بالانديه، المرجع السّابق، ص54.

[3] ميشال فوكو، **المعرفة والسُّلطة**، ترجمة: عبد العزيز العيادي، ط1، المؤسسة الجامعية للدّراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1986م، ص 43

[4] محمد عيسى الحريري، **الدولة الرستمية بالمغرب الاسلامي**، ط3، منشورات دار القلم، الكويت، 1987م، ص78

[5] عبد الرحمان ابن خلدون (ت 808هـ/ 1406)، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، ج4، تق: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت ، لبنان،2001م، ص42

[6] محمّد المبارك، **الدّولة عند ابن تيمية**، دار الفكر للطباعة والتّوزيع والنّشر، دمشق، 1961م، ص20

مقوماتها ليس بالقوّة الّتي تفرض على الجماعة طاعته واتّباعه، بل تمثُّلِهِ لضميرها الاجتماعي، مما يضمنُ لسُلطته البقاء والاستمرارية،[1] مثل ما كان عند الموحدين، عندما انحصرت السّلطة في الدّاعية المهدي ابن تومرت، ومن بعده في خليفته عبد المؤمن بن علي وبنوه.

وقد تكون فئوية (طبقة)، إذ تقوم هذه الفئة سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو ثقافية، بفرض أراءها على المجتمع، لتُصبح هذه الآراء في ما بعد الأفكار المنتشرة الّتي ينطوي تحتها بقية أفراد المجتمع.

وقد تكون السُّلطة صادرة عن نظام معرفي أو فكري أو عقائدي، ولا تحتكره فئة معيّنة، ولكنّه نابع من الثّقافة السَّائدة والمنتشرة، ليبرز في ما بعد في شكل خطاب أو ايديولوجيا شعبية، أو طقوس أو ممارسات يجب اتباعها والتّقيّد والعمل بها، أو حتّى في شكل ثورات.

وقد تكون السُّلطة نظرية أو فكرا أو فنًا، يكون ذا أهمية في عصره أو زمانه، ليتحول في ما بعد إلى صعوبة (عقبة) في وجه الاختلاف والنمو.[2]

والسُّلطة مهما كان مصدرها أو طبيعتها، فهي تميل إلى الاستبداد، وتُمارسُ الاستبعاد والانتهاك بالتّحايُل، أو بالحجب والتّهميش في ما يخص الأنظمة والقوانين، فهناك احتمال لأن تُمارس للسيطرة على المجتمع أو للعمل ضدّه، وهو احتمال واقع لا محال، فمثلاً السُّلطة السياسية تُمارس مباشرةً من واحد على آخر في الدولة، بينما السُّلطة الدّينية أو المعرفية تُمارس بصورة غير مباشرة وملتوية، بإيجاد عالم روحاني غيبي يَنسب إليه البشر وجودهم وشرائعهم وسُلطانهم، فهما يتصارعان في النّهاية على المجتمع، وكثيرًا ما يتواطآن ويتحدان ضدّهُ.[3]

ويجبُ التّنويه أنّ الدّولة من واجبها الاحتفاظ بالاحترام نفسه لسُّلطة الدّولة، فهي منبعثة من المجتمع الّذي تنتحل قوته ببقائها خارجه، وتقوم باحتكار حقيقي للقُوّة الجماعية، باعتبارها جماعة متّخصصة، وصاحبة سلطة ملكية،[4] تشمل مبادئ التّنظيم المدني وطرائقه ووسائله، وتكوين السُّلطة وبنائها وتنظيمها

---

[1] حسين فوزي النّجار، **الاسلام والسياسة– بحث في أصول النّظرية السياسية ونظام الحكم في الاسلام**، مطبوعات الشّعب، دمشق، 1969م، ص210

[2] البازعي، المرجع السابق، ص14

[3] بيار كلاستر ومارسيل غُوشيه، **في أصل العنف والدّولة**، تعريب وتقديم: علي حرب، ط1، دار مدارك للنّشر، دبي، 2013م، صص13، 14

[4] جورج بالانديه، المرجع السّابق، ص158

وتوجيهها،[1] فالسُّلطة لا تمثّل نفسها بقدر ما تُمثّلُ ذلك المدلول العقلي الّذي نسميه الدولة، وتُصبِح أداة السُّلطة تابعةً لها، وحلقة وصل بينها وبين الجماعة الّتي تُكوّن مجتمع الدولة، ومنها تستمد الدولة حقّها في السيّادة، باعتبارها واقِعًا اجتماعيًا يُمثّلُ إرادة الكل.[2]

والملاحظ أنَّ مفاهيم السُّلطة تعددت وتنوّعت مصادرهَا، كما تختلف في طرقِ فرضِ نفسِها، وأشكال حضورها وتأثيرها، وحتّى في مستوياتها، فهي ليست ذات مفهوم سياسي محض، بقدر ما هي مفهوم يُوحي بِبُرُوز ظاهرة انقياد وخضوع جماعة بشرية، ولُزومها طاعة فرد أو مجموعة متغلّبة، فهي نظام اجتماعي أفرزَ سلطةً فرضها فرد أو جماعة على الآخرين بالقوّةِ والعنفِ – في شكل ثورات –، وإجبارهم على الطّاعة والخضوع.[3]

ثانيا– المعرفة:

1– المعرفة لغة:

المعرفة كلمة مشتّقة من الفعل الثُّلاثي عرف، والعين والرّاء والفاء، أصلان صحيحان، يدُّل أحدهما على تتابع الشّيء، متّصلا بعضه ببعض، والآخر على السُّكون والطمأنينة، ويُقال: عرف فلان فلانا، عرفانا ومعرفة، وهذا أمر معروف، ويدل أيضا على السكون إليه، لأنّ من أنكر شيئا توحّش منه، ونبَا عنه،[4] والمعروف هو كل ما سكنت إليه النفس واستحسنته، والخير والرزق والإحسان، ومنه قولهم: من كان آمرا بالمعروف فليأمر بالمعروف، بمعنى من أمر بالخير فليأمر برفق، وقدر ما يحتاج إليه.[5]

– ومن الباب العَرفُ، وهي الرائحة الطيّبة، وهي القياس، لأنّ النّفس تسكن إليها، ويُقال: ما أطيب عَرفَه،[6] قال الله تعالى: { ويُدخِلُهُم الجنّةَ عَرّفَهَا لَهُم (6)}،[7] وهي ريح طيّب، أي طيّبَها.[8]

---

[1] برهان غليون، **نقد السياسة – الدين والدّولة –**، ط4، المركز الثّقافي العربي، الدّار البيضاء، المغرب، 2007م، ص56

[2] فوزي النّجار، المرجع السّابق، ص 212.

[3] أمين كرطالي، **سلطة شيوخ القبائل العربية في المغرب الأوسط خلال العهد الزياني**، أطروحة دكتوراه ، اش: مختار حساني، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية، جامعة الجزائر 2 – أبو القاسم سعد الله، 2017م، 2018م، ص13

[4] ابن فارس، المصدر السابق، ج4، ص281

[5] البستاني، المرجع السابق، ص594

[6] ابن فارس، المصدر السابق، ج4، ص281

[7] سورة محمد، الآية 6

[8] الفراهيدي، المصدر السابق، ج4، ص122

– والعُرفُ، بمعنى المعروف، ويُسمّى بذلك لأنّ النّفس تسكن إليه.[1]

– والفعل عرف، بمعنى عرفت الشّئ، معرفةً وعرفانًا،[2]وقولهم ما أعرف لأحد يصرعُني، أي ما أعترف له،[3] قال أبُو ذؤيب يصف سحابا: مرّت النُّعامي فلم يعترف خلاف النُّعامى من الشام ريحا

– العريفُ والعارفُ، يحملان نفس المعنى، مثل العليم والعالم، وجاءت بمعنى العارف في قول طريف بن مالك العنبري: أوَ كُلمَا وَردَت عُكَاظ قَبيلَة بعثُوا إلى عَريفِهم يتوسَّم[4]

– والعريفُ، جمعه عُرَفاء، مثل خطب، خطابةً، أي صار عريفًا، وعَريفُ القوم هو سيّدهم، والقائم على أمور القبيلة، أو الجماعة من الناس، ويتعرف على أحوالهم، وذلك لمعرفته بسياسة القوم،[5]كما قال القائل: عريفهم بأثافي الشّر مرجوم،[6]

– والعُرف ضد النُّكر، والعارفُ هو الرجل الصبور، فيُقال: أُصيب فلان، فوُجد صبورا عارفاً،[7] كما جاء في قوله تعالى { والمرسَلاتِ عُرفًا (1)}،[8] أي أرادها أن تُرسل بالمعروف[9].

2– المعرفة اصطلاحا:

المعرفة هي إدراك الشّيء على ما هو عليه، وهي مسبوقة بنسيان حاصل بعد العلم، ولذلك سميّ الله عزّ وجلّ بالعالم دون العارف،[10] فهي الحقيقة العلمية الّتي تمّ التوصل إليها بالبحث والتقصي والتمحيص،[11] وعرفها البعض على أنها مجموعة من الآراء والتّصورات والحقائق والمعتقدات الّتي تجمعت عند الانسان ، بعد

[1]ابن فارس، المصدر السابق، ص281

[2]الفراهيدي ،المصدر السابق، ص121

[3]الجوهري، المصدر السابق، ص759

[4]ابن منظور، المصدر السابق، ج9، ص236

[5]نفسه، ص238

[6]ابن فارس، المصدر السابق، ج3، ص661

[7]نفسه، ج3، ص661

[8]سورة المرسلات، الآية 1

[9]مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي (ت817هـ/ 1414م)، **القاموس المحيط**، تح: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف محمد نعيم العرقسوسي، ط6، مؤسسة الرسالة، دمشق، 1998م، ص836

[10]البستاني، المرجع السابق، ص594

[11]محمد زيان عمر، **البحث العلمي– مناهجه وتقنياته**، مطبعة خالد حسن الطرابيشي، 1975م، ص36

محاولاته المتكررة لفهم الظواهر والأشياء المحيطة به.[1]

– وتجدر الاشارة أنّ المعرفة تعدّدت مفاهيمها حسب علماء المعرفة.

– **العقيدة الإسلامية:** يرى الباحثون في العقيدة أنّ المعرفة هي تلك المعلومات والمفاهيم اليقينية، والأحكام والمدركات، والتّصورات الأكيدة التي يتوصل إليها بواسطة شيء ما، بفعل ما يتلقاه عن طريق الوحي، أو عن طريق العقل أو الحدس أو الحس، أو بهم جميعا،[2] واعتبروا أنّ القراءة مفتاح للمعرفة، وبها يُمكن إدراك الأشياء على حقيقتها وفق رؤية علمية مضبوطة.[3]

– **المتكلّمون:** عرّف المتكلمون المعرفة بأنها عبارة عن ذكر شيء، يتطلب معرفته معرفة شيء آخر، فهي الطريقة الموصل إلى الهدف التّصوري، بينما عرّفها النّحويين على أنّها مصدر ما وُضع إلاّ ليدّل على ذات الشّيء.[4]

– **الفلاسفة:** يذكر يورغن هابرماس أَنَّ المعرفةَ تظهرُ من خلال الأداة الَّتي تُشكِّلُ موضوعات بمساعدتها، أو من خلال وسط يدخل نور العالم إلى الذّات متوسطا من خلاله، ويستنتج من ذلك أنّ المعرفة تتجسد من خلال وسائل معرفة ممكنة، ويوضح انموذج المعرفة كنموذج توسط، تصل من خلاله الواقعة الحقيقية في ذاتها إلى الظهور متهاوية.[5]

أَمّا موريس شاريل يُعرّف المعرفة على أنها " نتيجة عمل الفرد، وكأنه جزء من العالم، وله تاريخ وتطور طولي وعرضي، والمعارف تتكون من أنسقة بنيوية متعددة، وغير متوقعة، ومتجددة دائما، إلاّ أنّ تحليلها لا يعطي نتيجة بعد إفشائها".[6]

---

[1] محمد عبيدات وآخرون، **منهجية البحث العلمي**، دار وائل للطباعة والنشر، عمان، 1999م، ص5

[2] أحمد محمد حسين الدغيشي، **نظرية المعرفة في القرآن الكريم وتضميناتها التربوية**، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 2001م، ص86

[3] نفسه، ص86

[4] البستاني، المرجع السابق، ص594

[5] يورغن هابرماس، **المعرفة والمصلحة**، ترجمة: حسن صقر، مراجعة ابراهيم الحيدري، ط1،بيروت، لبنان،2001م، صص15، 16

[6] موريس شاريل، **التطور المعرفي عند جان بياجة**، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1986م، صص19، 66

– **المتصوفة:** عُدَّت المعرفة عند المتصوّفة إحدى مقامات التصوف، لذا عرفها كل منهم حسب الذّوق والمرتبة الّتي ارتقى فيها، فمنهم من قال هي إحضار السّر بصنوف الفكر في مراعاة الأذكار على حسب توالي إعلام المكشوف، ورؤية الأشياء واستهلاك الكل في الأجزاء،[1] في حين عرفها محي الدين بن عربي (ت 638هـ/ 1240م)، أنها ربانية، إلهية، قدسية، ومنهم من قال أن المعرفة:

– أن تعرف ما أنت عليه وما هو عليه.

– أن تعرف ما أنت وتعجز عما هو عليه.

– رؤية المعروف من المعروف.

– جمعية بينك وبينه (الله عز و جل).

– من روائح التوحيد يعرفها أصحاب الأنفاس.

– خطاب مخصوص من الحق لعبده، يسمى عارفا.

– من أعطى كن فقد أعطى المعرفة.

– لمن استوى على العرش.

– السُّؤال عن المعرفة جهل، لأنها مثبوتة في العالم، فما تمّ إلاّ عارف على قدره.[2]

ويذكر القُشيري في رسالته، أنّ المعرفة عند المتصوفة، تختلف من عارف لآخر، إذ نطق كل منهم بما وقع له، وأشار إلى ما وجده في وقته، فمثلا أبو علي الدّقاق يقول أنّ من أمارات المعرفة بالله حصول الهيبة من الله، فمن ازدادت معرفته ازدادت هيبته، والمعرفة توجب السكينة في القلب، كما أنّ العلم يوجب السُّكون، فمن ازدادت هيبته ازدادت سكينته.[3]

وعرّف بعض الباحثين المعرفة بأنّها مجموعة من الحقائق والمعتقدات، ووجهات النّظر، والمفاهيم والأحكام، والتّوقعات والمناهج، فهي تراكمية تكاملية يتّم الاحتفاظ بها لمدّة أطول حتّى تكون متاحة

---

[1] الحلاج، **بستان المعرفة**، ص 245، 246

[2] محي الدّين بن عربي (ت638هـ/ 1240م)، **رسائل بن عربي**، وضع حواشيه: محمد عبد الكريم النمري، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2001م ، ص77، 78

[3] أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري (ت 465هـ/ 1072م)، **الرسالة القشيرية**، وضع حواشيه: خليل منصور، د ط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2001م، ص 142، 343

للاستخدام والتّطبيق قصد معالجة مواقف ومشكلات معيّنة.[1]

3- المعرفة عند المهدي ابن تومرت:

حصر ابن تومرت المعرفة، وحدّد لها ثلاثة شروط لاكتسابها، وهي العقل والسّمع والحسُّ، " وجعلها قسمة منحصرة، تدور على ابن آدم في الدّنيا والآخرة، فلا يُسأل العبد في الآخرة عنها، لأنّها منحصرة في ما يُسأل عنه، فكل علم داخل فيها، وعنها يكون ".[2]

– **العقل**: لم يُعط ابن تومرت مفهومًا واضحًا للعقل، بل بيّن أقسامه ومبادئه، ووضّح أنّ في العقل معان بديهية، والتّي تُعدُّ منطلق وبداية لكل معرفة لاحقة، وقد عبّر عن ذلك بأنّ هذه بالضرورة مستقرة في نفوس العقلاء جميعهم، كما بيّن أنّ اكتساب المعرفة العقلية، يكون إمّا بدلالة الأفعال، أو بواسطة القياس، ومجالها لا يكون إلاّ في حدود العقيدة والشريعة الاسلامية.

– **الحسُّ**: هو ما يُدرك به جميع المبصرات، واعتبره ابن تومرت من وسائل المعرفة، واكتفى بتحليل مبسط له، وقسّمه إلى ثلاث، منفصل ومتّصل وداخلي، وهو وصف تناول الظاهر، ولم يُبيّن كيفية الادراك الحسّي.

– **السّمع**: هو ما يُسمع به جميع المسموعات من الشّرع وغيره، وهو مجال متّسع، يشمل كل حقائق الدّين، وقد يكون السّمع طريقا للعلم وهو الوحي، وقد يُطلق اللّفظ على محتوى الوحي من الحقائق، وقد يُطلق على الطريقة تنتقل بها الحقائق إلينا، وقد يُطلق على الوسيلة الّتي نُدركها.[3]

وقد حدّد شُروطًا ماديةً وأخرى معنويةً لاكتساب المعرفة، وحصر المادية في التّفرغ التّام للتّحصيل، والكفاف عن النّاس والابتعاد عنهم، والاقتداء بالإمام النّاصح، أمّا المعنوية فتمثّلت في الهمّة العالية، والبيرة النيّرة، والصبر والتّحمل، والتّأدب بآداب العلم، وحسن السّريرة، واتّباع السّيل الواضح، واغتنام الفوائد والحرص على الزّيادة، وإخلاص النيّة لله تعالى، وبيّن الموانع الستّة لاكتساب المعرفة، وهي الجهل بالمركب والبسيط، والهوى واتّباع ملذّات الدّنيا، والتّقليد الّذي يقف عائقا أمام التّحصيل والتّجديد، والمحدثات من أمور الدُّنيا،

---

[1] مصطفى عليان ربحي، **إدارة المعرفة**، ط2، دار صفاء للنشر والتّوزيع، عمان، 2015م، ص53

[2] محمد ابن تومرت (ت 524هـ/ 1130)، **أعز ما يطلب**، تق وتح: عمار طالبي، الطباعة الشّعبية للجيش، الجزائر، 2007م، ص181

[3] عبد المجيد النّجار، **المهدي بن تومرت**، ط1، دار الغرب الاسلامي، القاهرة، 1983م، ص171، 172، 183.

والاختلاف في الأقوال وتناقض الآراء، والتَّلبيس وإيراد المسائل مختلطة.[1]

ومن هذا المبدأ، فالدّاعيّة ابن تومرت أوجد مبادئ المعرفة وشروط تحصيلها، والعوائق التّي تقف أمامها، والتي صارت منهجًا جديدًا الّذي ستقوم عليه الدّولة، كما يبدو أنّه متأثّر بالجانب العقلي للمعرفة، والتّي اكتسبها أثناء رحلته العلمية إلى المشرق، والمنتقاة من فكر أبي حامد الغزالي بالأساس، فهو أراد إخراج المعرفة من التّقليد،[2] والتّي كانت سائدة في عهد المرابطين، والتّوجه بها نحو العقل والقياس، والّتي ستفتح المجال وبلا شك أمام العلوم والمعارف المقيّدة سابقًا، خاصةً علم الكلام وعلم الفلسفة.

4- أنواع المعرفة:

الإنسان ميّال بطبعه إلى الاستطلاع، وفهم نفسه وطبيعته البشرية، وكل ما يُحيط به من الظّواهر، فالرّغبة شيء وُجداني، غايتها الوصول إلى المعرفة، وقد قسّمت المعرفة حسب مستوياتها إلى:

- المعرفة الحسية (التجريبية):

هي أولى درجات المعرفة، بدأت مع وجود الإنسان، تعتمد بالأساس على الملاحظة البسيطة، واستعمال الحواس، وكذلك الصدفة، والخبرة اليومية،[3] فهي تقتصر على التفكير النظري فقط، ومحاولة توضيح الظواهر وتعليلها، وإذا استعصى عليه فهم الظاهرة، فإنه يُرجعها إلى قوى غيبية بالدرجة الأولى.

وتُعد هذه المعرفة قديمة والأكثر انتشارا بين الأفراد، كونها عامة وشاملة، وخالية من الموضوعية والمنهجية في نفس الوقت، وهي ما يطلق عليها بالآراء المشتركة بين أفراد مجتمع معين، وتنتقل بينهم بحكم العادة، ويسلمون بها تلقائيا، دون تمحيص وتقصي.[4]

---

[1] ابراهيم حركات، **مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتى القرن 9هـ/ 15م**،ط1، ج1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 2000م ، صص 185، 186

[2] التّقليد هو التزام المقلّد من غير دليل، بمعنى أن يلتزم المقلِّد قول المقلَّد شرعًا ودينًا، ويعتقد ما حرّمه حرامًا، وما أوجبه واجِبًا، وما أبَاحَهُ مُباحًا من غيردليل يستدل به على شيء من ذلك غير قول من قلّده، ولو صار إليه بدليل، فإنّه فرض من لا يُحسنُ النّظر والاستدلال، انظر: أبو الوليد سليمان ابن خلف الباجي الأندلسي (ت 474هـ/ 1081م)، **كتاب الحدود في الأصول**، تح: نزيه حماد، ط1، مؤسسة الرّعيني للطباعة والنشر ، بيروت، لبنان، 1973م، ص 64.

[3] محمد زيان، المرجع السابق، ص36

[4] محي محمد مسعد، **كيفية كتابة الأبحاث والاعداد للمحاضرات**، ط2، مطبعة الانتصار، الاسكندرية، 200م، ص 15،

– المعرفة الفلسفية (الاستنباطية):

وهي المرحلة الثّانية للمعرفة، وأولى خطوات الحضارة، لا تعتمد على الجزئيات فقط، بل هي معرفة تأملية تعتمد على العقل البشري باعتباره قوّة من قوى النّفس (النّفس النّاطقة)، وباب هام من أبواب المعرفة، وهو ضربان، عملي يُسوّس البدن ويُنظّم السُّلوك، ونظري يختّص بالإدراك والمعرفة، فهو الّذي يتقبل المدركات الحسيّة، ويستخلص منها المعاني الكليّة، بمساعدة العقل الفعّال، الّذي هو من نفوسنا بمثابة الشّمس في أبصارنا، فبالعقل نُعلّل ونُبرهن، نكتشف الحقائق العلميّة، كون المعارف ليست كلها منزّلة.[1]

إذن، فالمعرفة الفلسفية هي معرفة تأملية، تثبت درجة تقدم النضج الفكري للإنسان، وتفسير الأشياء والظواهر بالرجوع إلى بداياتها الأولى، ولهذا يختلف الفلاسفة، ويقوم كل منهم بالبحث والاجتهاد حسب رأيه، وقوة تفكيره.[2]

ويعتمد هذا النوّع من المعرفة على التّأمل والقياس والمنطق في تفسير الظواهر المختلفة، وقد اهتدى الإنسان منذ فجر الحضارات القديمة الاغريقية والرومانية وغيرهما، إلى فهم الطبيعة البشرية، وعلاقتها بالطبيعة، لتبرز تدريجيا بعدها نُظم فلسفية متكاملة، حاول من خلالها الفلاسفة، تنظيم وسيلتهم لأجل الوصول إلى **المعرفة**، ووضعوا أسسا للمنطق بأشكاله المختلفة، وبدأ اختبار المعارف على أساس ما تتمتع به من صدق المنطق، وصحة القياس، وظلّت هذه المعرفة الفلسفية لقرون طويلة، فهي من أهم الطرق للحصول على المعرفة، والتي لا يمكن الاستغناء عنها.[3]

– المعرفة العلمية:

هي أعلى درجات المعرفة وأرقاها، وأساس كل تقدم حضاري، تقوم على تخطيط فكري منظم، بعيدًا عن الوجدانية، والحياة اليومية، والصدفة، تعتمد على الاستقراء في النتائج المتوصل إليها، بناء على ملاحظة الظاهرة، وفرض الفروض، والقيام بالتّجارب، وجمع البيانات، والتّحليل، للتّأكد من صحّة الفروض من عدمها،

---

[1] (ابراهيم بيومي مدكور)، " **في الفلسفة"، من كتاب أثر العرب والاسلام في النهضة الاوروبية**، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1970م، ص135

[2] محيي محمد، المرجع السابق، ص15

[3] محمد زيان، المرجع السابق، ص39، 40

ولا تُصدّق هذه المعرفة إلاّ إذا كانت مقدّماتها صحيحة.

وقد دفعت وسائل البحث بالإنسان إلى اكتشاف المعرفة والوصول إليها، والّتي كانت نتيجة تنظيم سير العقل تنظيمًا مرتبطًا بقواعد يلتزم بها الفرد في خطاه إلى المعرفة، والّتي انعكست بالفعل على طبيعتها ومستوياتها، حتّى وصلت في النّهاية إلى الدّقة العلمية.[1]

5- المعرفة والعلم:

أطلقت على العلم هذه التّسمية نسبة إلى العلامة، بمعنى الإشارة والرّمز والدّليل، والمعرفةُ من العرف ضدّ النّكر، وهي ذلك المجال الّذي تُكونه موضوعات متنوعة، والّتي قد تتّصف بالعلم،[2] وقد اختلف الباحثون في شمولية أحدهم للآخر، أم لهما نفس المعنى؟

- الرأي الأول: يرى أنّ المعرفة أخصُ وأولى من العلم، لأنّها علم بعين الشّيء، وتتضمّن المعرفة معارف علمية وأخرى غير علمية، والعلم هو المعرفة المنسّقة الّتي تُنتج من الملاحظة والدّراسة والتّجربة وغيرها، فكلُ **علمٍ معرفة**، وليس بالضّرورة كل معرفةٍ علمًا،[3] كما أنّ لفظ المعرفة يفيد تغيّير المعلوم عن غيره، بينما لا يؤدّي لفظ العلم هذه الوظيفة، والمعرفة تستعمل في ما يدرك آثاره، ولا يدرك ذاته، والعلم يستعمل في ما يدرك ذاته، كأن تقول عرفت عمرو، ولا تقول علمت عمرو، فالعلم اختص به الإنسان فهو مكتسب، في حين أنّ المعرفة تكون بالجبلة، والّتي اهتدى إليها الإنسان وعرفها بعد تدبر وتفكير طويل.[4]

- الرأي الثاني: يرى أنّ العلم أخص من المعرفة، وكل **معرفة علم**، لأنها وُجدت قبله، وبوجود الانسان على الأرض، فهي أكثر شمولية، كونها المجال الّذي تُكوّنه مواضيع متنوعة، والّتي قد تتصف بالعلم أو لا تحوزها،[5] وتحدث بفعل التّقابل والاتّصال بين الموضوع المدرك والذّات المدركة،[6] وتتجاوز المعرفة حدود العلم، لتشمل

---

[1] محمّد زيان، المرجع السّابق، ص39، 40

[2] فوكو، المرجع السابق، ص40

[3] عبيدات وآخرون، المرجع السابق، ص5

[4] بليل عبد الكريم، **مختصر كتاب المفاهيم المفتاحية لنظرية المعرفة في القرآن الكريم**، ط1، مركز معرفة الانسان للدراسات والأبحاث والنشر والتوزيع، عمان، الاردن، 2016م، ص192

[5] فوكو، المرجع السابق، ص40

[6] بليل، المرجع السابق، ص193

البحوث والفروع ومختلف الفنون الّتي ليس لها مقام العلم، فهي كثيرة ومتنوعة بخلاف العلم، ومجال مفتوح وواسع من العتبات المتنوعة الّتي لا يُشكل العلم إلاّ إحداها.[1]

المعرفة في الأصل موجودة عند جميع الأفراد، وقد تحصل فطريًا أو ضروريًا، وتحتاج أحيانًا إلى النّظر والاستدلال، لذا قيل أن " المعرفة نتيجة عقل"، و" العقل غريزة، والمعرفة عنه تكون"،[2] والعلم فرع من حقول المعرفة، ويعتبر أحد موضوعاتها، ويُنظّم بياناتها، ويجد موقعه فيها من حيث أنّه يتحيز في شبكة من العلاقات، فالعلم في حد ذاته ليس موضوعا للعلم بقدر ما هو موضوع للمعرفة، فالمعرفة لا تُعرف بعلميتها أو بفقدانها له، ما دام العلم ذاته لا يُشكّلُ إلاّ جزءً من الحقل المعرفي،[3] بل تُقال لإدراك الجزئي أو البسيط، وتنصرف إلى ذات المسمّى، عكس العلم الذي يُقال لإدراك الكلي أو المركب، وينصرف إلى أحواله من فضل ونقض.[4]

أمّا المتصوفة فقد ميّزت بين **العلم والمعرفة**، فذكر الامام الجنيد أنّ المعرفة وجود جهلك عند قيام علمه، وقيل له زدنا، قال: هو العارف وهو المعروف.

وقال سهل أنّ العلم يثبت بالمعرفة، والعقل يثبت بالعلم، وأمّا المعرفة فهي تثبت بذاتها، بمعنى إذا عرّف العبد نفسه لله تعالى، فعرف الله تعالى بتعرفه إليه، أحدث له بعد ذلك علمًا، فأدرك العلم بالمعرفة، وقام العقل فيه بالعلم الّذي أحدثه فيه.

وقال غيره تَبَيُّن الأشياء على الظّاهرِ عِلمٌ، وتبيُّنُها على استكشافِ بواطنهَا معرفةٌ، وقال أبو بكر الورّاق " المعرفة معرفة الأشياء بصورها وسماتها، والعلم علم الأشياء بحقائقها " وقال غيره أنّ الله سبحانه وتعالى أبّاح لعامة النّاس العلم، واختصّ أولياءه بالمعرفة.[5]

ويذكر ابن القيّم الجوزية أنّ المعرفة هي العلم الّذي يقوم العالم بموجبه ومقتضاه، فهي لا تُطلق على العلم وحده، بل تطلق على كل من كان عالما بالله عز وجل، وبالطريق الموصل إليه، وبآفاتها وقواطعها

---

[1] فوكو، المرجع السابق، ص41

[2] بليل، المرجع السابق، ص 193

[3] فوكو، المرجع السابق، ص40.

[4] بليل، المرجع السابق ، ص 193

[5] أبو بكر محمد بن إسحاق الكلاباذي (ت 380هـ/ 990م)، **التّعرف لأهل التّصوف**، تع: أحمد شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993م، ص 72

وممنوعاتها.[1]

وقد وضح القُشّيري في رسالته، علاقة **المعرفة بالعلم**، وذكر أنّ المعرفة هي العلم، فكل علم معرفة، وكل معرفة علم، وكل عالم بالله عارف، وكل عارف عالم، والمعرفة صفة من عرف الحق سبحانه بأسمائه وصفاته، ثمّ صدق الله تعالى في معاملاته، ثمّ تَنقَّى عن أخلاقه الرديئة وآفاته، ثمّ طال بالباب وقوفه، ودام بالقلب اعتكافه، فخطى من الله تعالى بجميل إقباله، وصدق الله في جميع أحواله، وانقطع عنه هواجس نفسه..."[2].

واستنتاجًا، فقد تعدّدت مفاهيم السّلطة عند أهل المعرفة، والّتي يُقصد بها في العموم السّيطرة والنّفوذ، والقُدرة على التّحكم في الآخر، وكثيرًا ما ارتبطت بالمجال السياسي، وهي السُّلطان الحافظ للدّين، والقائم على أُمور المسلمين، في حين ظلّت المعرفة مرتبطة بالعلم في المفهوم العام، والّتي يقُودُها فرد أو جماعة تحمل أفكارًا ومعارفًا، لتتجسّد في الواقع، وتتحول إلى **سلطة معرفية**، فهي ليست مفهوم سياسي محض، بقدر ما توحي ببُروز ظاهرة خضوع جماعة بشرية لفرد أو مجموعة، الّتي تُنظّمه وتوجهه وتنشر أفكارها ومعارفها بينهم.

[1] أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية (ت751هـ/ 1350م)، **مدارج السّالكين بين منازل إيّاك نعبد وإيّاك نستعين**، مراجعة لجنة من العلماء، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ج3، دت، ص 353

[2] القشيري، المصدر السّابق، ص342

الفصل الأول: المعرفة عند الموحدين

أولا– المعرفة وتكوين الدّولة

ثانيا– انتشار المعرفة وازدهارها عند الموحدين

ثالثا– مكونات السُّلطة المعرفية في عهد الموحدين

أولا– المعرفة وتكوين الدّولة:

وظّف الدّاعية محمّد المهدي بن تومرت معارفه المكتسبة لتّغيير الواقع ببلاد المغرب الاسلامي، وقام بتوجيه النّقد للحكام المرابطين والعلماء والفقهاء المنطويين تحت لوائهم،، ليبدأ في تنفيذ مشروعه الهادف، القائم على الأمر بالمعروف والنّهيّ عن المنكر، ممّا أكسبه سُلطة قويّة مكّنته من التّأثير في المجتمع، انتهت بإحداث تغيّير سياسي شامل، أدّى إلى قيام دولة الموحدين.

1– المهدي ابن تومرت وتوظيف المعرفة:

يرجع فضل قيام دولة الموحدين إلى الدّاعية محمد المهدي بن تومرت (ت 524هـ / 1130م)،[1] الّذي استغل معارفه الّتي اكتسبها أثناء رحلته المشرقية في تنفيذ مشروعه الاصلاحي، القائم على الأمر بالمعروف والنهي على المنكر، كما جاء في القرآن الكريم {وَلتَكُن مِنكُم أُمَّةٌ يَدعُونَ إِلَى الخَيرِ وَيَأمُرُونَ بِالمعرُوفِ وَيَنهَونَ عَنِ المنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ المفلِحُونَ (104)}،[2] وعملا بما جاء في السنّة النبوية الشّريفة " لاَ تَزالُ طَائفَة مِن أُمَّتي ظَاهِرينَ عَلَى الحَقِّ، لاَ يَضُرُهُم مَن خَذَلَهُم حَتّى يَأتي أَمُر اللهِ وهُم كَذَلك".[3]

ورغم أنّ المصادر أغفلت الحياة العلمية لابن تومرت في صغره، كالمؤرخ البيدق في مصنّفه " أخبار المهدي ابن تومرت " الّذي لم يُدوّن شيئا عن دراسته في الصّغر،[4] وظلّ ذلك غامضا نوعا ما، إلاّ أنّ هناك إشارات توحي بتردده على الكتاتيب لحفظ القرآن الكريم، كما ذكر عبد الرّحمان بن خلدون: " فأما أهل

---

[1]هو محمد بن عبد الله المعروف بابن تومرت بن عبد الرحمان بن هود بن خالد بن تمام بن عدنان بن سفيان بن صفوان بن جابر بن يحي بن عطاء بن رياح بن يسار بن العباس بن محمد بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، فهو من أهل البيت، ومن هرغة من قبائل المصامدة، انظر: علي ابن أبي زرع الفاسي (كان حيا 726هـ/ 1325م)، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م، ص 172، عبد الواحد بن علي المراكشي (ت647هـ/ 1249م)، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تح: محمد سعيد العريان، القاهرة، 1963م، ص245

[2]سورة آل عمران، الآية 104

[3]أبو الحسن مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، إخراج وتنفيذ: فريق بيت الأفكار الدولية، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض، 1998م، رقم 1920، ص 795.

[4]عبد الله علي علاّم، **الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي**، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1967م، ص6

المغرب فمذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط، وأخذهم أثناء المدارسة بالرّسم ومسائله، واختلاف حملة القرآن فيه، لا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم ..وهذا مذهب أهل الأمصار بالمغرب ومن تبعهم من قرى البربر"[1]، ثمّ أقبل على المساجد للتعلُّم، ولازمها كثيرًا حتّى لُقِبَ بأسافو،[2] فهو شخص أحبّ العلم بشغفٍ، وسعى في تحصيله بكدٍّ وهمة وعزم.[3]

1.1- الرّحلة في طلب العلم:

جعل أهل المغرب من المشرق الاسلامي وجهة لهم لأجل تلقي العلوم والمعارف وتلقينها، فكانت الرحلة العلمية وسيلة لتحقيق ذلك، مما أكسبهم تفتق الذّهن، ورجاحة العقل، وصاروا أشدُّ نباهةً وكيسًا بفطرتهم الأولى.[4]

وعلى هذا الأساس، رغِب ابن تومرت في الرّحلة لطلب العلم على غرار أقرانه مع بداية المائة الخامسة، وقبل توجهه إلى المشرق، قصد الأندلس، ودخل دار العلم مدينة قرطبة، ثمّ ألمرية،[5] وزار مدنها، أين التقى بالقاضي أبو جعفر حمدين (ت548هـ/ 1153م).[6]

لم يطل مقام ابن تومرت بالأندلس، لأنّه لم يجد العلوم والمعارف الّتي يسعى لاكتسابها، ولم يبلغ مقصده، فغيّر وجهته العلمية، ففي عام 501هـ/ 1106م اتجه إلى المشرق الاسلامي،[7] وقصد الاسكندرية، أين التقى بأبي بكر الطرطوشي (ت 521هـ/1127م)، ثمّ توجّه إلى مكّة لتأدية فريضة الحجّ، والّتي لم يطل مقامه بها.[8]

في ظلّ النشاط العلمي، والزّخم المعرفي الّذي عرفه المشرق الاسلامي في عهد الوزير نظام الملك،

---

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص740

[2] ومعناه الضياء لكثرة ما كان يُسرج من القناديل بالمساجد لملازمتها، انظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص301

[3] عبد المجيد النجار، المرجع السابق، ص60

[4] ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص546

[5] ابن القطان المراكشي (ت منتصف القرن 7هـ)، **نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان**، در وتق وتح: محمد علي مكي، ط2، دار الغرب الاسلامي، القاهرة، 1990م، ص62

[6] عبد المجيد النجار، المرجع السابق، ص67

[7] عبد الواحد المراكشي، المصدر السّابق، ص245

[8] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 301

وبروز ملامح الجانب النّقدي الجدلي الّذي اشتركت فيه جميع المذاهب من أهل السنّة والمعتزلة والباطنية والفلاسفة وغيرهم،[1] ثمّ اتّجه ابن تومرت إلى العراق، التقى خلالها بالعلماء الكبار، وفحول النُّظار، وأفاد علما واسعا،[2] ومن أمثال هؤلاء أبو حامد الغزالي[3] الّذي لازمه ثلاث سنوات، فاختبره في أحواله الظّاهرة والباطنة، وتنبّأ بظهور أمره، وعلو سلطانه، واتّساع ملكه،[4] والكيّا الهراسي، والمبارك بن عبد الجبار، وأبو بكر الشّاشي، وأبو عبد الله محمد بن منصور الحضرمي،[5] آخذا عنهم الحديث، وأصول الفقه، وأصول الدين.[6]

التقى ابن تومرت أثناء إقامته بالعراق بأئمّة الأشعرية من أهل السنّة وانتفع بهم، وأُعجب بطريقتهم في الانتصار للعقائد السّلفية والّدفاع عنها بالبراهين والحجج العقلية، واستحسن رأيهم في تأويل المتشابه من الآيات والأحاديث، بعد أن كان أهل المغرب بعيدين عن ذلك،[7] فأثّرت في شخصيّته، وتحوّل إلى شخصٍ مجتهد، يقوم بتوظيف العقل في تأويل المتشابه من الآيات، وضرورة الجدل في القضايا الّتي تتعلّق بجوهر العقيدة الاسلامية.[8]

دامت إقامة ابن تومرت بالمشرق الاسلامي أكثر من أربعة عشر سنة، حصّل خلالها فنونا من العلم والمعرفة والأصول والكلام، جعلت منه رجلاً ورعًا، فصيحًا مُهيبًا، زاهدًا مُتقشفًا، شُجَاعًا جَلدًا عَاقلاً، عميقَ

---

[1] عبد المجيد النّجار، المرجع السابق، ص72

[2] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 301

[3] اختلف المؤرخون حول لقاء ابن تومرت بالغزالي، وذكر ابن خلدون أنّه لقي أبا حامد الغزالي، وفاوضه بذات صدره بذلك، فأراده عليه، لما كان فيه الاسلام يومئذ بأقطار المغرب من اختلال الدولة، وتقويض أركان السُّلطان الجامع للأمة، إلاّ الدراسات الأكاديمية، نفت هذا اللقاء، بحكم أن ابن تومرت دخل بغداد بعد سنة 504هـ، في حين أنّ أبو حامد الغزالي هجر بغداد، واتّجه إلى طوس للتعليم بها، وتوفي بها، لكن هذا لا يمنع من استفادته من الفكر الغزالي أثناء تواجده بالمشرق الاسلامي، انظر: ابن خلدون، المصدر السّابق، ج6، ص302، عبد المجيد النّجار، المرجع السّابق، ص77، ابن القطان، المصدر السابق، ص72، محمد عبد الله عنان، **تاريخ الاسلام في الأندلس** ، العصر الثالث، القسم الأول، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1990م، ص 161.

[4] ابن أبي زرع، المصدر السّابق، ص172

[5] عبد المجيد النّجار، المرجع السابق، ص83، 84، عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص245

[6] عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص269

[7] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 302

[8] أمبروسيو هويثي ميراندا، **التّاريخ السيّاسي للامبراطورية الموحدية**، ترجمة: عبد الواحد أكمير، ط1، مطبعة النّجاح، الدار البيضاء، 2004م، ص38

الفكرِ، بعيدَ الغور.[1]

ونشير أنّ المعارف الّتي تشبّع بها ابن تومرت في المشرق الاسلامي، لم تكن مجهولةً تمامًا في وسطه الاجتماعي عمومًا وببلاد المغرب الاسلامي خُصوصًا، بل كانت منتشرة في وسط فقهاء العصر، وإن رجع بشيء جديد، فلم يكن أصول الفقه وعلم الكلام، بل قُوّة الاقناع والقدرة على المناظرة والجدل والتّأثير في نفوس السّامعين لغةً وفصاحةً وإقناعًا.[2]

2.1- الدّعوة التُّومرتية:

بعدما حقّق ابن تومرت رغباته العلمية، وحصّل معارف غزيرة، كرّ راجعا إلى بلاد المغرب، وهو بحر متفجر من العلوم والمعارف، وشهابًا واريًا من الدّين،[3] حاملاً معه منهجًا جديدًا في الفهم، أراد به الدّعوة لنفسه، وتغيّير أسلوبَ الحياة الاسلامية على أساس من الأصول، والتّأويل العقلي،[4] فدفع به الحماس الدّيني إلى مباشرة دعوته، وكانت مدينة الاسكندرية أولى محطاته، فرفض الواقع، وقام بالأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، ناصحًا للحكامِ، واعظًا للعامةِ، مقبلاً غير مدبر، تبعًا لما جاء في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم " من رأى منكم منكرًا فليُغيّرهُ بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الايمان "،[5] فكبُر في أعيّن الناس، وتمكّن من عقولهم، وبالغوا في إكرامهِ، كل هذا دفع بالحاكم بالتّدخل وقام بطرده خارج المدينة.[6]

لكن ابن تومرت لم ييأس، واتّجه إلى طرابلس أولى بلاد المغرب، مُظهرًا لمذهبه، مُصلحًا للمُجتمع، ناقمًا على العلماء لالتزامهم السّكوت لما يحدث، فأخذ على نفسه تدريس العلم، والأمر بالمعروف والنّهيّ عن المنكر، حتّى لقيَ أذى نتيجة عمله الّذي احتسبه لله تعالى،[7] ثم دخل مدينة المهدية، ونزل قسنطينة وبجاية،

---

[1] ابن العماد شهاب الدّين الحنبلي (ت 1089هـ/ 1679م)، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تح وتع: محمود الأرناؤوط، المجلّد 6، ط1، دار ابن كثير، بيروت، لبنان، 1986م، ج6 ص117.

[2] الحسين أسكان، **الدولة والمجتمع في العصر الموحدي**، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2010م، ص69، 70

[3] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص302

[4] ابن تومرت، المصدر السّابق، ص5

[5] مسلم، صحيح مسلم، رقم 49، ص51

[6] ابن القطان ، المصدر السابق، ص 91

[7] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 302

وواصل نشاطه الدّعوي،[1] وظلّ مُصممًا على الحقّ، لا تأخذهُ في الله لومة لائم، وفيهما قام بتدريس معارفه والوعظ والارشاد، فاجتمع حوله النّاس، فمالت إليه قلوبهم،[2] وبمدينة بجاية الّتي طال مقامه بها، اجتهد في نشر معارفه، وأقبل عليه الفُقَهاءُ للأخذ عنه والانتفاع به، أمثال يوسف بن الجزيري الجراوي، وعبد الرّحمان بن الحاج الصنهاجي القاضي، وابراهيم بن محمّد الميلي وغيرهم، خاصةً في شهر رمضان، واستطاع تغيّير المنكر بيده في الطّريق العام، أثناء اختلاط الرّجال بالنّساء في عيد الفطر، فوصل فعله إلى السُّلطان الحمّادي العزيز بن المنصور بن النّاصر بن علّناس من أمراء صنهاجة، وكان من أمراء اللّهو والتّرف، فأنكَرَ السُّلطان أفعاله وتصرُّفاته، وازداد غضبًا وأغلظ له القول ولأتباعه، فشعر ابن تومرت بالخطر، ورأى ضرورة نشر دعوته في مكان أكثر أمنًا، فخرج من المدينة خائفا يترقب، فكانت وجهته ملاّلة[3]، فآوته بنو العزيز إحدى قبائل صنهاجة، الّتي كان لها اعتزَاز ومنعة، فطلب منها السُّلطان تسليم ابن تومرت له، فرفضت وأبت، ودافعت عنه.[4]

3.1- ابن تومرت والبُنية المعرفية:

اتّجه ابن تومرت رفقة أنصاره إلى قرية ملاّلة في ضواحي بجاية، وبنى فيها مسجدًا لنشر معارفه، وظلّ يُدرّسُ العِلمَ أيَّامًا في حمايتهم، وتوافد عليه طلبة العلم من كل مكان للأخذ عنه، وواصل نشاطه الدّعوي بتغيّير المنكر دون تقصير كإهراق الخمر، ومنع الاختلاط،[5]والظُّهور بمظهر فقيه فقير، يريد فرض سلطة معرفية تأصيلية الغاية منها إسقاط سلطة المرابطين المالكية.[6]

---

[1]أبو بكر بن علي الصنهاجي البيدق (ت القرن 06هـ/ 12م) **أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين**، دط، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971م، ص 11- 13

[2]مجهول (ت القرن 08هـ/ 13م)، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، تح: سهيل زكار و عبد القادر زمامة، ط1، دار الرشاد الحديثة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، 1979م، ص 106، ابن خلدون، العبر، ج6، ص 302، ابن القطان، المصدر السابق، صص 92، 93

[3] هي قرية بظاهر بجاية، تقع على بعد فرسخ منها، كانت تسمّى بالبربرية تاملالت، أنظر: البيدق، المصدر السّابق، ص13، ابن أبي زرع، المصدر السّابق، ص 173.

[4] علي علاّم، المرجع السابق، ص57، البيدق، المصدر السابق، ص13

[5]البيدق، المصدر السابق، ص13

[6]عومري عقيلة، **جدل السّلطة العلمية والسياسية في التجربتين المرابطية والموحدية (445- 668هـ/ 1053- 1269م)**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث في العلوم الاسلامية، إشراف: سرحان بن خميس، كلية العلوم الاسلامية، قسم اللغة والحضارة الاسلامية، جامعة باتنة1 الحاج لخضر، 2019/ 2020م، ص265

وبملاّلة التقى ابن تومرت بعبد المؤمن بن علي (ت 558هـ/ 1163م) سنة 512هـ/ 1118م، المقبل على طلب العلم والتّزود بالمعارف، فاستبشر به خيرًا، وسُرّ بلقائه، واختصَّهُ لنفسه، لما لمح فيه صفات الرّجل القائد، كالذّكاء والفراسة والفطنة والنبوغ والاقدام والشّجاعة وحب العلم، فأفضى إليه بسرّه، وطلب منه مصاحبته، ومساعدته على ما هو مقبل عليه، وبصدد الاعداد له، من القضاء على المنكر، وإحياء العلم، وإخماد البدع، فأقنعه بالبقاء إلى جانبه لمؤازرته، وأفاده بجملة من معارفه، وكرّ معه راجعًا.[1]

اختار ابن تومرت المغرب الأقصى كوجهة له، و في طريقه ظلّ يتخيّر الرّجال الأكفاء لضمّهم إلى دعوته، أمثال عبد الواحد الشرقي، وعبد الله بن محسن الونشريسي، ملقيًا لدروس الوعظ في العقيدة على الطريقة الأشعرية الّتي نالت إعجاب أتباعه، حتّى وصل بهم الأمر إلى القول " تعالوا بنا إلى الفقيه السُّوسي".[2]

وقد حرص ابن تومرت على عداء المرابطين، والترويج لمعارفه، فقام بتشويه صورتهم أثناء ملكهم، فوصفهم " بأنّهم حفاة عراة وعالة، وجاهلون بأمر الله تعالى، ولما تملّكوا البلاد، تطاولوا في البُنيان، واستكثروا من الجواري، فصدعوا عن قول الحق والدّفاع عنه، واعتبر ذلك من أشراط قيام السّاعة، ونسبَ إلى المرابطين الكثير من المناكر والمغارم، وقسى على فئة الفقهاء المتملقين أصحاب الأهواء، والّذين يفتون حسب ما يريده الحاكم، ووصفهم بالجهلة، وألقى اللّوم على المجتمع المرابطي الّذي تشبه نساءه بالرّجال فيكشفن عن وجوههن بلا لثام، ورجاله الذين تشبهوا بالنساء فيتلثمون، واتّهم المرابطين بهدم الدّين، وتضيّيع السنّة، والفساد في الأرض، واستباحة أكل أموال النّاس بالباطل، وأخذ أموال اليتامى والأرامل، ومعاداة الصالحين من رجال العلم، وتعذيب النّاس على دينهم، لذا أوجب الجهاد ضدّ ثلاث فئات، أولها الملثمون أهل التّجسيم، والبرابرة المفسدين، والفقهاء (المكارين) الذّين نسبوا أنفسهم إلى السنّة، وتزيّنُوا بالفقه".[3]

وأمام المعطيات التّاريخية الّتي تبنتها أقلام بعض مؤرخي الفترة الموحدية كالبيدق وابن صاحب الصلاة

---

[1] الحافظ الذهبي (ت 748هـ/ 1347م)، **العبر في خبر من غبر**، تحقيق وضبط أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، ط1، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1985م، ص 421، صلاح الدّين خليل بن أيبك الصفدي (ت 764هـ/ 1362م)، **الوافي بالوفيات**، تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، ط1، ج3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 2000م، ص 262، عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص248.

[2] البيدق، المصدر السّابق، صص18، 19، توفيق مزاري عبد الصمد، **التنظيمات العسكرية المغربية في عهدي المرابطين والموحدين**، منشورات دار الثقافة حسن الحسني، المدية، الجزائر، 2009م، ص18

[3] ابن تومرت، المصدر السابق، ص 242 – 250، 262

وغيرهما، وقع أصحابها في المبالغة والاستطراد في الأحداث، والانحياز للحاكم، وأضفوا الكثير من السّلبيات على المرابطين، وهي معارف لاَ يُمكن إسقاطها، لكن من باب الانصاف وجب تثمين دور المرابطين في الحفاظ على الأندلس كدار للإسلام، ومطلع شُموس العلوم وأقمارها، ومركز الفضائل وقطب مدارها، حيث عمل السُّلطان يُوسف بن تاشفين (ت 500هـ/ 1106م) على تعزيز المعارف الّتي ورثوها عن السّابقين، وشجّع العلم والمعرفة، فوفد إليه من الأندلس الكثير من العلماء الفطاحل في مختلف الفنون، حتّى أشبهت حضرته حضرة بني العبّاس في صدر دولتهم، واستمر ذلك في عهد ابنه علي (ت 537هـ/ 1142م) الّذي اشتّد إيثاره لأهل الفقه والدّين، وكان لا يَقطعُ أمرًا إلاّ بعد استشارة الفقهاء، فبلغت المعرفة الفقهية في أيّامه مبلغًا رفيعًا،[1] كما ازدهرت العلوم والآداب، وكثُرَ النُّبَهاء، خاصةً الكّتّاب.[2]

لكن من جهة أخرى، لو لم يكن للدّاعية ابن تومرت معرفة قد بلغت حدًا من الأهمية وقوة التّأثير، لما انطوى كبار المؤرخين والفقهاء تحت لوائه بالتزّكية والدّفاع عنه، فابن تومرت استغل أزمة المذهب المالكي المتمثلة في تقليد أتباعه للأقوال دون اللُّجوء إلى التّأصيل، وعمد إلى بناء مبدإ فقهي جديد قائم على الاجتهاد الّذي رأى فيه عنوانًا للمرحلة، ووظّفَ معارفه وأفكاره في نشر دعوته، والتّضييق على النّظام المرابطي القائم، بل والقضاء عليه، فبدأ يبشر بظهور طائفة تدافع عن الحقّ بوصفها مقصودة بالحديث النبوي الشريف: " لا تزال طائفة من أُمتّي يُقاتلون على الحقّ ظاهرين إلى يوم القيامة "، وهذه الطائفة يقودها المهدي المنتظر، لأنّ الايمان بالمهدي واجب، وأنّ من شكّ فيه كافر، وأنّه معصوم في ما دعا إليه من الحق، لا يجوز عليه الخطأ فيه، وأنّه لا يُكابر ولا يُضاد، ولا يُدافع ولا يُعاند، ولا يُخالف ولا يُنازع، وأنّه فرد في زمانه، صادق في أقواله، وأنّه يقطع الجبابرة والدجاجلة، وأنّه يفتح الدنيا شرقها وغربها، وأنّه يملؤها بالعدل، كما مُلئت بالجُور، وأنّ أمره قائم إلى أن تقوم السّاعة.[3]

أقام المهدي ابن تومرت دعوته الاصلاحية على المعارف الدّينية، وهو الوتر الحسّاس الّذي قامت عليه الدولة المرابطية سابقا، عندما اتّهمهم بأنّهم كفار خارجين عن الاسلام، ومرتكبين للكثير من المنكرات، وإباحة

---

[1] عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص 227، 235

[2] ابن الأبار أبو عبد الله محمّد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ت658هـ/ 1259م)، **المعجم في أصحاب القاضي الصدفي**، تحقيق: ابراهيم الابياري، ط1، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1989م، ص63

[3] ابراهيم حركات، المرجع السّابق، صص360، 361

المحرّمات، كشُرب الخمر، والفُسق، والتّعدي على الحُرمات، وأكل أموال النّاس بالباطل وغيرها،[1] فانطلق يصنع تاريخا بما يُقيمه في مجتمعه من جدلية دائمة بين الحقّ الّذي يُريده أن ينتشر والقائم على مبادئ الدّين الاسلامي، وبين الواقع المعاش المعاكس لأفكاره المعرفية،[2] فهو أراد أن يُكوّن رأي عام يُثبت من خلاله ذاته وسلطته المعرفية، والقائمة على أفكار مخالفة تمامًا لتلك المنتشرة بالمغرب الاسلامي، والظُّهُور بمظهر عالم فقيه فقير، لا يخشى إلاّ الله تعالى، لا يريد دنيا، بل هو طالب آخرة، يُريد أن يملأ الأرض عدلاً وقسطًا، كما ملئت ظُلمًا وجُورًا.[3]

4.1- ابن تومرت في حضرة السُّلطان المرابطي:

ظلّ ابن تومرت متنقلا من بلد لآخر ينشر دعوته، حتّى دخل مراكش سنة 514هـ/ 1120م، ومعه تلميذه عبد المؤمن بن علي، ورأى فيها من المنكرات ما لم يراه سابقا في غيرها، فشرع في تغيير الواقع، لا تأخذه في الله لومة لائم، مستغلاً الأوضاع السياسية والاجتماعية التي آلت إليها دولة المرابطين، وظهور بعض مراكز القوى المتمثلة في الولاة والحكام مغربا وأندلسا، وتراجع هيبة وشخصية الحاكم المرابطي علي بن يوسف (ت537هـ/ 1142م)، وانتشار الظلم والفساد وحتى الاستبداد، وسيطرة النّساء على الحكم، في غفلة من ولي الأمر، وغير ذلك من ضروب الفساد، وهذا ما أكّده المؤرخ المراكشي في قوله: " واختلت حال أمير المسلمين رحمه اللّه بعد الخمسمائة اختلالاً شديدًا، فظهرت في بلاده مناكر كثيرة، وذلك لاستيلاء أكابر المرابطين على البلاد، ودعواهم الاستبداد، وانتهوا إلى ذلك إلى التّصريح، فصار كل منهم يُصرّح بأنّه خير من علي أمير المسلمين، وأحقُّ بالأمر منه، واستولى النّساء على الأحوال، وأُسندت إليهن الأمور، وصارت كلُّ امرأة من أكابر لمتونة ومسُّوفة مشتملة على كلّ مفسد وشرير، وقاطع سبيل، وصاحب خمر "،[4] حتّى وصل به الأمر إلى الإنكار على أخت الأمير علي بن يُوسف (ت 537هـ/ 1142م)، والنّساء المرافقات لها، فقام بضرب الدواب، فسقطت أخت الأمير عن دابتها، مما أثار غضب الأمير، فطلب بإحضاره إلى حضرته، فرأى

[1] عنان، المرجع السابق، ص 169

[2] عبد المجيد النجار، **تجربة الاصلاح في حركة المهدي بن تومرت**، ط2، هيرندن، فيرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، 1995م، ص34

[3] ابن أبي زرع، المصدر السّابق، ص173، 176، ابن القطّان، المصدر السّابق، صص76، 78

[4] عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص141

فيها ابن تومرت الفُرصة النَّادرة والمتاحة، وجب استغلالها بإبراز قدراته المعرفية أمام الحاضرين.[1]

دخل ابن تومرت على الخليفة علي بن يوسف (ت 537هـ/ 1142م)، فسأله هذا الأخير: ما هذا الّذي بلغنا عنك؟، فقال ابن تومرت: وما بلغك أيُّها الأمير ؟، إنّما أنا رجل فقير، طالب الآخرة ولست بطالب دنيا، ولا حاجة لي بها، غير أنّي آمر بالمعروف ،أنهى عن المنكر، وأنت أوّل من يفعل ذلك، فأنت المسؤول عنه، وقد وجب عليك إحياء السنّة، وإماتة البدعة، وقد ظهرت بمُلكك المنكرات وفشت البدع، وقد أمرك الله بتغيّيرها، وإحياء السنّة بها، إذ لك القُدرة على ذلك، وأنت المأخوذ به، والمسؤول عنه، وقد عاب الله تعالى قومًا تركوا النّهي عن المنكر.[2]

يبدو أنّ الدّاعية ابن تومرت وقوة معارفه المبنية على الحجج العقلية، أثّرت مباشرةً في شخصية الخليفة المرابطي علي بن يُوسف، وفهِمَ عُلماء المجلس نيّة ومقصد ابن تومرت، فتدخّل مستشار الخليفة الفقيه مالك بن وهيب (ت525هـ/ 1130م)[3] فقال للخليفة: إن لم تسجنهم وتُنفق عليهم كلّ يوم دينارا، وإلاّ أنفقتَ عليهم خزائنك، فلم يستوعب الخليفة نصيحة وكلام مجلسه، وهوّن من أمره، وقال:" ليقضي الله أمرا كان مفعولا "،[4] وظلّ مستشاره مالك ابن وهيب مصِرًا على الخليفة ليقبض عليه وعلى أنصاره، وأعلمه بخطورة هذا الرّجل وفساده، ولا تُؤتمن غائلته، خوفًا من فصاحته ورجاحة عقله وقوة معارفه، وتأثيره على عقول النّاس بمعارفه المكتسبة، وإن احتضنه المصامدة وتمسّكت به، سيصدر عنه لا محالة شرّ كبير لا يمكن توقيفه،[5] وأشار عليه بسجنه، لكنّ الخليفة عفى عنه وسرّحه، وطلب منه الدُّعاء.[6]

---

[1] عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص141، ابن خلدون، العبر، ج6، ص303

[2] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص174

[3] هو مالك بن يحي بن وهيب بن أحمد بن عامر بن أيمن بن سعد الأزدي، من أهل إشبيلية، وأحد رجال الكمال، والارتسام بمعرفة العلوم على تفاريعها وأنواعها، وكانت الدراية أغلب عليه من الرواية، انظر: أبو القاسم ابن بشكوال (ت578هـ/ 1182م)، **الصّلة في تاريخ أئمّة الأندلس وعُلمائهم ومُحدّثيهم وفُقَهائهم وأُدبائهم**، تحقيق وتعليق بشار عوّاد معروف، ط1، المجلد2، دار الغرب الاسلامي، تونس، 2010م، ص261، البيدق، المصدر السابق، ص27، عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، صص 253، 254.

[4] سورة الأنفال، الآية 42.

[5] ابن الأثير عز الدين أبو الحسن علي (ت 630هـ/ 1232م)، **الكامل في التاريخ**، تصحيح ومراجعة: محمد يوسف الدقاق، المجلد 9، ط4، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003م، ص196.

[6] ابن العماد، المصدر السابق، ص118

والملاحظ أنّ ابن تومرت تفوّقَ على البُنيَة المعرفية في المجتمع المغربي آنذاك، معتمدًا على رصيده المعرفي، ومن خلاله رَسَمَ طريقه بما بذله من جهود لنشر تلك المعارف، وتحويلها إلى سلطة واقعية، استغلها في قلب الحكم على المرابطين، وتأسيس دولة جديدة، سُميّت بالدّولة الموحدية.

5.1- ابن تومرت وتأسيس السُّلطة المعرفية في الشّمال:

بعدما شعر ابن تومرت بخطر الأمير المرابطي علي بن يوسف، خرج مع أتباعه إلى السُّوس، ونزل تينملل[1] الّتي جعلها مقرًا لدعوته، فاجتمع له كبار المصامدة فبايعوه، [2] وبدأ في نشر معارفه بينهم، بتدريس العلم والدّعوة إلى الخير، من غير أن يُظهر لهم نيّته أو رغبةً في الملك،[3] وصنّف لهم عقيدة بلسانهم، فعظم في أعيُنهم، وأحبته قُلوبهم، فلما تمكّن منهم، باشر في الأمر بالمعروف، والنّهي عن المنكر، ونهاهم عن سفك الدّماء، ونشر في عقولهم فكرة المهدي وعظمتها، وجمع الأحاديث التي جاءت في فضله، وادّعى المهدية لنفسه، وقال: " أنا محمد بن عبد الله، وسرد له نسبا إلى علي رضي الله عنه، وصرّح بدعوة العصمة، وأنّه المهدي المعصوم، فبسط يده للمُبايعة، فبايعوه،[4] فقال: أُبايعكم على ما بايع عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلّم،[5] وانتشر تلاميذه في البلاد يدعون إلى بيعته، ويُقنعون النّاس بإمامته، وينشرون في قلوبهم محبتّه ودعوته باللّين والحُسنى، فقصدوه للمبايعة، والتبرك برؤيته، حتّى ارتفع شأنه، وقوي سُلطانه.[6]

وبما أنّ الملك منصب شريف، يشمل زخرف الدنيا وخيراتها، فيقع فيه التّنافس ويشتّد، وصاحبه لا

---

[1]هي موضع في قلب جبال الأطس، قريب من منابع وادي نفيس الّذي يجري شمالاً، لا يسلك إليه إلاّ عن طريق ممّر ضيّق أو خانق، فهي تقع في فسيح ضغير من الأرض غني بالزروع والمياه، وفيه تقوم منازل قبيلة هرغة قبيلة ابن تومرت، انظر: عبد الواحد المراكشي (ت647هـ/ 1249م)، **وثائق المرابطين والموحدين**، تح: حسين مؤنس، ط1، مكتبة الثّقافة الدّينيّة، بور سعيد، 1997م، صص 73، 74

[2]البيدق، المصدر السابق، ص34

[3]عبدالواحد المراكشي، المصدر السابق، ص254

[4]أول من بايعه عبد المؤمن بن علي، ثمّ أبو إبراهيم، ثمّ بعده عمر أصناك، ثمّ عبد الواحد الشرقي، ثمّ عبد الله بن محسن الونشريسي، انظر: البيدق ، المصدر السابق، ص34

[5]شمس الدين الذّهبي (ت748هـ/ 1347م)، **تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تحقيق وضبط: بشار عواد معروف، ط1، ج11، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 2003م، ص 414، عنان، المرجع السابق، ص 224

[6]ابن عذارى المراكشي (ت712هـ/ 1312م)، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، ط2، ج4، تح ومر: إحسان عبّاس، دار الثّقافة، بيروت، لبنان، 1983م، ص68، ابن أبي زرع، المصدر السابق، صص176، 177

يتنازل عنه لأحد آخر، إلاّ إذا غلب عليه، ولا يحدث ذلك إلاّ بالعصبيّة، واتّفاق الأهواء على المطالبة، وجمع القلوب وتأليفها، بتوفيق من الله عزّ وجلّ في إقامة دينه، قال تعالى: { وأَلَّفَ بين قُلُوبِهِم لَو أَنفَقتَ مَا فِي الأَرضِ جَمِيعًا مَا ألّفتَ بَينَ قُلُوبِهِم ولَكنَّ اللهَ ألّفَ بَينَهُم إِنَّهُ عَزِيزٌ حكِيمٌ (63)}،[1] فالقلوب إذا أرادت الحق وانصرفت إليه، ورفضت زخرف الدُّنيا وباطلها، وجعلت الله سبحانه وتعالى مقصدها، يحدث التّعاون والتّعاضد والوحدة والتّلاحم، ويتسّعُ نطاقُ الحقّ، فتقومُ الدولة وتعظُم، وتزدادُ قوةً إذا تحلّت بالصّبغة الدّينية، وهذا ما فعله محمد المهدي ابن تومرت، لما احتضنته قبائل المصامدة، فتضاعفت عصبيتهم وقوتهم بها.[2]

وعلى هذا الأساس كثُرَ أتباعُ ابن تومرت، ورأى أنّ الفرصة قد حانت لتنفيذ طموحه السياسي، والتنظيم الجيّد لأتباعه، وتصنيفهم إلى فئات العشرة والخمسين والسبعين وغيرهم،[3] والتّمييز بينهم، ما بين موحد ومنافق[4] –كون السُّلطة تحتاج لتنظيم محكم في الزمان والمكان – ،[5] ولم يقُم بذلك إلاّ بعد شُعوره بشُكوك انتماء القبائل إلى حركته، وخروجها عن طاعته متى سمحت لها الفُرصة، كل ذلك دفعه إلى تغيير ولاء الفرد الضيّق للقبيلة إلى ولائه الشّخصي باعتباره المهدي قائد الدّعوة وروحها.[6]

بعد تمكين ابن تُومرت للتّنظيم الدّاخلي، رأى أنّ الخروج عن الحاكم أمر مستعجل،[7] واللّجوء إلى التّغيير الثّوري ومواجهة المرابطين عسكريًا ضرورة حتمية لا بُد منها لإزالة السُّلطة القائمة، واستدلّ على قتالهم بقول الله عزّ وجل: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنوُا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِنَ الكُفَارِ، وَليَجِدُوا فِيكُم غِلظَةً واعلَمُوا أَنَّ اللهَ

---

[1] سورة الأنفال، الآية 63

[2] ابن خلدون، العبر، ج1، ص 193، 197، 198، 199

[3] مجهول، المصدر السابق، ص108، عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص255

[4] ابن خلدون، العبر، ج6، ص303، ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص179.

[5] بول كلافال، **المكان والسلطة**، ترجمة: عبد الامير ابراهيم شمس الدين، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1990م، ص27

[6] مصطفى بنسباع، **السُّلطة بين التّسنُن والتّشيع والتّصوف ما بين عصري المرابطين والموحدين**، ط1، مطابع الشويخ، تطوان، 1999م، ص57

[7] يذكر ابن تيمية أنّ الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، لا يكون بمُنكَرٍ أكبر منه، رغم أنّه من أعظم الواجبات والمستحبات الّتي لابد أن تكون المصلحة فيها راجحة على المفسدة، وإن كان متضمّنًا لتحصيل مصلحة، ودفع مفسَدَة، فَيَنظُر في المعَارِض لهُ، فَإن كانَ الّذي يفوت من المصَالِح، أو يحصُل من المفَاسِدِ أكثر، لَم يَكُن مأمورًا به، بَل يَكُون مُحرمًا إذا كانت مفسدتُهُ أَكثَر من مصلحتهِ، انظر: تقيّ الدّين أحمد بن تيمية الحرّاني، **مجموع الفتاوي**، اعتناء وتخريج: عامر الجزّار وأنور الباز، ط1، ج28، دار الوفاء، للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، 1997م، صص83، 85.

مَعَ المتّقِينَ (123)}،[1] ورأى في العنف هو الوسيلة الطبيعية للسُّلطة (السُّلطة اللّدنية) من حيث احتكارها وشرعيتها،[2] فانتقل من السُّلطة المعرفية إلى السُّلطة السيّاسية، وأقبل على إعداد جيش من أتباعه، وأمَّرَ عليه عبد المؤمن بن علي، وقال: أنتم المؤمنون، وهذا أميركم،[3] وأمرهُ بالخروج إلى مراكش لملاقاة المرابطين، فكانت المواجهات خلال السنوات الثلاث الأولى (516هـ – 518هـ / 1122 – 1124م) قويةً، نتج عنها سيطرة الموحدين على منطقة السوس،[4] لكن واقعة البحيرة سنة 524هـ/ 1130م، الّتي انهزم فيها الموحدون انهزامًا ساحقًا، والّتي أَسفرَت عن فقدانِ الكثير من أتباعه، منهم أبو محمد البشير قائد الجيش، فكان للهزيمة الأثر البالغ على ابن تومرت وأتباعه.[5]

لم ييأس ابن تومرت، وظلّ يبثّ الأمل في نفوس أنصاره، ويُهوّن عليهم، وأكّد لهم أنّ النّصر قريب، وأنّ العاقبة حميدة، فلا يضجروا، وليستأنفوا القتال من جديد، وأنّ الله سبحانه وتعالى سيفتح على أيديهم، وأنهم يقلون ويكثرون، ويضعفون ويقوون، وأنهم في بادئ الأمر، والمرابطون في آخره.[6]

وتتمةً لما سبق، قام ابن تومرت بتوظيف معارفه، وتغيير أوضاع الأُمة بلسانه ويده، وتصدّى للمفسدين والظّالمين، وهداية الضالين، وتوحيد المشتّتين، وإيقاظ الغافلين، وإحياء القلوب الميّتة، والأذهان والعقول الجامدة، كما جاء في مؤلفه " أمّا أصحاب الفتن فهم الرؤوس الجهلة، والملوك الفجرة، والدجاجلة الطُّغاة، والجبابرة العناة، والملبسون والمفسدون، والمفتونون والمارقون، .."،[7] فقد جعل من نفسه داعيّة أين ما حلّ وارتحل، يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، أراد الالتزام بانتقائية متميّزة ومتفرّدة، تهدف إلى ترسيخ مبدإ الاجتهاد، القائم على مبدأين أساسيين، أولّها ضرب منهج الفروع لفقهاء المالكية، وثانيها غلق الطريق أمام أيّ

---

[1] سورة التوبة، الآية 123.

[2] فوكو، المرجع السّابق، ص 44

[3] عبد الواحد المراكشي، المصدر السّابق، ص260

[4] ابن أبي زرع، الأنيس، المصدر السابق، ص178، عنان، المرجع السابق، ص180

[5] صالح بن قربة، **عبد المؤمن بن علي مؤسس دولة الموحدين**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1991م، ص18، 19، مجهول، المصدر السابق، ص116، البيدق، المصدر السابق، ص40

[6] أبو بكر ابن خلكان (ت 681هـ/ 1386م)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تح: إحسان عباس، المجلد 5، دار صادر، بيروت، لبنان، 1988م، ص 53

[7] ابن تومرت، المصدر السابق، ص6

محاولة يُمكن أن تقوم مستقبلاً في وجه الحركة الموحدية باسم الاجتهاد والتّجديد،[1] وتشاء الأقدار أن اشتد المرض بابن تومرت، فتُوفيّ سنة 524هـ/ 1130م، دون أن يرى مشروعه النُّور، بعد أن وضع أسسه، وقطع أشواطًا كبيرةً منه.

والملاحظ أنّ المعرفة التُّومرتيّة الّتي جمعت بين الرُّجوع إلى الكتاب والسنّة، وبين مفاهيم المهدية والعصمة والامامة، استطاعت أن تُغري المصامدة وتُقنعهم بأهمية دعوة المهدي الّذي يملأ الأرض عدلاً كما مُلئت جُورًا، وإنقاذ المجتمع من الشُّرور وتطهيره من المفاسد، فإنّها من النّاحيّة الواقعية قد قيّدت الدولة لاحقًا، بدليل أنّها لم تستطع أن تُقنع الفئة العالمة كالفقهاء والمتّصوفة وحتّى العامّة إلاّ في حدود ضيّقة، وظلّت عائقًا بين المجتمع الأندلسي وبين الولاء الكامل للموحدين.[2]

2- عبد المؤمن بن علي على منهج شيخه:

1.2- تأسيس الدّولة الموحدية بالمغرب:

أثناء مرض ابن تومرت وشعوره بقرب أجله، وخوفًا من فشل الدّعوة وتفرّق الجمعِ من بعدهِ، عقدَ اجتماعًا للمصامدة، وذكّرهُم على ما هم مُقبلون عليه، وأشار عليهم باختيار تلميذه عبد المؤمن بن علي كخليفة له، إذ قال: " واعلمُوا معَ هذا أنّه لا يصلحُ أمرُ آخرِ هذهِ الأمةِ إلاَّ على الّذِي صلحَ عليهِ أمرُ أوّلها، وقد اخترنَا لكُم رجلاً منكُم ..، وإنّي لأرجُو ألاّ يُخلفَ الظنَّ فيهِ، وهذَا المشارُ إليهِ هو عبدُ المؤمن بن علي، فاسمعُوا لهُ وأطيعُوا، مَا دامَ سامعًا مطيعًا لربّهِ .."[3].

بايع الموحدون عبد المؤمن بن علي الّذي سار على نفس المنهج الّذي أراده شيخه، بقوةً وعزمٍ، ومواظبةٍ والتزامٍ، وضاعف جهوده من أجل تجسيد السُّلطة المعرفية بالشدّة واستعمال السيّوف الحداد،[4] ولم

---

[1] مليكة عقون، **إشكالية الامامة في الفكر السياسي العربي الاسلامي – المهدي بن تومرت انموذجا**-، اش: عبد اللاّوي محمّد، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم، تخصص فلسفة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران، 2012م/ 2013م، ص65

[2] محمد المغراوي، **الموحدون وأزمات المجتمع**، ط1، جذور للنشر، الرباط، 2006م، ص145

[3] عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص264

[4] ليفي بروفنسال، **مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية**، ج10، المطبعة الاقتصادية، الرباط، المغرب، 1941م، ص133

يهدأ له بال، فكانت حركته على المناطق المناوئة له ببلاد المغرب، وإخضاعها لحكمه كُليًّا،[1] فدخل تادلا و وهران وتلمسان ومكناسة وفاس وسلا وسبتة،[2] واستأصل شأفة المناطق المناوئة، حتّى انقادت لطاعته،[3] ومن حين ولايته لم تزل أمور الموحدين تعلو وترتفع، وأحوالهم ترتقي أكثر، حتّى تمكّنوا من السّيطرة على بلاد المغرب، ولم تبق للقائد عبد المؤمن بن علي سوى مراكش،[4] الّتي وضعها كهدف أساسي له، وضرب عليها حصارا دام أشهر، فضيّق على المرابطين، وبعد حرب سجّال معهم، استطاع دخول المدينة سنة 541هـ/ 1146م، والقضاء على ما تبقى من المرابطين.[5]

وواكب تأسيس الدولة الموحدية، وتوسيع مجالها الجُغرافي ببلاد المغرب، نشر المعرفة في أوساط المجتمع من خلال الرسائل الّتي أرسلها إلى الأمصار، من بينها الرّسالة الّتي بعث بهَا إلى أهل بجاية يدعوهم فيها إلى الالتزام بالمعرفة التومرتية، والأخذ بعلم التّوحيد، ويأمر طلبة الحضر ومن في معناهم بقراءة العقائد وحفظها، وتعاهُدها على سبيل التّفهُم والتَّبيُّن، والتّنَبُه والتَّبصُّر، وقراءة العقيدة " المرشِدَة "، كما أرسل نُسخًا من كتاب " أعزُّ ما يُطلب " إلى الأمصار، يأمُرُهم بالتّقيُد والالتزام والعمل، كونه " الملاذُ والمعاد، وعليه الاعتماد والاستناد، وإليه المرجع والمفزَعُ، ..الّذي انتَظَمَ به الأمرُ على سُنَنِ الهُدَى، واستَقَامَ على نهج التَّقوَى، فَمَن عَانَده أَو خَالَفَهُ أَو ضَّاده أَو كابَره أو عصاهُ أَو نَاواهُ أَو جهله وأَهملَ أَمرَه، فقد حَاقَ به الرّدى، فالانقياد لما يقضي واجب، والاستمساك بأمره حَتم، والرُّجوع إليه في أمر الدّين والدّنيا فرضٌ "،[6]

ويجبُ أن نُنَوه أنّ عبد المؤمن بن علي كان صارمًا في فرض المعارف الّتي وضعها ابن تومرت، وعاقب كل من حاد عنها، ولم يتسامح معه، خاصةً مع الّذين لا يحترمون مبادئ التّوحيد ولا يعملون بها، ولو كانوا من عشيرته الأقربين، الّذين قبلوها نفاقًا ورياءً وليس عن إيمان صحيح، فلجأ إلى التّميّيز بينهم، وقتل عشرة من

---

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 306، ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 185

[2] ابن الأثير، المصدر السابق، المجلد9، ص 201- 204

[3] عبد العزيز سالم، **تاريخ المغرب في العصر الاسلامي**، ط2، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، الاسكندرية، 1982م، ص 701

[4] مجهول، المصدر السابق، ص 143

[5] ابن عذارى المراكشي (ت 712هـ/ 1312م)، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب – قسم الموحدين–**، تحقيق: محمّد إبراهيم الكتّاني وآخرون، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1985م، صص27، 28، ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 189، البيدق، المصدر السابق، ص64

[6] بروفنسال، المرجع السَّابق، ص 131- 135.

شيوخ القبائل الّتي تربطه بها رابطة الدّم.[1]

2.2- عبد المؤمن بن علي يضم الأندلس:

يبدو أنّ الأوضاع السياسية المضطربة بالأندلس— عهد الطوائف الثاني –، وسقوط المدن واحدة تلوَ الأخرى في أيدي النَّصارى، وغياب سلطة سياسية قوية تحميهم وتُدافع عنهم، دفع بالأندلسيين إلى طلب المساعدة من الموحدين، والاستنجاد بهم لدفع ما حلّ بهم، والانطواء تحت حكمهم، و رأوا في الخليفة عبد المؤمن بن علي (524هـ- 558هـ / 1130م- 1163م) المنقذ لهم، فأقدم عليه موسى بن سعيد أمير جزيرة طريف بطلب من أهلها، فدخلها في ذي الحجة 539هـ/ 1144م، ثم اتّجه إلى الجزيرة الخضراء، فدخلها يوم عيد الأضحى بطلب من سكانها أيضا،[2] فكان أولَ تواجدِ للموحدينَ بالأندلس[3] دونَ مقاومة منهم، وفأل خير لهم، قبل دخول مراكش والقضاء على المرابطين.

و في سنة 540هـ/ 1145م، قِدمَ على عبد المؤمن بن علي المتواجد بسلا، نحو خمسمائة شخص من الأندلسيين، من بينهم الخطباء والفقهاء والقضاة والأشياخ والقواد فاستقبلهم، واستمع لهم، ووصفوا له حال البلاد، وما آلت إليه من فعل النّصارى وتماديهم في أفعالهم، وفي نفس السّنة دخل الموحدون مدينتي إشبيلية ومالقة،[4] وأعلن علي بن عيسى بن ميمون قائد الأسطول المرابطي طاعتة الموحدين، وأبدى أبو القاسم ابن قسي قائد ثورة المريدين طاعته للخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي، فأرسل رسوله أبوبكر بن حبيس لإثبات ذلك، لينتقل بنفسه لاحقًا لإثبات الولاء والطّاعة، ورغبةُ في دخول الأندلس.[5]

بعد دخول عبد المؤمن بن علي مدينة مراكش سنة 541هـ/ 1146م، وإخضاع معظم القبائل ببلاد المغرب، وتوحيدها لأوّل مرّة منذ الفتح الاسلامي، فأصبحت دولته تمتد من برقة شرقا إلى المحيط غربا، ومن

---

[1] علي علاّم، المرجع السّابق، ص124، البيدق، المصدر السّابق، ص56.

[2] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 189

[3] صفة الأندلس، فإنها جزيرة مركنة، ذات ثلاثة أركان، قريبة من شكل المثلث.. وإنّ أول من نزل بالأندلس بعد الطوفان، قوم يعرفون بالأندلش، فسميت بهم الأندلس، وقيل إنهم كانوا مجوسا، انظر: ابن عذارى المراكشي (ت 712هـ/ 1312م)، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تح ومر: كولان وليفي بروفنسال، ط2، ج2، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1980م، ص1، عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص 13- 15.

[4] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص189.

[5] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 312

طنجة شمالا إلى غانة والصحراء الكبرى جنوبا،[1] تطلّع إلى امتلاك الأندلس وضمّها إلى دولته الناشئة، وبعث بابن قسّي ومعه جيشا موحدي يقوده براز بن محمد المسُّوفي في شعبان 541هـ/ 1146م، ودعمه بجيش ثاني يتزعمه موسى بن سعيد، ليلتحق بهما ثالث يقوده عمر بن صالح الصنهاجي، وعبر جميعهم المضيق ونزلوا الأندلس،[2] فكانت هذه الجيوش الثلاث بمثابة حملات استطلاعية واستكشافية.

لما سمع سكان الأندلس بإنجازات الخليفة عبد المؤمن بن علي (524هـ – 558هـ/ 1130م – 1163م) وكفاءته العسكرية بالمغرب وبالمدن الأندلسية الّتي دخلها، وما عرفوه عنه من حكمة ، فازدادوا تعلُّقًا به، رأوا فيه المنقذ لحالهم، فأرسلوا أهل المعرفة ممثلين عنهم وناطقين باسمهم سنة 541هـ/ 1146م، أمثال الفقيه أبو جعفر أحمد بن محمد بن حمدين،[3] وأبو الغُمُر بن عزون الثائر بشريس وغيرهما، لإبداء الولاء والطاعة،[4] ليليها في ما بعد وفدان أندلسيان، أولهما إشبيلي يقوده الفقيه أبوبكر بن العربي سنة 542هـ/ 1147م،[5] والثاني قرطبي يقوده عبد الله بن زرقون، لتقديم الولاء والطاعة[6]، وهكذا استطاع الموحدون أن يضموا إلى دولتهم أراضي أندلسية جديدة سلمًا دونَ قتال.

وتزامن الدخول السّلمي لمسلمي الأندلس، مواصلة الموحدين للنّشاط العسكري، وتمكنُّوا من دخول مدينة شريش الّتي دخلت في الطّاعة سابقًا، ومدن لبلة ومارتلة وشلب وباجة، وأخيرًا دخل اشبيلية.[7]

---

[1]هشام أبو رميلة، **علاقات الموحدين بالممالك النّصرانية والدّول الاسلامية في الأندلس**، ط1، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1984م، صص 66، 67

[2]مغنية غرداين، **عوامل دخول المرابطين والموحدين إلى الأندلس – دراسة مقارنة**–، (الأندلس ومسلمو شبه الجزيرة العربية – دراسة سياسية وحضارية)، إعداد وتنسيق عبد الجليل ملاخ وجلول بن قومار، ج1، دار فواصل للنشر والاعلام، غرداية، الجزائر، 2021م، ص، 185عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 702

[3]شهاب الدين أحمد عبد الوهاب النويري (ت733هـ/ 1332م)، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تح: عبد المجيد ترجيني، ج25، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دت، ص164

[4]ابن عذارى ، المصدر السابق، قسم الموحدين، ص27

[5]ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص190

[6]لخضر محمّد بولطيف، **فقهاء المالكية والتجربة السيّاسية الموحدية في الغرب الاسلامي (510هـ– 668هـ/ 1116م– 1269م)**، ط1، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، هرندن، فرجينيا، الولايات المتّحدّة الأمريكية، 2009م، ص 167، بروفنسال، المرجع السّابق، ص4.

[7]ابن عذارى، المصدر السّابق، قسم الموحدين، ص35

لكن سُرعان ما تمرّدت هذه المدن، بسبب سوء معاملة أخوي الخليفة للأندلسيين، مما دفع بالخليفة عبد المؤمن (ت558هـ/ 1163م) إلى إرسال جيش يقوده يوسف بن سليمان عام 543هـ/ 1148م، فدخل اشبيلية، وجعلها مقرا لإقامته، وحاضرة لدولته، وبعدها ضمّ شلب ولبلة وبطليوس وشنتمرية وقادش، ثمّ قرطبة وجيان.[1]

أراد عبد المؤمن بن علي دخول الأندلس، بعد أن خضع له معظمها في السّابق، وبمجهود قادة الجيش، أصبح الطريق ممهدا أمامه، و في سنة 555هـ/ 1160م، عبر إلى الجزيرة الخضراء للجهاد، وضمّ الأندلس بصفة رسميّة،[2] فنزل بجبل طارق الّذي مكث فيه مدّةً، والّذي سمّاه بجبل الفتح،[3] فأقدمت عليه الوفود من مالقة، وغرناطة، ورُندة، وقرطبة، وإشبيلية، وما والى هذه البلاد، فاجتمع له من أهل الأندلس ما لم يجتمع لحاكمٍ قبله،[4] وقد امتدحه الكثير من الشّعراء الحاضرين، فحلاّهُ الشّاعر ابن حبُوس الفاسي[5] (ت570هـ/ 1174م) بأبيات شعرية وصف فيها معارفه، قائلا:

بخليفةِ المهدِّي سيّدنا اغتدى نهجَ العُلومِ مُعبَّدًا ومُذَلّلاً

وتفجّرت عينُ النّباهةِ بعدمَا قد كانَ خَاطرَهَا أَكَلَّ وأَجبَلاَ

قَد صير المعقُولُ قلبًا مَاثِلاً فَمَتَى رَمَينَاهُ أَصَبنَا المِقتَلا

ورَعَى جَمِيمَ العِلمِ في أَوطَانِهِ مَن كَانَ يُبدِي الضُعفَ أن يتنقَّلاَ[6]

وامتدَحَهُ الشّاعر أَبُو الرّصافي البلنسي (ت 572هـ/ 1176م)، قائلاً:

فالبَحرُ قَد عَادَ مَن ضَربِ العَصَا يَبَسًا وَالأَرضُ قَد غَرِقَت مِن فَورِ تَنُّور

---

[1] ابن عذارى، المصدر السّابق، قسم الموحدين، ص38، 39، عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 703

[2] اختلفت المصادر في السنة التي عبر فيها عبد المؤمن بن علي إلى الأندلس، إذ يذكر عبد الواحد المراكشي أن ذلك كان سنة 538هـ، انظر: عبد الواحد لمراكشي، المعجب، المصدر السابق، ص 296

[3] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 200، بن قربة، المرجع السابق، ص 38

[4] عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، قسم الموحدين، ص 156

[5] هو أبو عبد الله بن محمّد بن حبُّوس من أهل مدينة فاس، وكانت طريقته في الشّعر على نحو طريقة محمّد بن هاني الأندلسي في قصد الألفاظ الرّائعة، له قصائد كثيرة، نال ثروة في عهد الخليفة عبد المؤمن وابنه أبي يعقوب، ومقدّمًا على الشّعراء، انظر: عبدالواحد المراكشي، المصدر السّابق، صص 283،282.

[6] ابن القطّان، المصدر السّابق، ص174.

وإنَّمَا هُوَ سَيفُ اللهِ قَلَّدَهُ أَقوَى الهُدَاةِ يَدًا فِي دَفعِ مَحذُورِ
فَإِن يَكُن بِيَدِ المهديِّ قَائِمُهُ فَمَوضِعُ الحَدِّ مِنهُ جدُّ مَشهُور
والشَّمسُ إِن ذُكِرَت مُوسَى فَمَا نَسِيَت فَتَاهُ يُوشَعَ قَمَّاعَ الجَبَابير[1]

وأثناء إقامته بالأندلس رتَّبَ أَحوَالَهَا، فعيّن ابنه يوسف على إشبيلية، وترك معه أشياخ الموحدين من ذوي الرأي والعلم، يرجع إليهم ويستشيرهم، وولّى أبو حفص عمر الهنتاتي مدينة قرطبة وضواحيها، وولّى ابنه أبا سعيد عثمان غرناطة وأحوازها،[2] مما أضفى الصبغة الرسمية لدخول الأندلس تحت لواء الموحدين، وتبدأ مرحلة جديدة من تاريخها.

والتزامًا بالمبادئ الّتي نادى بها ابن تومرت، ظلّ عبد المؤمن بن علي حريصًا على نشرها، وبعث برسالة جامعة لأنواع الأوامر، كتبها أبو جعفر بن عطيّة، يأمر فيها جميع الطلبة ومن صحبهم من المشايخ والأعيان الّذين بالأندلس، الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، والاجتهاد في الأمور، والتثبُّت أثناء النّظر في القضايا والأحكام، مع الالتزام بالوسطية، والرّجوع إلى استشارة ولي الأمر في القضايا الصعبة، ولا يكون الاجتهاد على هوى، إذ أصبحت هذه الرّسالة فخرًا لمن جاء بعده، وسندًا للحكام الموحدين لبناء المعرفة أولاً، وإقامة الدّولة ثانيًا.[3]

استغلّ ابن تومرت معارفه في النّشاط السياسي للتوفيقية الغزالية، وقد نجح في ذلك، واستقطب الفئات المتذمرة من المجتمع المرابطي والسّاخطة عليه، في إطار معرفي ثوري، وسار خليفته وتلميذه عبد المؤمن بن علي على منهجه، وذهب إلى أبعد مدى بتأسيس الدّولة، وغيّر التّوحيد العقدي إلى سياسي، مع الاحتفاظ بالفكر التُّومرتي ظاهريا، فأقنع العناصر غير الموحدية، خاصة فقهاء المالكيّة بالأندلس، الّذين خافوا أن يُصبح حالها كالّذي كان عشيّة التّدخل المرابطي، فقاموا بالبيعة والولاء للحاكم الموحدي،[4] كل ذلك يُؤكّد

---

[1] أبو عبد الله محمّد بن غالب الرّصافي البلنسي (ت 572هـ/ 1176م)، **ديوان الرّصافي البلنسي**، جمع وتقديم: إحسان عبّاس، ط2، دار الشروق، بيروت، 1983م، صص 96، 97، عبدالواحد المراكشي، المصدر السّابق، ص290.

[2] عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، قسم الموحدين، ص 165

[3] ابن القطّان، الحلل الموشية، ص 187 – 196، محمّد المنوني وآخرون، **التّاريخ الأندلسي من خلال النّصوص**، ط1، شركة النّشر والتّوزيع المدارس، الدار البيضاء، 1991م، ص 160 – 164.

[4] (عز الدّين عمر موسى)، " **الرّحلات الأندلسيّة والتّواصل الحضاري ، القاضي أبو بكر ابن العربي نموذجاً** "، من كتاب الحضارة الاسلامية في الأندلس ومظاهر التّسامح، تقديم محمد مفتاح، تنسيق: عبد الواحد أكمير، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2003م، ص312

توظيف الدّاعية ابن تُومرت والمؤسّس عبد المؤمن بن علي للمعرفة الدّينية في بناء نظام سياسي شمل بلاد المغرب والأندلس.

بناء على ما ذكر، يُمثّل المهدي ابن تومرت ظاهرة السُّلطة المعرفية الّذي أراد استغلال المعرفة واستثمارها في جميع الاقتناعات الّتي تكوّنت في شخصيته، ولا يحصل ذلك إلاّ بالوصول إلى الحكم الّذي رأى فيه السّبيل الوحيد لتحقيق أهدافه، فهو لم يفتح شيئا، بل وضع الأسس ومهّد لإقامة الدولة، ورتّب الأحوال ووطّدها، أما تلميذه عبد المؤمن بن علي فقد تمّت على يده الفُتوحات الكبرى، محققًا حلمَ شيخه ورجاءه،[1] ليصبح النّجاح السياسي حليف الفقيه المجدّد، ملقِبًا نفسه بأمير المؤمنين، وشملت مملكته المغرب الإسلامي المغرب الأقصى والأدنى وإفريقية.[2]

واستنتاجًا لما سبق، فالدّاعية ابن تومرت كان له الفضل في وضع نواة التّخطيط والتّنظير، و في إنقاذ مجتمع الغرب الاسلامي من خطر الانحراف والتّفكك العقدي، في ظلّ وجود نظامٍ هشٍ، سيطرَ عليه الفُقهاء أصحاب التّقليد، وهو الوضع الّذي حاول تصحيحه من خلال العمل بمبدأ الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، لكنه تُوفي قبل أن يرى مشروعه النُّور، ليقوم خليفته عبد المؤمن بن علي بعمل دؤوب غير منقطع، لأجل تحقيق حلم شيخه، والمعارف الّتي أرادها، واستنفذ عمره في المعارك العسكرية، ليتمكّن في الأخير من التّمكين للمشروع في الواقع، وإقامة الدّولة الّتي ترعاه، والّتي شملت المغرب والأندلس، لتتجسّد بذلك **السُّلطة المعرفية** والسُّلطة السياسية في الدّاعية ابن تومرت والمؤسّس عبد المؤمن بن علي.

[1] ابن خلكان، المصدر السابق، ص55

[2] أبو محمد عبد الله اليافعي (ت 768هـ/ 1366م)، **مرآة الجنان وعبرة اليقظان**، وضع حواشيه: خليل المنصور، ط1، ج3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1997م، ص 242

ثانيا– انتشار المعرفة وازدهارها عند الموحدين:

يرى العلماء على تباين مدارسِهم، على أنّ مدلول النّشاط الثقافي يقصد به كل رقي حضاري، وازدهار ثقافي، ونبوغٍ فكري، يجمع بين الأمور المادية والمعنوية وحتىّ الرُّوحية، فهو يشمل كل أنواع المعرفة والعلم والانتاج المادي، وأنواع النّشاط الفكري،[1] وقد برزت المعرفة في عهد الموحدين وانتشرت في مدن الغرب الاسلامي، و بين أوساط المجتمع، بسبب تظافر عدة عوامل، نذكر منها:

1– التّراث المعرفي:

لابراز اهتمام الحكام بالمعرفة يجب أن نُشير إلى الفترة الّتي سبقت الموحدين، بداية من الفتح الاسلامي للأندلس، لنُدرك التّراكم المعرفي بالأندلس طيلة هذه الفترة.

في **العهد الأموي** (136هـ – 422هـ) وهي فترة طويلة، فالمؤسّس عبد الرحمان الدّاخل (138هـ – 172هـ)، بعدما تمكّن من إقامة دولته، وتوحيد الصّف الدّاخلي، والحدّ من الخطر الخارجي، جعل من مدينة قرطبة عاصمة لدولته، وشجّع العلم والمعرفة، وسار على نهجه خليفته وابنه هشام (172هـ– 180هـ)، إذ أصبح للفقهاء مكانة مميّزة، يرجع إليهم في جميع الأمور، خاضعا لهم، وبهم زال المذهب الأوزاعي، وذاع صيت مذهب الامام مالك، وممن يرجع إليه الفضل في ذلك، تلاميذ الامام مالك بن أنس، وفي مُقدمتهم أبو عبد الله زياد بن عبد الرحمان بن زياد اللّخمي المعروف بشبطون، وقرغوس بن العبّاس، وعيسى بن دينار، وسعيد بن هند، ويحي بنُ يحي اللّيثي وغيرهم، لما رأوه من فضله، وسعة علمه، فانتشر صيته بالأندلس، ومذهبه، وكتابه الموطأ في أرجاء الأندلس،[2] و في هذا الاطار يُؤكد حسين مُؤنس أنّ " أمثال هؤلاء الرّجال قاموا بوظيفتهم في بُنيان الدولة الأموية الأندلسية، وأضفوا على تصرفاتها في نظر الرعيّة تأييدا حقيقيا، كان له أبعد الأثر في تثبيت دعائم أركانها، وتمكينها من السيطرة الفعلية على بلادها، وتمتّع البيت الأموي الأندلسي بثقة الشعب الّذي كان يحكمه، وهي ثقة لم يظفر بمثلها الأمويون في المشرق، ولا العبّاسيون خلال

[1] عبد العزيز فيلالي، **تلمسان في العهد الزياني**، ج2، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، 2002م، ص317

[2] عبد العزيز سالم، **تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة**، دار المعارف، بيروت، لبنان، 1961م، ص206، 218، 219، محمد محمد زيتون، **المسلمون في المغرب والأندلس**، دار الكتب، الاسكندرية، 1990م، ص277

العصر الذّهبي ".[1]

ولقد أبدع المعرفي في **عصر الطوائف** معبّرا عن زمانه، وناقلا لأحداثه، إذ أصبح يُشكّل حجة لوعي أندلسي عصر الطوائف، فهو المعبر عن الذاكرة الأندلسية الجماعية، ومدافعا عن الثقافة والمعرفة الأندلسية، وممن ألّف في مجالات معيّنة، واعتبر ذلك مساهمة فريدة من نوعها في مجال تخصصهم، نذكر على سبيل المثال لا الحصر، ابن بسام في الأدب، وابن حيّان في التّاريخ، وابن بشكوال في كتب الطبقات، وابن حزم في جملة العلوم الّتي ازدهرت بالأندلس.

أمّا في عهد **المرابطين** والقريب زمنيا من فترة الموحدين، فقد شجع يوسف بن تاشفين المعارف وفق سياسة دولته، والمنهج الذي أراده، معتمدا بالدرجة الأولى على الفقيه، و في عهده جاز إليه من الجزيرة، من أهل كل علم فُحوله، حتّى أصبحت حضرته، شبيهة بحضرة بني العبّاس في صدر دولتهم، واجتمع له الكثير من الكُتّاب وفرسان البلاغة، ما لم يتفق اجتماعه في العصور السابقة،[2] وكان محبا لأهل المعرفة كالفقهاء والصلحاء والعلماء، مُقربًا منهم، مُكرمًا لهم، وأغدق عليهم المال من بيت المال،[3] واشتد إيثاره لأهل المعرفة – العلم والدين –، ولا يقطع أمرا في جميع مملكته دون مشاورتهم.[4]

أمّا خليفته علي بن يوسف المتمكّن في الفقه، المقلّد للعلماء، والمؤثر للفضلاء،[5] فقد سار على نفس المنهج الذي أسسه والده، إذ شجّع المعرفة الدينية خاصة الفقهية منها، ومكّن الفقهاء في دولته، وولاّهم المناصب السياسية والادارية كالقضاء والوزارة وغيرهما، واشتّد إيثاره لهم، وكان لا يقطع أمرا إلاّ بالرجوع إليهم، مما مكنّهم من اكتساب سلطة، استطاعوا من خلالها التأثير على العامة، بعدما منحهم الحاكم الحرية المطلقة، فكانت الفئة القابضة والمانعة، لكن مقابل ذلك فقد شدّد الخليفة علي بن يوسف على علم الكلام من فلسفة ومنطق، والتّضييق عليهما، ومعاقبة كل من يخوض في ذلك، لأنّ ذلك يتنافى مع منهج الدولة بالأساس،[6]

---

[1] حسين مؤنس، **شيوخ العصر في الأندلس**، عربية للطباعة والنشر، مصر، 1986م، ص 7

[2] عبد الواحد المراكشي، المعجب، صص227، 235.

[3] ابن أبي زرع، المصدر السّابق، ص 137

[4] لسان الدين ابن الخطيب (ت 776هـ/ 1374م)، **الاحاطة في أخبار غرناطة**، تح: محمد عنان، المجلد4، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1977م، ص 349، الذّهبي، تاريخ الاسلام، ج11، 672،

[5] مجهول، الحلل الموشية، صص84، 85

[6] عبد الواحد المراكشي، المصدر السّابق، ص 233، 237

فكان الفقهاء يضعون السّمات العامّة للنمط المعرفي، ويُمارسون رقابة تُحدّد ما هو جائز فيُنشر، وما ممنوع فيُرفض، مثل ما حدث لكتب الامام أبو حامد الغزالي الّتي أفتوا بإحراقها، لما فيها من فكر ومعارف تتنافى مع المنهج،[1] كما كانوا يُناوؤون أهل التّصوف ويُقاومونهم،[2] ولا شك أنّ ذلك قد أدّى إلى تطور المعرفة خاصة الفقهية منها، مما أدّى انتعاش حركة التأليف الفقهي في فترة المرابطين.

وفي الحقيقة يعتبر العصران المرابطي والموحدي عصرًا واحدًا من النّاحية المعرفية، سواء العلمية أو الفكرية أو الحضارية بصورة عامة، لانّهما متداخلان من هذه النّواحي،[3] إذ لا يمكن الفصل بين استمرارية المعرفة الممتدة بين جيلين، فالأندلس لم تكن خالية من المعارف، بل بلغت شأنا كبيرا قبل دخول الموحدين.[4]

ومهما يكن فقد ظلّت المعرفة تتراكم، وتواصل ارتقاءها، قائمة على مكتسبات الماضي، أو متطورة بشكل ما في هذا المجال أو ذاك من ميادين المعرفة، ولا شكّ أنّ الزّاد المعرفي المرابطي، انتقل إلى الموحدين في ما بعد، لأنّ معظم الأعلام ذوو المعارف المتنوعة (الموسوعيين المخضرمين) عاصروا العهدين، فأغلبهم لم يولد بين عشية وضحاها، بل تلقى معارفه في عهد المرابطين، واستمر في نشرها بين العلماء والطلبة في عهد الموحدين، إضافة إلى أنّ أغلبهم ينحدر من الأسر العلمية الّتي نالت حظًا كبيرًا من المعارف المتداولة، توارثتها أبًا عن جد، مثل أسرة ابن العربي، واسرة ابن رشد، واسرة ابن زهر، واسرة ابن طفيل وغيرهم.

واستنادا لما سبق، وبنوعٍ من الاستدلال المبسط، فالفقيه أبو بكر بن العربي (468هـ - 543هـ/ 1076م – 1148م) مثلا، المتفنن في العلوم، والمستبحر فيها، والمتقدم في المعارف كّلها، والمتكلّم في أنواعها، والنّاقد لجميعها، والحريص على أدائها ونشرها،[5] يُمكن نسبته إلى العصر المرابطي الّذي نشأ ودرس، ودخل في خدمتهم رفقة والده، ولكن مع ذلك فقد بلغ ذروة شهرته في العصر الموحدي،[6] والقاضي عيّاض

[1] ابن القطان، المصدر السابق، ص73

[2] عبد المجيد النّجار، المرجع السابق، ص43

[3] عبد الواحد المراكشي، وثائق، المصدر السّابق، ص 221

[4] عصمت عبد الطيف دندش، **الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين**، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1988م، ص349

[5] ابن العماد، شذرات، ص233 . الذهبي، تاريخ الاسلام ، ج11، ص835.

[6] عبد الواحد المراكشي، المصدر السّابق، ص 221

(ت 544هـ/ 1149م)، ينبوع المعرفة، ومعدن الإفادة، ومفخر الأفق،[1] والمتضلّع في علم الحديث والفقه، واللغة والنّحو، وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم،[2] وأبو بكر ابن الجد (ت 586هـ/ 1190م)، وابن رشد الحفيد (ت 595هـ/ 1198م) وغيرهم كثير، فهؤلاء الأعلام المخضرمين والموسوعيين الّذين اجتمعت فيم المميّزات الأساسية كصدق الايمان، وغزارة العلم، وفصاحة اللّسان، وشرف البيت واتّصال الرئاسة إليه، والأخذ بالسياسة بنصيب، مع التزام الحق والسّمت والعفاف،[3] تمكنوا من نشر **معارفهم** تأليفا في مصنفاتهم، وتدريسا في تلاميذ رأوا فيهم النّجابة والاقبال، وحب المعرفة، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر، أنّ أبو بكر بن العربي كوّن وعلّم أكثر من 121 تلميذا، جُلُّهم صاروا علماءً كبارًا في فترة الموحدين، رافعين لواء العلم المعرفة.[4]

ولا يمكن أن نستثني المراكز التعليمية كالمساجد والمدارس وغيرها، والمؤلفات العلمية بأنواعها، والتّي وُجدت في عهد المرابطين، وظلت قائمة في عهد الموحدين.

2 – تشجيع الحكام الموحدون للمعرفة:

في المرحلة الأولى من العهد الموحدي (541هـ – 609هـ/ 1146م- 1212م) اهتم الحكام الموحدين **بالمعرفة** بمختلف أصنافها، بفعل المعرفة المكتسبة لديهم، إضافة إلى وجود رغبةٍ شديدةٍ وإرادةٍ قويةٍ في هذا المجال، مدركينَ الأثرَ الحسن لها في التّطور الحضاري، وبقاء الدولة واستمرارها، فقاموا بتشجيع المعارف، والاهتمام بأهلها.

كان الخلفاء الموحدون أنفسهم علماء، محبين للعلم وأهله، فالمؤسس محمد المهدي بن تومرت (ت524 هـ/ 1129م) كان عالما فقيها، حافظا للحديث، عارفا بالأصول، وعالما في العقيدة والجدل، لقّن النّاس معارفه، وقام بنشرها في الحواضر التي حلّ بها، وكوّن تلاميذا، اعتمد عليهم في بناء الدولة والمجتمع معا،[5] وقد بيّن في دعوته للعلم رغبته الشديدة في ذلك، وحثّ على تحصيله بقوة وحماسة، في عبارته المشهورة التّي افتتح بها كتابه وهي " أعزُ ما يُطلب، وأفضل ما يُكتسب، وأنفس ما يُدّخر، وأحسن ما يُعمل، العلم

---

[1] ابن الأبار، المعجم، ص302

[2] الذهبي، تاريخ الاسلام ، ج11، ص860 – 862.

[3] ابن الأبار أبو عبد الله محمّد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ت 658هـ/ 1259م)، **الحُلّة السّيراء**، تح: حسين مؤنس، ط2، ج1، دار المعارف، القاهرة، 1985م، ص18

[4] سعيد أعراب، **مع القاضي أبي بكر بن العربي**، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1987م، ص 91 – 111

[5] ابن أبي زرع ، المصدر السّابق، ص181

الّذي جعله الله سبب الهداية إلى كل خير، هو أعزُ ما يُطلب، وأفضل المكاسب، وأنفس الذخائر، وأحسن الأعمال ".

أما خليفته عبد المؤمن بن علي (ت558هـ/ 1163م)، فقد كان عالما من أبرز علماء زمانه، اكتسب الكثير من العلوم الدينية، كالقراءات والحديث والفقه وعلم الاصول، واللّغة والنّحو والتّاريخ وأيّام النّاس، فشجّع المعرفة،[1] وكان مؤثرًا لأهلِ العلم، ومحبًا لهم، ومحسنًا إليهم، يستدعيهم من مختلف الحواضر للجلوس في حضرته، والاستفادة منهم، ويُجري عليهم الأرزاق الواسعة، ويُظهر لهم الاحترام والتوقير، ويُشجعهم على الخوض في علم العقيدة، الّذي كان مغيّبا قبل ذلك،[2] كما كان بارا بمن انضوى إليه، عارفا بأقدار النّاس، مكرما لأعيانهم، وأهل البيوتات منهم، عالما بمقادير العلماء، ينزل النّاس على قدر منازلهم و رتبهم.[3]

اكتسب عبد المؤمن بن علي (ت558هـ/ 1163م) العلم والمعرفة، فوصل به الأمر إلى نشر المعرفة بين أبنائه، وجعلها أحد أهدافه الأساسية، إذ يذكر ابن القطّان أنّه حثّ النّاس وأبناءه على طلب العلم ورغبهم فيه، وهو ما يُريده لنفسه، فاستدعى الصبيان من الحواضر المختلفة، من قرطبة واشبيلية وتلمسان وفاس وغيرها، والجلوس في مجلسه بمراكش، وتلقينهم العلوم الدينية – القرآن الكريم والأحاديث النبوية – حفظا وفهما، وحفظ كتاب الموطأ وصحيح مسلم، وأغدق عليهم الجرايات،[4] وكان يُنفق على الحُفاظ، ويزودهم بكل ما يحتاجونه،[5] فالتف حوله العلماء والكُتّاب والشُّعراء من المغرب والأندلس، يبسط عليهم رعايته، ويغمرهم بصلاته،[6] مستشعرًا حاجتهم لذلك، إذ قال " هؤلاء طلبة غُرَبَاء ضُعَفَاء، والإقلالُ عليهم ظَاهِر، فَنَرى أَن نَدفعَ إِليهم مالاً نُقارضُهُم فيهِ، ويتجرون بِهِ، ويردونَ السلف لنَا، فقَالُوا: نعم، فَأَسلَفَهُم مِن مَالِ المخزَن ألفَ دينارٍ لكُلِ وَاحدِ منهُم، فَاكتَسَبُوا منهَا، وكَانت أَصلُ غِنَاهُم، ولَم يَأخُذ منهُم أَبَدًا "،[7] كل ذلك من أجل تكوين جيل متشبّع معرفيا، قادر على حمل تحمّل المسؤولية من خلال تولي الخطط الادارية

[1] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص203

[2] عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص 269

[3] مجهول، المصدر السّابق، ص149

[4] ابن القطان، المصدر السّابق، ص179

[5] مجهول، المصدر السّابق، ص 150

[6] عنان، المرجع السّابق، العصر الثالث، القسم الثّاني، ص 646

[7] ابن القطّان، المصدر السّابق، ص177.

والسياسية في الدولة القائمة.

وفعلا فقد تشبّع ابنه أبو يعقوب يوسف (ت 580هـ/ 1184م) بالمعارف المختلفة أثناء ولايته لإشبيلية، أين استفاد من علمائها، مما جعله شديد الايثار بالعلم وأهله، متعطشا إليه، يجمع الكتب، ويبحث عن العلماء، ويُقربهم إليه، حتّى اجتمع له منهم، ما لم يجتمع لأحد من الحكام السّابقين،[1] فهو محب للعلماء، معظما لهم، عاملا برأيهم، كما كان يزور الفقهاء والصلحاء ويتبرك بهم.[2]

وكان يوسف بن عبد المؤمن أكثر خلفاء الموحّدين عنّاية بالفلسفة، إذ مال إلى تعلمها أيّام ولايته إشبيلية، ولجأ إلى جمع الكثير من أجزائها، وأمر بجمع كتبها، فاجتمع له الكثير منها مما اجتمع للحكم المستنصر بالله الأموي،[3] وأُتيح للفلسفة أن تزدهر في قصر الموحدين، إذ قرّب إليه كل من أبوبكر بن طُفيل، الّذي ولع بمعارفه، فأحبّه، وشُغِفَ به، لدرجة أنّه كان يُقِيمُ في القصر أيّامًا مستفيدًا منه، كما أنّ ابن طُفيل ظلّ يجلب إليه العلماء والحكماء ممّن يعرفهم أو يسمع عنهم، وينبّهه عليهم، ويحثُّه على احترامهم وإكرامهم والاهتمام بهم، بالإغداق عليهم، ودلّه على تلميذه ابن رُشد الحفيد لما يحوزه من معارف متنوعة، أوّلها الفلسفة، فجعله من المقرّبين ومن خواص مجلسه.[4]

أما الخليفة أبو يوسف يعقوب (ت 595هـ/ 1198م)، فقد سار على طريق أسلافه، فاهتم بأهل المعرفة، الكل على قدر مرتبته ومنزلته، فقام بإكرام الفقهاء، ورعاية الصالحين، والاهتمام بهم، ومنحهم الأعطيات والجرايات من بيت مال المسلمين، وأغدق على الطلبة أيضا،[5] الّذين نالوا عنده حظًا ووجاهة ما لم ينالوه في عهد أبيه وجدّه، فقربهم إليه، فبلغ ذلك الموحدين فحسدوهم، مما دفع بالخليفة إلى الانفراد بهم دون غيرهم للاستفادة منهم، فكانوا بمثابة مستشارين عنده، كما توعد بحمايتهم، وكل من يعترضهم، فتراجع عن

[1] عبد الواحد المراكشي، المصدر السّابق، ص309- 311

[2] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص216

[3] فوزي عيسى، **الشّعر الأندلسي في عصر الموحدين**، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، 2007م، ص65

[4] عبد الواحد المراكشي، المصدر السّابق، ص313، 314

[5] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 217

موقفهم، وبالغوا في برّهم وإكرامهم.[1]

وفي هذا الاطار فقد عرفت المعرفة خلال المرحلة الأولى نشاطا وحيوية في جو يسوده الأمن والاستقرار، وأُتيح لها مواصلة مسيرتها في ظل تفهم الموحدين وتعاطفهم وتشجيعهم الفعلي لها.

وبعد معركة العقاب سنة 609هـ/ 1212م، دخلت الدولة الموحدية مرحلة الضعف والوهن، وأوشكت على الانهيار، وكان للأحداث والاضطرابات الداخلية فضل في تنبيه الأذهان، وتعميق الحسّ التّاريخي والوعي العقلي عند أهل المعرفة، إذ نجد أنّ الخلفاء الموحدين من يتّسم بالصفات المعرفية البارزة، فقد كان الخليفة المأمون ابن المنصور (ت 629هـ/ 1232م)، عالما متمكنا في اللُّغة والأدب والشّعر، وكان كاتبا مقتدرا، كما كان الخليفة المرتضى لأمر الله (ت656هـ/ 1266م)، فقيهًا وأديبًا وشاعرًا، فهذه الصّفات العلمية للخلفاء الأواخر تبرز على ما عداها.[2]

وعمومًا، فقد شجّع الخلفاء الموحدون المعارف حتّى بلغت شأوًا كبيرًا، بما فيها تلك الّتي لم تكن رائجة في العهد المرابطي، ماديا أو أدبيا،[3] ومُنحت حريّة البحث والتّفكير، ولم تشُذ عنه إلاّ أحياناً قليلةً، كما أغدقت الدولة الموحدية من أموالها على أهل المعرفة من فقهاء وأدباء وشُعراء ومُؤرخين وغيرهم، وكان يُخصص لهم من الجوائز السنيّة، والهبات الجزلة، ما كان يُذكي من حماسهم، ويُقوي من نشاطهم، إضافة إلى مساهمة الحاكم نفسه في النّقد والتوجيه.[4]

والملاحظ أنّ اهتمام حكام الدولة الموحدية بالعلوم والمعارف المختلفة، ونشرها في المغرب والأندلس، لم يكن أمرا اعتباطيا، بل مستوحى من نظرة ثاقبة، ووعي راسخ، الهدف منها تملّك المعرفة، وربطها بالسياسة، ممّا يُؤدّي حتمًا إلى احتواء السُّلطة المعرفية، واعتمادهم عليها قصد التّمكين للدولة القائمة، وهي نظرة ناجحة، كانت لها ثمار ونتائج إيجابية استمرت سنوات.

---

[1] عبد الواحد المراكشي، المصدر السّابق، ص 356.

[2] عنان، المرجع السّابق، العصر الثالث، القسم الثاني، ص 646

[3] محمد المنوني، **حضارة الموحدين**، ط1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 1989م، ص 14

[4] ابن صاحب الصلاة (ت 594هـ/ 1198م)، **المن بالامامة**، تح: عبد الهادي التازي، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1964م، ص49

3- الرّحلة العلمية:

بعد أن يستوفي الطالب معارف بلدته بشكل تّام، تدفعه الرغبة إلى توسيع معارفه فيلجَأ إلى الرّحلة في طلب العلم، والاطّلاع على آراء جديدة، وتوسيع علمه في مسائل سبق له دراستها، فيتّسع أُفُقَه واجتهاده، وكثيرًا ما يُؤَدّي ذلك إلى تغيّير آرائه واجتهاداته السّابقة، ويُتاح له التّحكم فيها، والتَّمكن منها.[1]

ويذكر بن خلدون أنّ " الرّحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التّعلم، والسبب في ذلك أن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم، وما ينتحلون به من المذاهب والفضائل، تارة علما وتعليما وإلقاءً، وتارة محاكاة وتلقينا بالمباشرة، إلا أن الحصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكاما وأقوى رسوخا، فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها، فالرّحلة في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرّجال" [2].

اعتبر أهل المعرفة بالأندلس المشرق الإسلامي مصدرا للمعرفة والتّعلم خاصة الحجاز مهبط الوحي، إذ يذكر أحدهم مادحًا الشرق الاسلامي، وفضله على الغرب الاسلامي قائلا:

لا يستوي شرق البلاد وغربها الشّرق حاز الفضل باستحقاق

أُنظر لحال الشّمس عند طلوعها زهراء تَصحبُ بهجة الاشراق [3]

فالعلماء كانوا يخشون على مسلمي الأندلس من أن يُمتَحَنُوا في دينهم، لأنهم الأقرب إلى بلاد النّصارى، فكثّفوا من رحلاتهم الداخلية والخارجية، لتنوير العقول وتعميق المعارف، والتّمكن من كسب ثقة المجتمع، وحلّ مشاكلهم، كما جعلوا الهدف من رحلاتهم طلب عُلو السّند بالاقتراب من مصدر الأخبار والقضايا العلمية والتثّبت عند التّحمل، والصّدق عند الأداء، وجعلوه منهجا راسخا عندهم لبُعد موطنهم عن المشرق الإسلامي[4].

---

[1] أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البّغدادي (ت 463هـ/ 1070م)، **الرّحلة في طلب الحديث**، تح وتع: نور الدّين عتر، ط1، سلسلة روائع تراثنا الاسلامي، دمشق، 1975م، ص24

[2] ابن خلدون، المصدر السّابق، ج1، ص 745 .

[3] أبي عبد الله محمّد بن محمّد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي (ت 703هـ/ 1303م)، **الذّيل والتّكملة لكتابي الموصول والصّلة**، المجلد3، تح وتع: إحسان عبّاس وآخرون، ظ1، دار الغرب الاسلامي، تونس، 2012م، ص516

[4] الناجي لمين، **رحلات علماء المغربين-الملكية وآثارها العلمية من خلال القرنين 7هـ و8هـ** ، ط1، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2016م، ص17 و18 .

والجدير بالذّكر أنَّ الرّحلة لم تخرج في معظمها عن الجمع بين أداء فريضة الحج وطلب العلم، ونسق متكامل يلتقي مع كل النشاطات الانسانية الّتي تشكّل الحضارة الانسانية بكل أبعادها،[1] كما أنّ وحدة الثّقافة الاسلامية التي تنهل من منبع ثقافي واحد، والّتي تعتمد على اللّغة العربية بالأساس، دفع بالمعرفي إلى الارتحال والتّنقل من حاضرة لأخرى، والاستفادة من العلماء، دون أن ينتابه شعور بالغربة، ليعود بعدها إلى وطنه ويُساهم في تنشيط المعرفة خاصةً الدّينية منها.

ولتأكيد ما سبق، استوجب إعطاء نماذج لأهل المعرفة – على سبيل المثال لا الحصر – الّذين جعلت منهم الّرحلة العلمية بنوعيها الدّاخلي والخارجي علماء أفذاذ، متشبعين بالمعارف المختلفة، أكسبتهم سلطة معرفية في زمانهم.

في ما يخُص **الرّحلة الخارجية**، فقد ضمّت كتب الطبقات والتّراجم أسماء العشرات من الأندلسيين والمغاربة ممّن توجّهوا إلى بلاد المشرق للقاء العلماء من جهة، والاطلاع على مختلف فنون المعرفة وتحصيلها من جهة أخرى، ومن ثمّ العودة لنشرها بين أفراد المجتمع، أوّلهم الدّاعية محمّد المهدي ابن تومرت (ت524هـ/ 1129م) الّذي أحبّ المعرفة، وتطلّع إلى التّحصيل العلمي، والبحث عن الحقيقة، والتّعطش إلى المزيد من العلوم، خلق لدية التّهافت والرغبة الشّديدة، لاكتساب المعارف المختلفة،[2] فسلك طريق الرّحلة لتحقيق مراده، ليعود بعدها إلى بلاد المغرب بحرا متفجرا من العلم، وشهابا واريا من الدين،[3] وفيها حرص ابن تومرت على الاستفادة من علماء كثيرين في فنون المعرفة.

و رغم أنّ أبو بكر بن العربي (ت 543 هـ/ 1148م) عاش معظم حياته في العصر المرابطي، فقد عاصر السّنوات الأولى للدولة الموحدية، وتمّ الاشارة إليه ضمن الرّحلة العلمية، كونه تزود بمعارف متنوعة، استمرت بعد وفاته في تلاميذه ومصنّفاته، وكان له الأثر البالغ على الوضع السياسي للموحدين – سيذكر لاحقا –، فقد كان بدرا في فلك إشبيلية، فرفع عماد بيت ابن العربي مشرقًا ومغربًا، تطلّعَ للرّحلة نحو المشرق الاسلامي، منبع المعارف كلّها، ومتشوقا لملاقاة العلماء الفطاحل، مدفُوعًا بالنّظرة الضيّقة للفقهاء – عصر

---

[1] نوال عبد الرحمان الشوابكة، **أدب الرحلات الاندلسية والمغربية حتى نهاية القرن 9هـ**، تقديم: صلاح جرار، ط1، دار المأمون للنشر والتوزيع، عمان، الأردن،2008م، ص51

[2] محمد بن تومرت، (ت 524هـ/ 1130م)، **أعز ما يطلب**، تقديم وتحقيق عبد الغني أبو العزم، مؤسسة الغني للنشر، الرباط، المغرب، 1997م، ص18

[3] ابن خلدون، العبر، ج6، ص302

المرابطين – والمقتصرة على التقليد، فارتحل رفقة والده محمد سنة 485هـ/ 1092م،[1] وساح في الأرض طالبا للعلم، وتقديمًا لأمره المهم، فارتحل من أقصى الأَندلس حتى بلغ الحجاز، واستقر بالعراق،[2] التقى خلالها بكبار العلماء أمثال الإمام أبو حامد الغزالي (ت505هـ/1111م)، قطب فقهاء المشرق آنذاك،[3] و رأى غيره من العلماء والأدباء والفقهاء والمحدثين، كأبي بكر الطرطوشي، وأبي بكر الشاشي، وأبي بكر بن طرخان،[4] والتقى بمصر والاسكندرية جماعة من المشايخ، وعاد إلى موطنه – الأندلس – بعلم غزير،[5] ومعرفة واسعة، محققا الحلم الّذي راوده منذ صباه.

وممن سلك طريق **الرّحلة الدّاخلية**، إمّا متنقلا بين الحواضر الأندلسية، أو بين الأندلس والمغرب الاسلامي، وتعذر عليه التوجه مشرقا، إمّا برغبة منه، أو لظروف خارجة عن إرادته، نذكر **ابن رشد الحفيد** (520- 595هـ/ 1126- 1198م) الذي ينتمي إلى أسرة عريقة، اهتم بطلب العلم من صغره إلى كبره، حتّى حكى عنه أنّه لم يدع النّظر ولا القراءة منذ عقل، إلاّ ليلة وفاة والده، وليلة زواجه، تلقى معارفه بقرطبة مسقط رأسه، وحصّل علوما متنوعة كالفقه والأصول والطب وعلم الكلام والفلسفة وغير ذلك، وتمكن منها، وقضى معظم عمره بالأندلس، متنقلا بين حواضرها،[6] وسار على منواله **أبو بكر بن الجد** (ت 586هـ/ 1190م) الذي قضى حياته بالأندلس، وانتفع بعلمائها كأبي بكر ابن العربي، أبي الحسن بن شريح وغيرهما، وبرع في الفقه والعربية، وعظم جاهه وحرمته.[7]

---

[1] أبو بكر بن العربي (ت 543هـ/ 1148م)، **قانون التّأويل**، درا وتح: محمّد السُّليماني، ط1، مؤسسة القبلة للثقافة الاسلامية، جدّة، 1986م، ص 77، 80

[2] أبو بكر محمّد بن عبد الله بن العربي المعافري (ت 543هـ/ 1148م)، **المسالك في شرح موطأ مالك**، تع: محمّد بن الحسين السّليماني وعائشة بنت الحسين السّليماني، تق: يوسف القرضاوي، ط1، المجلد 1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 2007م، ص 82

[3] عنان، دولة الاسلام، العصر الثالث، القسم الأوّل، ص 45

[4] ابن بشكوال، المصدر السّابق، ص227، عنان، المرجع السّابق، العصر الثالث، القسم الأوّل، ص 45

[5] الصفدي، المصدر السّابق، ج3، ص266

[6] ابن الأبار أبي عبد الله محمّد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ت 658هـ/ 1259م)، **التّكملة لكتاب الصّلة**، تح: عبد السلام الهرّاس، ج4، دار الفكر للطباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، 1995م، ص74، الذهبي، العبر، ج3، ص111

[7] الذهبي، تاريخ الاسلام ، ج12، ص822، الضبي أحمد بن يحي (ت 599هـ/ 1203م)، **بغية الملتمس في تاريخ أهل الأندلس**، تح : إبراهيم الأبياري، ط1، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1989م، ص131

فالرّحلة ترفع من قيمة العالم ومركزه، وتجعل له شأن ومنزلة بين أقرانه، ولا شكّ أنّ الرّحلة العلمية كان لها الأثر الكبير في تغيير النّظام السياسي – ابن تومرت – من جهة، وفتح المجال أمام معارف أخرى المضيّق عليها من جهة أخرى، كما أدّت الرّحلة بنوعيها الدّاخلي والخارجي إلى لقاء العلماء وتلاقُح الأفكار، وانتقال المعارف بين الحواضر متجاوزة الحيّز الجُغرافي، مما أصّلّ فيهم المنهج الصحيح، و زكى فيهم المعرفة الحقيقية، فاكتملت شخصيتهم المعرفية، وازداد نبوغهم الفكري، ليسطع نجمهم في سماء الأندلس، في زمانهم وزمن من بعدهم.

4- الأمن السياسي والرّخاء الاقتصادي:

يعدّ الأمن شرطا أساسيا لقيام المعرفة وازدهارها، وهذا ما ذكره ونوّه إليه أبو بكر ابن العربي قائلاً: " نعمت المعرفة التّعرف بالسُّلطان، والتّشرف به عند التّغرب من الأوطان، ونعم العون على العلم الرّياسة **بالأمن** والاستيطان "،[1] وقد وجد الحكام الموحدين صعوبة في بناء دولتهم خاصة في فترة المؤسس عبد المؤمن بن علي، وقامت ثورات كثيرة ضدّهم مغربا وأندلسا، مما جعل المعرفة تتقدم بوتيرة بطيئة.

وبعد قيام الدّولة الموحدية وتوطيد أركانها، انتشر الأمن وعمّ الرخاء عبر رُبُوعها، خاصة في مراحلها الأولى، ففي عهد الخليفة أبي يعقوب يوسف (ت580هـ/ 1184م)، وأثناء توليه الحكم انبسطت الآمال في أيّامه، وكثر الاغتباط من الأموال بسعادة أعلامه، وذكر بعوثه وغزواته، وكثرة أفعاله، وكثرة البركات منه للموحدين والأجناد في أعطيّاته، واتّصال الاحسان بمواساته،[2] فازداد الانبساط والنشاط عند النّاس بفضله وعدله وصفحه، وامتلأت المخازن وازدادت وُفُورا، ونمت الأرزاق واتّسعت، وعُمّرت الأسواق بالبيع والتّجارة الرّابحة، فكثُرت الأموال، وعاد كل ذلك بالخير الكثير على عامة النّاس، وتمهدّت البلاد، وانتشر الأمن، وضبطت الثغور، وصلح أمر الناس في البادية والحاضرة، وعاد كلّ ذلك بالخير الكثير على عامة النّاس،[3] ويُضيف عبد الواحد المراكشي قائلاً: "وامتلأت خزينة الدولة بالأموال، بفعل كثرة الخراج، وكثرة الموارد التي يتحصل بها على الأموال، فمثلا خراج إفريقية السنوي تجاوز مائة وخمسين بغلا، إضافة إلى خراج بجاية وأعمالها، وتلمسان وأعمالها وأحوازها، فكان عهده أعيادا وأعراسا ومواسما، كثرة خصب، وانتشار أمن، ودُرُور

[1] ابن صاحب الصّلاة، المصدر السّابق، ص186

[2] نفسه، ص163

[3] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص206، ابن صاحب الصّلاة، المصدر السّايق، ص266

أرزاق، واتّساع معايّش".[1]

و في سنة 560هـ/ 1165م، ازدادت البلاد أمنًا وعدلاً وفضلاً، ورجع ذلك بالايجاب على المجتمع، وكانت النّاس تسير بقوافلها بين الجبال والسُّهول، وهي آمنة في نفسها ومالها، فاتّسعت الأرزاق، وانتعشت الأحوال، فهو قائم على أمن البلاد واستقرارها، ناشرًا للعدل بين الرعيّة، وفعلا فقد أصلح الأندلس، ووطّد أمنها، وأنس شاردها وسكنها.[2]

وكان عهد الخليفة المنصور (ت595هـ/ 1198م) كله " أيّامه دعّة وأمن ورخاء ورفاهية بالمغرب والأندلس، وكانت الظعينة تخرج من بلاد نول لمطة حتى تصل برقة وحدها، لا ترى من يعارضها ولا من يكلمها، وكان لعامل الأمن نتيجة في رخاء البلاد، فأُكرم أهل المعرفة من فقهاء وصلحاء وفضلاء، وأنفق عليهم من بيت المال، وأحدث لهم مرتبات "،[3] وقد مدحه أبو عبد الله محمّد بن عبد الله بن مروان التّلمساني (ت601هـ/1204م) قائلا:

ملأتم بساط الأرض خيرًا ومَا بقىَ فأخبارُكم فيهِ تسيُر وتُنقَلُ

أَقِم إن تَسِر نحو الممالكِ رَاحلاً فساكنُها شَوقًا لعَدلِكَ يَرحَلُ[4]

وقد ارتبط العامل الاقتصادي ارتباطًا مباشرًا بالأمن، فكلّما توطّد الأمن، امتلأت الخزائن، واتّسعت الأرزاق، وتحسّنت أحوال النّاس، فأدّى ذلك إلى تطوّر المعرفة، وكثرة المقبلين عليها.

تظافرت جملة من العوامل كانت وراء ظهور المعرفة وانتشارها في عهد الموحدين، كالتُّراث المعرفي، وتشجيع الحكام للمعرفة، والرّحلة في طلب العلم، وانتشار الأمن والاستقرار، وانتعاش الحياة الاقتصادية، وحتى المناظرات العلمية، مما أدّى حتمًا إلى تطور المعرفة في حدّ ذاتها.

---

[1] عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص328، 329، 330

[2] ابن صاحب الصّلاة، المصدر السّابق، ص165، 210

[3] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص217

[4] ابن سعيد أبي الحسن علي بن موسى (ت 685هـ/ 1286م)، **الغصون اليّانعة في محاسن شعراء المائة السّابعة**، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار المعارف، مصر، 1945م، ص31

ثالثا– مكوّنات السُّلطة المعرفية في عهد الموحدين:

يقصد بالسُّلطة المعرفية تلك الفئة الّتي حملت المعرفة بمختلف أصنافها، ومن خلالها استطاعت التَّأثير في جميع مجالات الحياة خاصة السياسية والاجتماعية، بشكل فعّال ومستمر خلال فترة الموحدين.

1– الحكام العلماء:

1.1– عبد المؤمن بن علي[1] (ت 558هـ/ 1163م):

ولد عبد المؤمن في مدينة تاجرا من أعمال تلمسان، وبها نزل أجداده سنة 180هـ/ 788م،[2] ويُجهل تاريخ ميلاده بالضبط، إلاّ أنّه يرجح سنة 494هـ أو 594هـ، شبّ على نيل العلم منذ صغره، وألحقه والده بكُتاب تاجرا لتعلُّم القراءة والكتابة، وحفظ القرآن الكريم، والسّيرة النبوية، والعبادات كالصلاة والصوم والزّكاة وغيرها، ثمّ دفع به والده إلى جامع تلمسان لتحصيل المزيد من العلم والمعرفة، فازداد نبوغًا وفهمًا، فأخذ عن ابن صاحب الصّلاة، وعبدالسلاّم البرنسي.[3]

ولما بلغ العشرين من عمره، عزم على الرّحلة العلمية، والتّوجه نحو المشرق الاسلامي، وسار رفقة عمّه، أسوة بمشاهير علماء زمانه،[4] وأثناء نزوله ملاّلة، التقى بالمهدي ابن تومرت الّذي أقنعه بالعدول عن الرّحلة الّتي أرادها، وأخبره أنّ العلم الّذي يريده موجود عنده، فأقنعه بذلك، وظلّ مُلازمًا له، أين ما حلّ وارتحل، يأخذ عنه المعارف، وأُوتي فهمًا ونجابةً، واختاره مساعدًا له في ما هو مقبل عليه،[5] ليُعيّنه في ما بعد قائدا للجيش الموحدي لتنفيذ مشروعه ميدانيًا، لأنّه لم يجد أحدًا أكثر منه قدرة وثقةً وعزمًا لتولي هذه المهمة،[6] ولما تولى الحكم جمع النّاس على مذهب مالك بن أنس في الفروع، وعلى مذهب أبي الحسن الأشعري في الأصول.[7]

---

[1] هو أبو محمد عبد المؤمن بن علي بن يعلا بن مروان بن نصر بن عامر بن الأمير بن موسى بن عون الله بن يحي بم ورزايغ بن صطفور بن نفور بن مطماط بن هود بن مادغيس بن بر بن قيس بن عيلان بن نزار بن معد بن عدنان، انظر:
ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص83، مجهول، المصدر السابق، ص142

[2]ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص 196

[3]بن قربة، المرجع السابق، ص 6

[4]نفسه، ص9

[5]البيدق، المصدر السابق، صص16، 17، مجهول، المصدر السابق، ص106، عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص247

[6]ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص178، عنان، المرجع السابق، 180

[7]النويري، نهاية الأرب، ج24، ص175

ويبدو أنّ حياة عبد المؤمن العلمية في صغره، تُشبه كثيرًا الحياة العلمية لشيخه المهدي ابن تومرت، إذ أغفلت الكثير من المصادر، ولم تتناول هذه المرحلة المهمّة من حياتهما.

2.1- أبو يعقوب يوسف (ت580هـ/ 1184م):

هو يوسف بن عبد المؤمن بن علي، ولد سنة 533هـ،[1] أُمُّه زينب بنت موسى الضّرير، حفظ القرآن الكريم في صغره، وألمّ بألفاظه، وتفوّق على أقرانه في زمانه، وحفظ الصحيحين البخاري ومسلم، مع إلمام بالفقه، وتمكُّن في اللُّغة العربية، وبراعته في مسائل النّحو، ثمّ طمح شرف نفسه وعُلو همّته إلى تعلُّم الفلسفة وعلم الطّب، فتمكّن منهما،[2] ويذكر ابن صاحب الصّلاّة أنّه " مستظهر للقُرآن الكريم، بشرحه في ناسخه ومنسوخه، قارئًا لنصِّه، حافظًا له على وقفه وابتدائه، عالِمًا بحديث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، بصحيحه ومختلفه وغريبه وبإسناده، متقنا في العلوم الشّرعيّة والأصولية، متقدّمًا في علم الامام المهدي ".[3]

تمّت مبايعته سنة 558هـ/ 1163م، وعمره اثنان وثلاثون سنة، لُقب بأمير المؤمنين، اتّصف بالشّجاعة والفراسة، وحب الجهاد، جزل الألفاظ، محبًا **لأهل المعرفة** والعلم، ناصرًا للمذهب الظّاهري، وحملِ النّاسِ على الاشتغال به، وتصدّى لكتب الفقه والرّأي.[4]

3.1- أبو يوسف يعقوب (ت595هـ / 1198م):

هو يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي القيسي، الملقب بالمنصور، وأمير المؤمنين،[5] ولد سنة 555هـ، بمراكش، وكنيته أبو يوسف، تبّحر في معارف كثيرة كالحديث والفقه واللّغة، والعلوم النّافعة للدّين والدُّنيا،[6] حفظ القرآن الكريم، وحفظ متون الحديث وأتقنها، وكان من فقهاء عصره، يرجعون إليه في فتاويهم، فأحسن في الفقه، وتكلّم فيه كلامًا بليغًا، ونسبه الفقهاء إلى مذهب الظّاهر، وله فتاوى مجموعة حسب

---

[1] ابن أبي زرع، المصدر السّابق، ص205

[2] عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 308، 309.

[3] ابن صاحب الصّلاّه، المصدر السّابق، ص165

[4] ابن العماد، المصدر السابق، ج6، ص525

[5] الذهبي، ذيول، ج3، ص 113، عبد الواحد المراكشي، المصدر السّابق، ص159

[6] ابن أبي زرع، المصدر السّابق، ص216

اجتهاده، وصنّف كتابًا جمع فيه متون أحاديث صحاح خاصّة بالعبادات سمّاه " التّرغيب ".[1]

4.1– المأمون أبو العلاء ادريس بن يعقوب المنصور (ت 629هـ/ 1232م): كان عالما، كاتبا، أديبا، فصيحا، بليغا، ذا رأي وحزم.[2]

وعمومًا فقد اتّصف الخلفاء الموحدين بالعلم والمعرفة، وإن تميّز بعضهم على الآخر، فاشتهر من بينهم أعلام كان لهم دور في الحثّ على طلب **المعرفة** وتحصيلها، ولولا انشغالهم بالأمور السياسية، لكان لهم صيت علمي واسع على غرار علماء زمانهم، كل ذلك جعلهم أكثر قوة في إضفاء الشرعية للحاكم، و في تقوية الدولة القائمة.

2– الفقهاء:

لم يبلغ الفقهاء المنزلة والنفوذ الذي كانوا يتمتعون به في عهد المرابطين، بسبب تضييق الحكام الموحدين عليهم، والتّصدي لهم، ومحاربة الجمود المعرفي لديهم، لكن أغلبية الفقهاء وجدوا في استمرار حكم الموحدين بالأندلس، ما يرمز للوحدة، فعضوا عليها بالنّواجد، مستغلين **معارفهم**، مبرزين لسوابقها التّاريخية، ومن أمثال هؤلاء:

1.2– أبو بكر بن العربي[3] (ت543هـ/ 1148م):

تلقى العلم في صغره في البيئة الّتي تربّى فيها، فسمع من والده كثيرًا، وعن خاله أبا القاسم الهوزني، وأبا عبد الله السرقسطي، وأبا عبد الله القليعي وغيرهما.[4]

يُعتبر العلم الدافع الرّئيسي لشخصية ابن العربي والمحرّك لها، والمسيطر على حركته، والموجه لأفعاله،

---

[1] أحمد بن محمّد المقرّي التّلمساني (ت1041هـ/ 1631م)، **نفح الطّيب من غُصن الأندلس الرّطيب**، تح: إحسان عبّاس، المجلد 3، دار صادر، بيروت، 1988م، ص102

[2] مجهول، الحلل، ص163

[3] هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد ابن العربي الاشبيلي المعافري المالكي، والمكنّى بأبي بكر، ولد سنة 468هـ/ 1075م، انظر:ابن بشكوال، الصّلة، المجلد 2، ص227، 228

[4] محمد بن محمد بن عمر بن قاسم مخلوف، **شجرة النور الزكيّة في طبقات المالكية**، تعليق: عبد المجيد خيالي، ط1، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2002م، ص199

فاتّجه رفقة والده نحو المشرق الاسلامي سنة 485هـ/ 1092م، فدخل الشّام وسمع من الفقيه نصر الدين المقدسي، وأبي الفضل بن الفرات، وببغداد أخذ عن أبي طلحة النّعالي، وتفقّه على الغزالي، وأبي بكر الشّاشي، والطرطوشي، وبمصر عن الخلعي، وغيرهم، واغتنم رحلة الحج في لقاء فطاحل العلماء والأخذ عنهم مختلف المعارف، حتّى أصبح متقدما فيها، متكلما في أنواعها، ناقدا في جميعها، حريصًا على أدائها ونشرها، تعليما وتأليفا، ثاقب الذّهن في تمييز الصّواب منها، ويجمع في ذلك كله آداب الأخلاق، مع حُسن المعاشرة ولين الكنف، وكثرة الاحتمال وكرم النّفس، وحُسن العهد وثبات الوّد.[1]

فعلاً، لقد اكتملت شخصيّة ابن العربي العلمية، من خلال ملاقاة العلماء، وتلاقح الأفكار، فأصّل لديه المنهج القويم، وزكّى فيه المعرفة الحقّة، وأصبح مشرفا على مذاهب الفقهاء، وأنحاء العلماء، وأغراض الأدباء، إمامًا في علوم القرآن والحديث، أصوليًا، متكلمًا، فقيهًا، شاعرًا مجيدًا، كاتبًا بليغًا، خطيبًا فصيحًا، نحويًا لُغويًا.[2]

فقد كان ابن العربي قمّةً شامخةً في العلم والمعرفة، وبصمة واضحةً في علوم الدّين والدُّنيا، تبحّر في المذهب المالكي، واجتهد في نشره تخريجًا واستدلالاً واستباطًا، حتّى صار علمًا فيه، وبه تفوّق في بقيّة العلوم، فاستوعب الأصول، وأحكم الفروع، وحفظ حياة الصّحابة والتّابعين مع دقّة في تخريج المسائل.[3]

2.2- القاضي عيّاض[4] (ت 544هـ / 1149م):

اهتمّ بلقاء المشايخ والأخذ عنهم، تلقى فنون المعرفة المختلفة، وتمكّن من علم القراءات والعربية وأصول الفقه وعلم الكلام، والحديث وعلومه، والنّحو واللغة وكلام العرب وأيّامهم وأنسابهم، حتّى غدا من أهل التّفنُن

[1] ابن العماد، شذرات، ج6، صص232، 233، الذّهبي، العبر، ج2، صص468، 469.

[2] ابن العربي، قانون التّأويل، صص76، 77

[3] نفسه، ص14

[4] هو أبُو الفضل عيّاض بن موسى بن عيّاض بن عمرون بن موسى بن عيّاض بن محمد بن موسى بن عيّاض اليّحصبي السّبتي، ولد سنة 476هـ/ 1083م بمدينة سبتة، وأخذ عن أبي عبد الله بن عيسى، والخطيب أبي القاسم، والخطيب أبي اسحاق ابن الفاسي وغيرهم، أنظر: أبي عبد الله محمد عيّاض (ت576هـ/ 1180م)، **التّعريف بالقاضي عيّاض**، تق وتح: محمد بن شريفة، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية والثقافة، صص 2، 6

في المعرفة، والذّكاء والفطنة واليقظة،[1] وبالجملة فإنّه كان عديم النّظير، حسنة من حسنات الأيّام، شديد التّعصب للسنّة والتّمسُّك بها.[2]

رحل إلى الأندلس سنة 507هـ، وأخذ عن أعلام قرطبة، وبمرسية التقى بأبي علي الصدفي فلازمه، وسمع منه علمًا غزيرًا، وأجاز له الجيّاني، وأخذ من جلّة شيُوخ العلم والرّواية بالأندلس، وفي سنة 508هـ/ 1114م عاد إلى سبتة، وجلس للمناظرة والمشاورة، ثمّ تولى القضاء في نفس المدينة سنة 525هـ/ 1131م، ثمّ انتقل إلى مدينة غرناطة سنة 531هـ، وتولى قضاءها لمدّة سنة، وبعد الوشاية به، عزله تاشفين بن علي، وعاد إلى سبتة، ليتولى قضاءها مرة أخرى سنة 539هـ/1144م، ثمّ تفرّغ للتّعليم والتأليف برغبة منه، وقضى أيّامه الأخيرة في محنة واضطراب، وكانت آخر أيّامه بمراكش الّتي تُوُفّيّ بها ستة 544هـ/ 1149م.[3]

3.2- أبوبكر بن الجّد (ت586 هـ/ 1190م):

هو محمد بن عبد الله بن يحي بن عبد الله بن فرج الجد الفهري، أخذ عن أبي الحسن بن الأخضر، ولد سنة 496هـ/ 1102م بمدينة لبلة، ومكّنه من كتاب سيبويه، وكتب الآداب والعربية، وعن أبي بكر بن العربي، ثمّ تفرغ لدراسة الحديث والفقه، وروى عن أبي محمد بن عتاب، وأبي بحر الأسدي، وأبي الوليد ابن طريف، وأبي الوليد ابن رشد، ومنحه كتاب " البيّان والتّحصيل في شرح العُتبيّة "، وكتاب " المقدّمات على مسائل المدوّنة".[4]

وكان فقيهًا حافظًا، نحويًا بارعًا، خطيبًا مفوهًا بليغًا،[5] رغّبه شيخه أبو عبد الله مالك بن وهيب في الاقبال على العلوم الشرعيّة، ودفع به ابن رشد الحفيد إلى دراسة فروع المذهب المالكي، حتّى تمكّن منه، واتّسع

---

[1]القاضي عياض (ت 544هـ/ 1149م)، **الغنية**، تح: ماهر زهير جرار، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1982م، ص6، ابن بشكوال، الصلة، المجلد 2، صص74، 75.

[2]ابن العماد، المصدر السابق، ج6، ص226

[3]عيّاض القاضي (ت 544هـ/ 1149م)، **مشارق الأنوار على صحاح الآثار**، تح: صالح أحمد الشّامي، ط2، ج1، دار القلم، دمشق، 2018م، صص9، 10.

[4]ابن فرحون المالكي (ت799هـ/ 1396م)، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، تح وتع: محمّد الأحمدي أبو النّور، ج2، دار التراث للطباعة والنّشر، القاهرة، دت، صص286، 287، ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السّابق، المجلد 4، ص353.

[5]الذّهبي، تاريخ الاسلام، ج12، ص823

حفظه، ومما يُؤسف له أنّه لم يشتغل بالتأليف رغم غزارة علمه، باستثناء "كتاب الزّكاة "، واضطلاعه بالتّحقق، والاشراف على الرّقائق والخلاف، لكن تبيّن من خلال كتب التراجم والطبقات أنّه تفرّغ للتّعليم وكوّن الكثير من الطلبة.[1]

4.2- أبو الربيع الكلاّعي[2] (ت634هـ/ 1236م):

من أهل بلنسية، علم الأعلام،[3] نشأ في بيئة علمية، تلقى معارفه على يد شيوخ أجلاّء، كابن رشد الحفيد، وأبو عبد الله بن زرقون وغيرهما، حتى بلغ من العلم عتيا، وصار من أعلامه في شرق الأندلس، حافظا للحديث مبرزا له، عارفا بطرقه، ضابطا لأحكام أسانيده، ذاكرا لرجاله وتواريخهم وطبقاتهم، ريّان من الأدب، كاتبا بليغا، وشاعرا مجيدا، خطيبا مصقعا،[4] فهو من كبار العلماء وجلّة المحدّثين في الاسناد والضبط والاتقان.

وقد تميّز عهد الموحدين ببروز الكثير من الفقهاء، تفوقوا في المعرفة الدّينية، خاصةً علم الحديث، بحكم منهج الدّولة القائم على الكتاب والسنّة، والعمل بالأصول بدل الفروع.

3- الفلاسفة:

برز في العهد الموحدي اثنين من أكبر فلاسفة الاسلام ومفكريه، وأبلغهم أثرًا في المعرفة الانسانية، هما:

- الفيلسوف أبو بكر بن طفيل[5] **(ت 581 هـ/ 1185م)** الّذي تلقّى علوم الحديث والفقه واللّغة من علي أبي محمّد الرّشاطي، ثمّ رغب في طلب الحكمة وعلوم الأوائل، فقصد الفيلسوف أبا بكر بن الصّائغ

---

[1] ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السّابق، المجلّد 4، ص354

[2] هو سليمان بن موسى بن سالم بن حسان بن سليمان بن أحمد بن عبد السلام الحميري، الكلاّعي البلنسي، أخذ عن علماء وقته، في علوم كثيرة، منهم أبو عمرو علي أبو عبد الله بن نوح، وأبو محمد أيوب بن غالب، وابن زرقون، وابن الفخار، وابن خلف، وابن أبي العباس المروي، وأبي محمد ابن جمهور، وأبي عمرو بن عات، وابن الفرس، وأبي الوليد بن رشد وغيرهم، أنظر: ابن عبد الملك، المصدر السّابق، المجلّد 2، صص 81

[3] ابن الأبار، المقتضب، ص191.

[4] ابن عبد الملك، المصدر السّابق، المجلّد 2، صص 82

[5] هو أبو بكر محمد بن عبد الملك بن محمد بن محمد بن طفيل القيسي، ينتسب إلى قبيلة قيس، ولد في وادي آش بضواحي غرناطة، يجهل تاريخ ولادته، وربّما أوائل القرن السّادس الهجري، انظر: عبد الحليم محمود، **فلسفة ابن طفيل**، ط2، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1999م، ص9

الملقب بابن باجة للأخذ عنه والانتفاع به، ثمّ برع في الفلسفة، وشُغف بالحكمة المشرقية، وازداد شغفه في طلب المعارف، ليلجأ إلى علم الطّب فتميّز في أصول العلاج، فهو جامع لمعارف متنوّعة، فقيه، وعالم محقق، وكاتب بليغ، نواظم ناثر، وبارع الإعراب، ليُصبح أحد علماء زمانه، ليخدم دولة الموحدين فقرّبه الأمير أبو يعقوب يوسف (ت580هـ/ 1184م) أثناء ولاية حكم إشبيلية، وجعله من أعلام مجالسه العلمية، ثمّ عيّنه طبيبًا خاصًا له أثناء توليه الخلافة سنة 558هـ/ 1163م، واستمر في ممارسة هذه المهنة في عهد ابنه الخليفة أبو يعقوب يوسف (ت 595هـ/ 1198م)، حتّى وافته المنيّة سنة 581هـ/ 1185م.[1]

– ابن رشد الحفيد[2] (ت595هـ/ 1198م) الّذي وُلد في بيت علم ونباهةٍ، روى عن والده أبي القاسم، واستظهر عليه كتاب الموطأ حفظا، وأخذ الفقه عن أبي القاسم ابن بشكوال، وأبي مروان بن مسرّة، وأبي بكر ين سمحون، وأبي جعفر بن عبد العزيز، وأبي عبد الله المازري، وأخذ علم الطب عن أبي مروان بن جزيول البلنسي، وكانت الدراية أغلب عليه من الرواية، ودرّس الفقه والأصول وعلم الكلام، ولم ينشأ مثله بالأندلس علما وفضلا وكمالا، واهتم بالعلم منذ صغره، حتّى قيل أنّه لم يدع النّظر ولا القراءة منذ عقل، إلاّ ليلة وفاة أبيه، وليلة زواجه، ومال إلى علوم الأوائل (الفلسفة والمنطق وغيرهما)، وكانت له الريّاسة فيهما في وقته.[3]

4– المتصوفة:

كان المتصوفة من المدافعين عن الدّين، وقد كان لهم تأثير بالغ الأهمية على المجتمع، مما أكسبهم سلطة عقلية، ولهذا فهم يُفرقون بين الدّين بمعناه الظاهر، وهو ما يتعلّق بالأعمال التّي تجري على الجوارح، ومجرد رسوم وأشكال وواجبات يأمر بها الشّرع، وبين الدّين في معناه الحقيقي، الّذي يتّصل أساسًا بأحكامِ الباطن وأعمالِ القلوب.[4]

---

[1] عنّان، المرجع السّابق، القسم الثاني، ص719، 720، ابن الأبّار، التّكملة، ص74

[2] هو محمّد بن أحمد بن محمّد بن أحمد بن أحمد بن محمّد بن أحمد بن عبد الله بن رُشد القرطبي، الملقب بأبي الوليد الحفيد، انظر: ابن عبد الملك، المصدر السّابق، المجلّد 4، ص22

[3] ابن فرحون، المصدر السّابق، ج2، ص358،257، ابن العماد، المصدر السابق، ص 522، 523، ابن سعيد المغربي(ت 685هـ/ 1286م)، **المغرب في حلى المغرب**، تح: شوقي ضيف، ط4،ج2، دار المعارف، القاهرة، 2009م، ص105

[4] محمد العدلولي الادريسي، **التّصوف الأندلسي، أسسه النظرية وأهم مدارسه**، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2005م، ص 95

و في نفس السيّاق، يقول القشيري: " إذا كانت الشريعة أمرا بالتزام العبودية، من حيث أنّها مناط تكليف الخلق، فإنّ الحقيقة مشاهدة الربوبية، وإنباء عن تصريف الحق، فالشريعة أن تعبُده، والحقيقةُ أن تَشهده، والشّريعة قيامٌ بِمَا أمر، والحقيقة شُهُود لما قضى وقدر، وأخفى وأظهر"،[1] لذا يعتبر المتصوفة الفلاسفة وعلماء الكلام أنّ الشريعة جانبين.

وقد اتّصف الخلفاء الموحدين بالزُّهدِ والتّصوُف كابن تومرت الّذي كان أهل بيته، أهل نسك ورباط،[2] فاتّصف بالورع والنسك،[3] ويُظهر التّقشُّف والزُّهد في الدنيا،[4] وكان خليفته عبد المؤمن بن علي يلبس الصُّوف، ويصوم الاثنين والخميس،[5] مما جعل المتّصوفة يجدون فسحة في نشر معارفهم.

و في عهد الخليفة المنصور الموحدي الذّي سلك طريق التَّصوُف، وأظهرَ الزُّهدَ والتّقشف وخشونة المأكل والملبس، فكثر الصالحون والعُبّاد في عهده، وظلّ يستدعيهم من البلاد ويراسلهم، ويسألهم الدُّعاء، فقصده الصُّلحاء والعامّة لتكثير سواده وزيادة إمداده، والزُّهاد لإرادته وحُسن اعتقاده، ويصل من يقبل صلته منهم بالصِّلات الجزيلة، ويُغدق عليهم، [6] ويشهد جنائز الفقهاء والصالحين، ويزورهم ويتبرّك بهم،[7]كل هذا أدّى إلى تطور المعرفة الصوفية، وبروز علماء أقطاب يقودونها، منهم:

– محي الدّين بن عربي الطّائي الحاتميّ (ت538 / 1240م)[8] ، الّذي تلّقى تعليمه بمسقط رأسه، وأخذِهِ عن الكثير من علماء زمانه، ويلجأ أحيانًا للتّنقل والارتحال ليطلبه، حفظ القرآن الكريم، وقرأه بالقراءات السّبع عن أبي بكر بن خلف، وعلي أبي القاسم الشرّاط القرطبي، وسمع " كتاب التّيسير" للدّاني عن أبي بكر

---

[1] القشيري، المصدر السّابق، ص118.

[2] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص301

[3] ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص195

[4] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص173

[5] الذّهبي، تاريخ الاسلام، المجلّد 12، ص143

[6] النويري، نهاية الأرب، ج24، ص186، الذّهبي، تاريخ الاسلام، ج12، صص1154، 1159، عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص354

[7] ابن أبي زرع، المصدر السّابق، ص 216

[8] هو محمّد بن علي بن محمّد الطّائي الحاتمي ، إشبيلي مُرسيُّ الأصل، استوطن دمشق، و دُعيَّ في المشرق مُحيّي الدّين وأبو بكر وابن العربي والحاتميّ والقُشيريّ لملازمته رسالة القشيري في الصُوفيّة، وإقدامه على قراءتها، انظر: ابن عبد الملك، المجلّد4، ص239

محمد بن أبي جمرة، وسمع من ابن زرقون، وأبي محمد عبد الحق الاشبيلي،[1] وأبي عمران الزّاهد المارتلي، والعالم القسطلاني، وبفاس عن ابن حرزهم وأبي عبد الله بن قاسم وغيرهما، وروى عن أبي بكر بن العربي، وأبي عبد الله بن محمّد الصدفي وغيرهم.[2]

وفي سنة 568هـ، انتقل إلى اشبيلية، وعمره لا يتجاوز ثماني سنوات لتحصيل المعارف، وظلّ مقيمًا بها إلى غاية 598هـ، وكانت وجهته المشرق الاسلامي للتحصيل والتعلم ونشر العلم، قصد مصر وأقام بالحجاز مدة، ودخل بغداد، ثمّ دمشق الّتي توفي بها سنة 638هـ.[3]

جنح إلى التّصوف، وصحبَ أعلامهُ شَرقًا وغَربًا، و جدَّ في طلبه حتّى تفوّق فيه،[4] واتّصف بفصاحة اللّسان، والقدرة والبراعة في فهم الجنان، له إرادة قوية، كلّما أراد الزيادة في المعرفة والعلم كان له ذلك، خاصةً علم التّصوف، وكان ممن ينظر بحسب الظاهر، ولا يسامح في نظرِ ناظرٍ، تعرّض للنّقد من متصوفة المشرق، لأنهم لم يصلوا إلى ما وصل إليه من المعرفة في هذا العلم.[5]

والجدير بالذّكر أنّ الشّخصيات المذكورة من حكام علماء وفقهاء وفلاسفة ومتصوفة، ليس الغرض التّرجمة لها، بقدر ما هو إبراز للمعارف الّتي تلقوها جعلت منهم أعلامًا بارزين في عصرهم، تحمّلوا في ما بعد أمانة بناء المعرفة ونشرها بين المجتمع الأندلسي، فالحكام العلماء لم يدخّروا جُهدًا من أجل الحفاظ على المعرفة الموروثة من جهة، و المعرفة الّتي أقامها الدّاعية ابن تومرت من جهة أخرى، بل دعموها ووظفوها في جميع المجالات لا سيما السياسية منها، والّتي ستنعكس لا محالة على الجانب الاجتماعي، إضافة إلى الفقهاء الّذين حافظوا على النّمط الاجتماعي السّليم، ليظهر الفلاسفة كرواد للعلوم العقلية بالأندلس، والمتصوفة الّتي أظهر أفرادها معرفةً كان لها الأثر البالغ في الحياة الاجتماعية.

---

[1] المقري، المصدر السابق، ج2، ص161

[2] ابن عبد الملك، المصدر السابق، المجلّد 4، ص539

[3] المقرّي، المصدر السّابق، ص 162.

[4] ابن عبد الملك، المصدر السّابق، المجلّد 4، ص 540

[5] أبو العباس الغبريني (ت714هـ/ 1314م)، **عنوان الدراية في من عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، تح وتع : عادل نويهض، ط2، منشورات دار الأفاق، بيروت، لبنان، 1979م، صص156، 157

الفصل الثَّاني:التّأثير الثّقافي للسُّلطة المعرفية

أولا– التّأليف والانتاج المعرفي

ثانيا– التّعليم في عهد الموحدين

ثالثا– المجالس العلمية

رابعا– المناظرات العلمية

أولا– التأليف والانتاج المعرفي:

جعلت الدولة الموحدية من الكتاب الكريم والسُّنة النبوية الشّريفة مرجعيّة أساسية لها، مما أدّى إلى ظهور نهضة معرفية كبيرة، وبروز الكثير من المفسرين والمحدّثين والأصوليين كما فتحت المجال أمام العلوم العقلية، كالفلسفة والتّصوُّف وعلم الكلام والجدل والمنطق، فطفت إلى الأفق فئة أخذت بزمام المعرفة، اتّجهت بها نحو الأمام من خلال التأليف.

1 – العلوم الدّينية:

1.1– العقيدة:

– المرشدة[1]: هي رسالة صغيرة، تتكون من صفحتين، ألّفها المهدي بن تومرت، عرض فيها مسائل العقيدة دون البرهنة عليها، و في جملتها جارية على منهج الأشاعرة ومقولاتهم، شاع ذكرها بين العلماء والعامة، وجرت بها الألسن حفظًا وشَرحًا، نالت شهرة وانتشارا في العالم الاسلامي مشرقا ومغربا.[2]

– كتاب التوحيد: وهو أكثر تفصيلا من المرشدة، يحتوي على تعاليمٍ في العقيدة، جعلها ابن تومرت أساسًا، و ركّز فيها القول، إلى جانب تعاليم أخرى في الأخلاق والتشريع،[3] وقد وصف ابن القطّان هذا المصنّف قائلا: " وهو سفر مجلد، يحتوي على معرفة الله تعالى، والعِلمُ بحقيقةِ القضاء والقدر، والايمان والاسلام والصفات، وما يجب لله تعالى، وما يستحيل ويجوز عليه، والايمان بما أخبر به النّبي صلّى الله عليه وسلّم، بما طريقه الأخبار بما أعلمه الله تعالى من غيبه، ولمع من أصول الدين، ومعرفة المهدي، وأنّه إمام، ووجوب الامامة، وما يجب له من التّعزير والتّوقير، وأنّ الهجرة إليه واجبة، لا يحول بينها وبين أحد من المسلمين أهل ولا ولد ولا مال، وأنّ من سمع بأمره، وجبت عليه الهجرة إليه، ويُكفّر من لم يُصلّ عليه ولم يُطعه، وذُكر لهم في الآداب بينهم، وعلامة المؤمن، وما يجب على المؤمن فعله، من الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، وآخى بينهم فيه، وذكر لهم علامة المنافقين، وبيّنها بأوضح بيان، وجعل القتل في ثمانية عشر صنفا، كالكذب والمداهنة، وأمور يطول الكتاب بذكرها، وحفّظهم إيّاه، وربّاهم به، وسهّل عليهم التّعليم بنفسه، وبأعيان أصحابه، وجعل

[1] عبد المجيد النّجار، المهدي بن تومرت، ص447، 448،انظر الملحق رقم3

[2] نفسه، ص151

[3] نفسه، ص 125

على كل عشرة نقيبا".[1]

2.1- علم التّفسير:

برز الكثير من العلماء المفسّرين في عهد الموحدين، نذكر منهم الفقيه أبو بكر بن العربي (ت543هـ/ 1148م) الّذي ألّف كتابه " أحكام القُرآن " سنة 530هـ، أقام منهجه على ذكر سورة القرآن، وما فيها من آيات الأحكام، فيشرحها ويذكر ما فيها من المسائل، معتمدًا على الحديث واللغة، وما كان من أفعال النّبي صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه، مستعينًا بقواعد أصول الفقه، ويُوازن بين المذاهب، ويُرجّح رأيه بالحجّة والمنطق، منتصرًا للمذهب المالكي ومدافعًا عنه في غالب الأحيان، محذرًا من الأحاديث الضّعيفة، والخوض في الاسرائيليات الّتي اعتمد عليها الكثير من المفسّرين.[2]

وبرز الفقيه أبو الحسن بن النّعمة (ت567هـ/ 1171م) في علم التّفسير، واشتهر بكتابه " ري الظمآن في تفسير القرآن "، والّذي جمعه في سبعةٍ وخمسينَ متوسّطة.[3]

وألّف عبد المنعم بن الفرس الغرناطي (ت597هـ/ 1201م)، كتابًا في " أحكام القرآن "،[4] في عهد الخليفة عبد المؤمن بن علي، انتهى من تأليفه سنة 553هـ/ 1158م، بمدينة مرسيّة، ويبدو من خلال مضمونه متأثّرًا بمذهب الموحدين الظّاهري، وقد حلاّه أبو الرّبيع بن سالم " وهو كتاب حسن مفيد، جَمَعَهُ في ريعان الشّبيبتين من طلبه وسنِّه، فللنّشاط اللاّزم عن ذلك أثره في حُسن ترتيبه وتهذيبه.[5]

وفسّر المحدّث أبو عبد الله محمّد بن يُوسُف المزدعي (ت 655هـ/ 1257م) القرآن الكريم من البداية إلى غاية سورة الفتح.[6]

وصنّف المحدّث القاسم بن محمّد الملقب بابن الطّيلسان (ت 642هـ/ 1244م)،كتاب " بيان

---

[1] ابن القطان، المصدر السّابق، ص81

[2] سعيد أعراب، المرجع السّابق، صص130، 131

[3] ابن عبد الملك، المصدر السّابق، المجلّد1، ص520، قاسم مخلوف، المرجع السّابق، ج1، ص217

[4] السّيوطي، بغية، ج2، ص116

[5] ابن عبد الملك، المصدر السّابق، المجلّد 3، صص48، 49

[6] نفسه، المجلّد5، ص268.

المنن على قارئ الكتاب والسُّنن ".[1]

ويُعدُّ أبا عبد الله محمّد السّلمي (ت655هـ/ 1257م) الّذي عاش معظم عمره بمصر وبها تُوفيّ، من الأئمة الفضلاء في جميع المعارف، له فهم ثاقب، وتدقيق في المعاني، أقبل على تفسير القرآن العظيم، وجمعه في كتاب سمّاه " ري الظمآن ".[2]

وصنّف الامام القُرطُبِي (ت671هـ/ 1272م) مصنَّفَه " الجامع لأحكام القُرآن والمبَيّن لما تضّمن من السُنّة وآي الفُرقان "، جاءت مقدّمته حافلة ببيان فضائل القرآن، وآداب حملته، وما ينبغي لصاحب القرآن أن يأخذ نفسه به، و في تبيّينه بالسنّة، ومعنى كونه أُنزل على سبعة أحرف، و في جمعه وحفظه، وجاء في ترتيب سوره وآياته، وإيراد نكات في إعجازه، أمّا بقيّة محتوياته، فقد ضمّنها القرطبي في قوله " فلما كان كتاب هو الكفيل بجميع علوم الشّرع، الّذي استقلّ بالسنّة والفرض، ونزل به أمين السّماء إلى أمين الأرض، رأيت أن أشتغل به مدى عُمُري، وأستفرغ به منَّتي، بأن أكتب فيه تعليقًا وجيزًا، يتضمّن نُكتًا من التّفسير واللُّغات، والإعراب والقراءات، والرّد على أهل الزّيغ والضّلالات، وأحاديث كثيرة شاهدة لما نذكره من الاحكام، ونزول الآيات، جامعًا بين معانيها، ومُبيّنًا ما أُشكِلَ منهما، بأقاويل السّلف، ومن تبعهم من الخلف "،[3] واتّبع القُرطُبي منهج ابن عطيّة في تمحيص الآثار المنقولة عن أهل الكتاب في التّفسير، وهذا ما ذكره ابن خلدون " وجاء أبو محمّد بنُ عطيّة من المتّأخرين بالمغرب، فلخَّص تلك التّفاسير كلّها، وتحرّى ما هو أقرب إلى الصّحة منها ..وتبعه القُرطبي في تلك الطّريقة على منهاج واحدٍ في كتابٍ آخر مشهور بالمشرق ".[4]

3.1- علم الحديث:

انتشرت كتب الحديث وعلومه عهد الموحدين، وكان يُدرّسها أهل المعرفة، منها صحيح البخاري

---

[1] عبد الباقي السيّد عبد الهادي، **المالكية والظاهرية وأثرهما في المغرب والأندلس في عهد الموحدين**، ط1، دار الآفاق العربية للنشر والتوزيع والطباعة، القاهرة، 2014م، ص296 ، ابن عبد الملك، المصدر السّابق، المجلّد3، ص277

[2] المقرّي، نفح، ج2، صص241، 242

[3] أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت 671هـ/ 1272م)، **الجامع لأحكام القرآن الكريم والمُبيّن لما تضمّنه من السُّنة وأي الفُرقان**، تح: عبد الله بن عبد المحسن التُّركي ومحمّد رضوان عرقسوسي، ط1، ج1، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2006م، ص7، مشهور حسن محمود سلمان، **الامام القرطبي شيخ أئمة التّفسير**، ط1، دار القلم، دمشق، 1993م، صص104، 105

[4] ابن خلدون، العبر، ج1، ص555

ومسلم، وموطأ الامام مالك، وسنن الترمذي، والنّسائي وابن ماجة، وأبي داوود، ومسند الامام أحمد، ومسند ابن أبي شيبة، ومسند البزار، ومسند الجرجاني، ومسند بقي بن مخلد، وسنن الدّارقطني، وسنن البّيهقي وغيرها،[1] وقد كان بعض العلماء يُردّدُ إذا رأى أصحاب الحديث، لأنّهم برون فيهم خلفاء رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، والمدافعين عن السُنّة وحماتها:

أهلاً وسهلاً بالّذين أودُّهُمُ وأُحبُّهم في الله ذي الآلاءِ
يسعَونَ في طلب الحديث بِعِفَّةٍ وتَوَقُّرٍ وسَكينةٍ وحياءٍ
لَهُمُ المهابَةُ والجَلالةُ والتُّقَى وفَضَائل جلّت عن الإحصَاءِ
ومِدَادُ ما تَجرِي به أقلاَمُهم أزكَى وأطهَرُ من دمِّ الشُّهداءِ
يا طَالِبِي عِلمَ النَّبَي محمدٍ ما أَنتُم وسِواكم بِسواء[2]

وانتشر التّأليف في علم الحديث بشكلٍ واسعٍ خلال فترة الموحدين، وهو منهج الدّولة القائم على العمل بالأصول، والتّحفيزات الّتي قدّمها الحاكم لمن له باع في هذا العلم، وجعل الأعطيات والمكافآت لمن يحفظ أحاديث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.[3]

وممّن برز في هذا العلم الفقيه أبو بكر بن العربي (ت543هـ/ 1148م) الّذي ألّف مصنّفه "عارضة الاحوذي بشرح صحيح التّرمذي "، ذكر في مقدّمته الأسباب الّتي دفعته إلى تأليفه قائلا: " فإنَّ طائفةً من الطلبة عرضوا عليَّ رغبةً صَادقَةً في صرف الهمّة إلى شرح كتاب أبي عيسى التّرمذي "،[4] ووضع منهجًا في هذا المصنّف يعرض فيه الحديث من حيث السّند واللغة والتّوحيد (أسماء الله الحسنى)، والأحكام من فقه وعبادات ومعاملات وأصول، وآداب في أخلاق الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، وما كان عليه السّلف الصّالح.[5]

---

[1]عبد الباقي السيّد، المرجع السّابق، ص278، عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص355

[2]أبو عبد الله محمّد المجاري الأندلسي (ت 682هـ/ 1457م)، **برنامج المجاري**، تح: محمّد أبو الأجفان، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1982م، ص47

[3]عبد الواحد المراكشي، المصدر السّابق، ص355

[4]أبو بكر ابن العربي (ت 543هـ/ 1148م)، **عارضة الأحوذي بشرح صحيح التّرمذي**، ط1، ج1، وضع حواشيه: جمال مرعشلي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،1997م، ص7

[5]سعيد أعراب، المرجع السّابق، صص137، 138

وألّف القاضي عيّاض (ت544هـ/ 1149م) تلميذ أبو بكر ابن العربي ، مصنّفه " مشارقُ الأنوار على صحّاح الأخيار"، المختّص بالصّحاح الثّلاث البخاري ومسلم والموطأ،[1]وهو تقويم الألفاظ المشكلة والغريبة، وشرحها وضبطها، وضبط الكنى والأسماء والأنساب، وأسماء الأماكن والبّلدان، والتّنبيه على ما يقع في ذلك من وهم أو تصحيف أو لُبسٍ، مع مقارنة الرّوايات، والتّنبيه على الفروق بينها، والتّوجيه إلى الصّواب منها، وجاء في مقدمة الكتاب موضّحًا أهميّته " فهو كتاب يحتاج إليه الشّيخ الرّاوي، كما يحتاج إليه الحافظ الواعي، .. وسيعلم من وقف عليه من أهل المعرفة والدّراية قدره، ويُوفيه أهل الانصاف والدّيانة حقّه ".[2]

وألّف الفقيه أبو الحسن ابن النّعمة (ت567هـ/ 1171م) كتابا في " شرح سنن النّسائي "، بلغ فيه الغاية احتفالاً وإكثارًا، ولم يتقدمه أحد بمثله.[3]

وصنّف أبو عبد الله بن زرقون (ت586هـ/ 1190م) كتابه " الأنوار " الّذي جمع فيه بين المنتقى والاستذكار، وجمع أيضًا بين مُصنّف التّرمذي وسُنن أبي داوود، وكان النّاس يرحلون إليه للأخذ عنه والسَّمَاع منه لعُلُو روايته.[4]

وساهم القاسم بن محمّد الملقب بابن الطّيلسان (ت 642هـ/ 1244م)، في علم الحديث بمؤلّفه " الجواهر المفضّلات في تصنيف الأحاديث المسلسلات ".[5]

أمّا المحدّث أبو الرّبيع الكلاّعي (ت 634هـ/ 1236م) فهو من كبار أهل المعرفة في زمانه، حافظًا للحديث، مُبرّزًا في نقده، تّام المعرفة بِطُرُقه، ضابطًا لأحكام أسانيده، ذاكرًا لرجاله وتواريخهم وطبقاتهم، إذ مدحه أبو الحسن علي بن لُب قائلاً:

فجعت به سير الرّسول مصنّفًا كُتُبًا يُنظّمُ شذرها إطنَابُهُ

وأُصيبَ منهُ حديثُهُ بإمامةٍ وحفيظهُ من حادثٍ ينتَابُهُ[6]

---

[1]الرّصاع أبي عبدالله محمّد الأنصاري (ت 894هـ/ 1488م)، **فهرست الرّصاع**، تح وتع: محمّد العنّابي، ط1، المكتبة العتيقة، تونس، 1967م، ص171

[2]عيّاض القاضي، مشارق الأنوار، ص10، 11، 41

[3]قاسم مخلوف، المرجع السّابق، ص217، الدّمشقي، شذرات، ج6، ص369

[4]ابن الأبّار، التّكملة، ج2، صص63، 64

[5]ابن عبد الملك، المصدر السّابق، المجلّد3، ص477

[6]ابن الأبّار، المقتضب، ص204.

له مصنّفات كثيرة في الحديث وغيره، تدّل على رسوخه في هذا العلم وتفوقه، وبراعته في ما تولاّه منها، "مصباح الظُّلم من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلّم" في كرّاسة كبيرة، الّذي سلك فيه منهج القُضاعي في كتابه" الشّهاب "، و" الأربعون حديثا عن أربعين شيخا لأربعين من الصحابة في أربعين معنى " في كراسة مفيدة، و" الأربعون السُّباعية من حديث السَّلفي" في كرّاسة، و" السُّباعيات من حديث أبي علي الصدفي " في ثلاثة أجزاء، و " مصافحة أبي بكر ابن العربي الامامين " في كرّاسة، و " حلية الأمالي في الموافقات العوالي " خرّجها من حديثه في أربعة أجزاء، و" تُحفة الرُّواد في العوالي البدلية الاسناد " في أربعة أجزاء، و " المسلسلات من الأحاديث والآثار والانشادات" في كرّاسة كبيرة، و" كتاب الاكتفاء بما تضمّنه من مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلّم ومغازي الثلاثة الخلفاء " في أربعة مجلّدات متوسطة.[1]

واختصر الصُّوفي محيّ الدّين بن عربي (ت638هـ/ 1240م) صحيح البخاري ، وصحيح مسلم، واختصار المحلى، وجمعها في كتاب" الجمع بين الصّحاح"،[2] ضمّنه الأحاديث القدسية، ووضع رسالة في كيفية الوعظ بالأحاديث النّبوية، جاءت متطابقة لمنهج الدولة الموحدية، وكتاب " المصباح في الجمع بين الصّحاح"، جمع فيه بين الصّحاح السّتة، وكتاب " مفتاح السّعادة "، جمع فيه بين متون البخاري ومسلم وبعض أحاديث التّرمذي.[3]

4.1- علم الفقه:

يعدُّ الفقه[4] من أولى فنون المعرفة الدّينيّة ظهورًا في العهد النّبوي، يجد فيه المكلفون ضالتهم لمعرفة مختلف المسائل من حلال وحرام، حتّى لا يخرجوا عن المنهج الّذي يُحقّق لهم السّعادة في الدّارين، وتطوّر علم

---

[1] ابن عبد الملك، المصدر السّابق، المجلّد2، ص83

[2] محي الدّين ابن عربي (ت 638هـ/ 1240م)، **الفتوحات المكيّة**، ضبط وتصحيح: أحمد شمس الدّين، ط1، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1999م، ص11

[3] محي الدّين ابن عربي (ت 638هـ/ 1240م)، **رسائل ابن عربي**، وضع حواشيه: محمد عبد الكريم النمري، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م، ص12، عبد الباقي السيّد، المرجع السّابق، ص306.

[4] هو الاستنباط والاستدراك في معاني الكلام من طريق التّفهم، وفي ضمنه بيان وجوب التّفقه، والحثّ على معاني الحديث، واستخراج المكنون من سرّه، وبيان في ترتيب الكلام، وتنزيله منازله، انظر: ابن خير الاشبيلي (ت575هـ/ 1179م)، **فهرست ابن خيّر الاشبيلي**، تح: بشار عواد ومعروف ومحمد بشار عواد، ط1، دار الغرب الاسلامي، تونس، 2009م، ص31

الفقه، وأثراه الفقهاء المجتهدون بالفروع الّتي لاتُعد، ودوّنوا فيه المؤلفات الكثيرة المتفاوتة حجمًا، وتوصلوا إلى تنظيم مسائله وتبويبها،[1] ومن الكُتُبِ الّتي أُلّفت زمن الموحدين، نذكر منها:

– موطأ الامام المهدي:

هو كتاب اختصر فيه محمد ابن تومرت المهدي موطأ الامام مالك بن أنس من رواية يحي بن عبد الله بن بكير المخزومي (ت231هـ/ 845م)، واقتصر على الرّاوي الأخير بعد حذف بقية السّند،[2] مع تقديم وتأخير، وزيادة تراجم، وتفاصيل على أسلوب مفيد، وترتيب سديد،[3] فهو مصنّف يشمل مجموعة من الأحاديث في أبواب فقهية من العبادات خاصة، كالصلاة والزكاة والحج، وكذا الجهاد والايمان والنذور والبيوع والحدود وغيرها، من أجل أن يقع العمل بما فيها من الأحكام مباشرة دون واسطة من أقوال الفقهاء، فابن تومرت لم يُخالف الامام مالك في المنهج، بل سار وفق منهجه في استخراج الفقه من نصوص القرآن والسنّة النبوية، وهو ما يبدو واضحا في أخذ المهدي بأصل خاص من أصول مالك، واعتماده عليه، والخلفاء الموحدين من بعده، يعدّ أصلا من أصولهم، والعناية المستمرة به، والدرس الدائب له، فالموطأ يجمع بين الحديث والفقه،[4]

وبناء على ما ذكر، أراد ابن تومرت ايجاد منهج قائم على انتقائية معرفية، متفرّدة في عملها، محاولاً ترسيخ مبدأ الاجتهاد، والرّجوع إلى النّصوص لاستنباط القضايا والمسائل، ورفض الاعتماد على كتب التقليد، همُّه في ذلك إبراز شخصيته وعلمه ومكانته، واقتناعه بأنّه متجاوز لسابقيه،[5] واجتهاده في أن يُبصّر قومه بأحكام الدّين الصحيحة.[6]

– المسالك في شرح الموطأ الامام مالك:

أدّت الحملة القوية الّتي قام بها أهل الظاهر على الامام مالك، مضعفين كتابه الموطأ، الّذي عابوا عليه

---

[1] الشاطبي أبي إسحاق إبراهيم بن موسى الأندلسي (ت 790هـ/ 1388م)، **فتاوى الامام الشّاطبي**، تح وتق: محمّد الأجفان، ط2، مطبعة الكواكب، تونس، 1985م، ص83

[2] عبد المجيد النّجار، المهدي بن تومرت، ص154

[3] المهدي بن تومرت (ت 524هـ/ 1130م)، **موطأ الامام المهدي**، ولاية عموم القطر الجزائري، مطبعة فونتانة الشرقية، الجزائر، 1905م، ص4

[4] النّجار، المرجع السابق، ص494، 495

[5] ابن تومرت (ت 524هـ/ 1130م)، **أعز ما يطلب**، تق وتح: عبد الغني أبو العزم، ص29، 30

[6] عنان، المرجع السّابق، العصر الثالث، القسم الأوّل، ص217

أمورا كثيرة، منها الخلط بين الحديث والرأي، وعدم التفريق بين المرسل من الموقوف، والمقطوع من البلاغ، وغيرهما، ومما قاله **أبو بكر بن العربي** :" وذلك أنّه ناظرت يوما جماعة من أهل الظاهر الحزمية، الجهلة بالعلم والعلماء، وقلّة الفهم على موطأ مالك بن أنس، فكل عابه وهزأ به "، وأضاف قائلا: " اعلموا أنّ مالكا – رحمه الله – إمام من أئمة المسلمين، وأنّ كتابه أجّل الدواوين،.. وأنّا – إن شاء الله – أنبهكم على ذلك عيانا، وتحيطون به يقينا، عند التّنبيه عليه في موضعه إن شاء الله ".[1]

لجأ ابن العربي إلى تأليف كتابه المسالك الّذي جمع فيه بين الحديث والفقه، وموجها النّقد للفقهاء الّذين لم يجتهدوا في حلّ المسائل، ولم يقبلوا العلوم الوافدة إليهم، والّتي تدعو إلى التّجديد والاجتهاد والانفتاح وعدم الانغلاق، إذ قال: " فصار التّقليد دينهم، والاقتداء يقينهم، فكلما جاء أحد من المشرق بعلم، دفعوا في صدره، وحقروا أمره، إلا أن يتستّر عندهم بالمالكية، ويجعل ما عنده من علوم،.. فماتت العلوم إلاّ عند آحاد حبي بشيء من الحديث"، وأضاف " فإن ظهر عندهم من له معرفة، أو جاءهم بفائدة في الدّين، وطريقة من سلف الصالحين، وسرد لهم البراهين، غمروا جانبه، وقبحوا عجائبه، وعيّبوا حقه، استكبارا وعتوا، وجحدوا علمه، وقد استيقنته أنفسهم ظلما وعلوا، وسعوا في إخمال ذكره، وتحقير قدره، وافتعلوا عليه، وردوا كل عظيمة إليه"،[2] فاهتم ابن العربي في شرحه بمسائل فقهية، جاعلا هدفه تصحيح ما أقدم عليه الظاهرية، وكسر الجمود الفقهي الّذي طبع عليه التقليد، وايجاد منهج جديد يهدف إلى إحياء السنّة، وتجديدها في النّفوس.

– بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد الحفيد:

بقدر ما اشتهر **ابن رشد الحفيد** في عصره بالخوض في الفلسفة – علم الأوائل – أكثر من غيرها، إلاّ أنّ هذا لم يمنعه من الخوض في علوم أخرى، لاطلاعه وإلمامه الواسع بها، خاصة الفقه وعلم الأصول، إذ تلقاه في صباه من علماء أفذاذ، و في مقدمتهم الوالد أبو القاسم[3] (ت 583هـ/ 1187م) الّذي استظهر

[1] ابن العربي، المسالك ، ص330

[2] أبو بكر ابن العربي (ت 543هـ/ 1148م)، **العواصم من القواصم**، تح: عمار طالبي، مكتبة دار التراث، القاهرة، 1994م، صص366، 369

[3] هو أحمد بن محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد، قاضي قرطبة، ولد سنة 487هـ، أخذ عن والده ابن رشد الجد، ولازمه كثيرا، وسمع من الشيخ أبو محمد بن عتاب وغيره، وان خيّرا، فاضلا، عاقلا، محبوبا عند العامة، بارا بهم، توفي سنة 563هـ، انظر: ابن بشكوال، الصلة، المجلد 1، ص134

عليه كتاب الموطأ حفظًا وتلقينًا، وتلقى اليسيَر منه عن أبا القاسم بن بشكوال، وأبو مروان بن مسرة، وأبو بكر بن سمحون، وغيرهم، ليلجأ ابن رشد في مرحلة العطاء إلى تأليف مصنّفه " **بداية المجتهد ونهاية المقتصد** "، الّذي ذكر فيه أسباب الخلاف، وعلّل ووجّه، فأفاد وأمتع به، و وضّح فيه أشهر المسائل المنطوق فيها والمتّفق عليها بين علماء الأمصار، وأشهر المسائل المنطوق بها والمختلف فيها بين فقهاء الأمصار، ليقوم في الأخير بالتّعريف بأسباب الاختلاف بين الفقهاء في المسائل المختلف فيها،[1] فعلّل ووجّه، فأفاد وأمتع، ولا يُعلّمُ في الفقه أنفع منه في زمانه، ولا أحسن منه مساقًا،[2] وهذا ما قاله في مقدمة مصنّفه " فإنّ غرضي في هذا الكتاب أن أُثبت فيه لنفسي على جهة التذكرة من مسائل الأحكام المتّفق عليها، والمختلف فيها بأدلتها، والتنبيه على نكت الخلاف فيها، ما يجري مجرى الأصول والقواعد، لما عسى أن يرد على المجتهد من المسائل المسكوت عنها في الشّرع، وهذه المسائل في الأكثر هي المسائل المنطوق بها في الشرع،.. وهي المسائل الّتي وقع الاتفاق عليها، أو اشتهر الخلاف فيها، بين الفقهاء المسلمين، من لدن الصحابة رضي الله عنهم، إلى أن فشا التّقليد "،[3] ويذكر ابن عبد الملك سبب تأليف ابن رشد الحفيد لهذا المصنّف، أنّ أبا الحسين ابن زرقون أعار كتابًا ألّفه بعض فقهاء خراسان لابن رشد، يتناول أسباب الخلاف الواقع بين أئمة الأمصار، ثمّ أضاف إليه ما قاله الإمامين أبو عمر بن عبد البر، وأبو محمد بن حزم، ونسبه لنفسه.[4]

وتأثر ابن رشد الحفيد بالوضع الّذي آل إليه الفقه، والفقيه الّذي أصبح مقلّدًا ومستهلكًا لما أنتجه السّابقون من المعارف، فاضطر إلى كسر الجمود الفقهي، على غرار من سبقوه في ذلك، أمثال أبي بكر ابن العربي، وتكوين فقيه مجتهد ومتطلع، والتّركيز على الجوانب المنهجية، والصفات الجوهرية للفقيه المتمكن[5]

وصنَّفَ الفقيه الحافظ أبو محمّد عبد الله بن أيُّوب الأنصاري (ت562هـ/ 1166م) مصنّفًا مفيدًا

---

[1] أبو الوليد بن رشد الحفيد (ت 595هـ/ 1198م)، **الجامع المفيد في أسباب اختلاف الفقهاء عند الامام بن رشد الحفيد**، جمع وتح: عبد الكريم حامدي، المجلد 1، ط1، دار بن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2009م، ص7

[2] ابن الأبار، التكملة، ج2، ص74

[3] أبو الوليد بن رشد الحفيد (ت 595هـ/ 1198م)، **بداية المجتهد ونهاية المقتصد**، تع وتح وتخ: محمد صبحي حسن حلاّق، ط1، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، 1989م، ص21

[4] ابن عبد الملك، المصدر السّابق، المجلّد 4، ص23

[5] فتحي ملكاوي وعزمي طه، **العطاء الفكري لأبي الوليد بن رشد**، ط1، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، الاردن، 1999م، ص26

في الفقه سمَّاهُ " المنُّوطة على مذهب مالك "، في ثمانية مجلّدات،[1] وأقبل عبد الحق الاشبيلي (ت581هـ/ 1185م) العالمُ بالحديث وعلله، على التّصنيف في هذا العلم، وألّف " الجمع بين الصحيحين"، و" الجمع بين الكُتُب السّتة"، وكتاب " المعتل من الحديث"، و" كتاب الأحكام الكبرى"، والّذي جمع فيه الأحاديث بأسانيدها، والمختارة من كتب الصّحاح.[2]

والملاحظ أنّ الموحدين لم يُخالفوا الامام مالك، بل ساروا وفق منهجه في استخراج النُّصوص من الكتاب والسنّة، وأبدوا العناية المستمرة له، والدّرس الدّائب له، باعتباره كتاب حديث وفقه، مثل ما فعله ابن تومرت (ت 524هـ/ 1130م) الّذي أخذ بأصل خاص من أصول مالك، وهذا ما أكّده النُّويري أنّ عبد المؤمن بن علي " جمع النّاس على مذهب الامام مالك بن أنس رحمه الله في الفروع، وعلى مذهب أبي الحسن الأشعري في الأصول ".[3]

وتتمةً لما سبق، فإنّ الكثير من الفقهاء خاصةً المالكية، تعلَّموا الاستنباط من القرآن الكريم والسُنّة النّبوية، وكذا الأصول والحديث، لعلهم يجدوا لأنفسهم مكانا في الدولة القائمة، وتولي مناصب دينية تجعل العلم بالأصول والحديث شرطا لذلك.[4]

2- علم الفلسفة:

الفلسفة هي محبُ الحكمة، وشحذ الذّهن في ترتيب الأدّلة والحجج لتحصيل ملكة الجودة والصواب في البراهين،[5] أو هي الحكمة وصناعة نظر، يستفيد منها الانسان تحصيل ما عليه الوجود كله في نفسه، وما عليه الواجب، مما ينبغي أن يكسبه فعله لتشرف بذلك نفسه وتُستكمل، وتصير عالما معقولا، مضاهيا للوجود، وتستعد للسّعادة القصوى بالآخرة، وذلك بحسب الطاقة الانسانية،[6] ويُعرّفها ابن رشد الحفيد على

---

[1] ابن عبد الملك، المصدر السّابق، المجلّد 4، صص169، 170

[2] عبد الباقي السيّد، المرجع السّابق، ص301

[3] النّجار، المهدي ابن تومرت، المرجع السّابق، صص495، 496

[4] عبد الباقي السيّد عبد الهادي، **دراسات أندلسية في الفكر والتّاريخ والمذهب**، ط1، دار الآفاق العربية للنشر والتوزيع والطباعة، القاهرة، 2018م، ص211

[5] ابن خلدون، العبر، ج1، صص 707، 713

[6] عمر فروخ، **تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون**، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1972م، صص17، 18

أنّها النّظر في الموجودات، واعتبارها من جهة دلالتها على الصانع، وكلما كانت المعرفة بها كاملة وتامة، كانت المعرفة بالصانع كاملة أيضا.[1]

في الوقت الّذي نالت فيه العلوم اعتناء واهتماما منقطع النّظير، كالقراءات والحديث والفقه وغيرها، ظلّت الفلسفة مضطهدة ومضيّق عليها، لارتباطها بالزّندقة، والمروق من الدّين، وظلّت عامة الشعب تُلاحق كل من يطلب الفلسفة ويأخذ فيها، واتّهامه بالزندقة، بل وصل بها الأمر إلى رجمه بالحجارة، قبل أن يصل أمره إلى السُّلطان، بل تحريضه عليه، ومن ثمّ قتله، وكثيرًا ما كان يُصدر أوامر تنصّ على حرق كتب الفلسفة إن وُجدت،[2] إذ كانت من العلوم المهجورة عند الأندلسيين، مذمومة بألسنة حكامهم، وكان كل من قرأها متّهمًا عندهم بالخروج عن الملّة، ومظنون به الالحاد في الشّريعة، وظل تعلُّمها منحصرًا في بعض الخواص فقط، الّذين خملت نفوسهم، وتستروا بما كان عندهم، ولم يزل أولوا النّباهة يكتمون ما يعرفونه منها،[3] ويُضاف إلى ذلك سيطرة المذهب المالكي، الّذي كان من أشدّ المذاهب معاداة للفلسفة، فعمّق في نفوس الأندلسيين رفضها والبعد عنها، والعداء لكل من ينظر فيها ويشتغل بها[4].

مع دخول الموحدين للأندلس، أُعطيت الحريّة للخوض في العلوم المختلفة، خاصّة العقلية منها، و في مقدمتها الفلسفة، وازداد الاهتمام بها في عهد الخليفة أبي يعقوب يوسف (ت580هـ/ 1184م)، الّذي طمح به شرف نفسه، وعلو همّته إلى تعلّم الفلسفة، فجمع كثيرا من كتبها، ونافس بذلك الخليفة الأموي المستظهر بالله،[5] واستدعى الفيلسوف أبو بكر بن طُفيل (ت581هـ/ 1185م)، وتلميذه أبو الوليد بن رشد (ت595هـ/1198م) إلى حضرته للأخذ عنهما هذا العلم، مع العلم أنّ الفلسفة انتشرت في عهده انتشارًا واسعًا، تدريسًا وتأليفًا، واستمرّ الانشغال بها في عهد ابنه المنصور (ت 595هـ/ 1198م) الّذي سلك منهج والده في هذا النّوع من المعرفة، وفسح المجال أمامه للإبداع أيضًا.

1.2- مؤلفات أبي بكر بن طفيل (ت 581هـ/1185م):

[1] أبو الوليد بن رشد (ت 595هـ/ 1198م)، **فصل المقال في ما بين الحكمة والشريعة من الاتّصال**، د وتح: محمد عمارة، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1669م، ص22

[2] المقري، نفح، ج1، ص 221

[3] ابن صاعد الأندلسي (ت 462هـ/ 1069م)، **طبقات الأمم**، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1916م، ص 66، 67

[4] النّجار، المهدي بن تومرت، المرجع السّابق، ص54

[5] عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص385

يعد أبو بكر ابن طُفيل أشهر فلاسفة الموحدين، والمتحقق بجميع أجزائها، أخذها عن الفيلسوف أبي بكر بن الصائغ (ت533هـ/ 1139م)[1]، حرص على الجمع بين الشّريعة والحكمة، ومن مؤلفاته:

– رسالة حي بن يقظان:

هي رسالة لطيفة الجرم، ذات فائدة كبيرة في الفلسفة، كتبها لأجل توضيح النوع الانساني على الطريق الفلسفي،[2] وهي قصة فلسفية، ضمنها بن طفيل حكمته الإشراقية، ترجم فيها لحياة إنسان، سمّاه حي بن يقظان، الّذي تولّد من تخمر طينة في جزيرة هندية، أو أنجبته إمرأة الّتي حملت من يقظان، فوضعته في صندوق، ورمته في البحر، خوفا من الفضيحة، ولكن لحسن الحظ، سيرمي به البحر إلى الشاطئ، وترعاه ظبية، ليعيش في وسط الغابات وحيدا ومع الحيوانات، ومع مرور الأيام يكتشف سر الحياة، ويكتشف وجود الله بملاحظة وتأمل واستنتاج الحوادث في العالم، ومراقبة تركيب الكائنات المنظم، ويعرف ذاته التي أدرك بها جميع الأمور كالسماء والله،[3] متدرجا من المحسوس إلى المعقول، ومن الجزئيات إلى الكليات ثمّ أدرك أنّ الذات مغايرة للبدن، وأنّ سعادتها تكمن في التخلص منه، والتوجه بها نحو مصدرها الإلهي، ولا يتم ذلك إلاّ بالرياضة، والأخذ بالزهد في الطعام، والادمان على التأمل للوصول إلى طور الولاية.

ويواصل ابن طفيل قصته، إذ يذكر أنّ حي بن يقظان التقى بإنسان آخر اسمه آسال، الّذي تربى في جزيرة قريبة منه، آهلة بالبشر، واعتنق الدين، ولكنه كان يميل إلى التّفكير والبحث عن حقائق الأشياء، فاختار العزلة، ونزل جزيرة حي، فعلّمه الكلام، وأطلع كل منهما الآخر على معارفه وحقيقة أمره،[4] وأخبر آسال حي بن يقظان على أحوال النّاس بالجزيرة التي قدم منها، وكيف يعيشون على ظاهر الدين مع رئيسهم سلامان، فقصدهم حي، ودعاهم إلى بواطن الأمور، فلم يُفلح، فرجع رفقة آسال إلى الجزيرة يعيشان، منصرفين إلى

---

[1]هو أبو بكر بن محمد بن باجة التّجيبي الأندلسي السرقسطي، المعروف بابن الصائغ، الفيلسوف الشاعر المشهور، يُنسب إليه التّعطيل ومذهب الحكماء والفلاسفة، وانحلال العقيدة، توفي في رمضان 533هـ بفاس، وهو مسموما، ودفن بجانب أبي بكر بن العربي، انظر: ابن خلكان، المصدر السّابق، المجلد 4، ص429 – 431، الذهبي، تاريخ الاسلام، ج11، ص601.

[2]عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص311

[3]ابن طفيل أبو بكر محمّد بن عبد الملك (ت581هـ/ 1185م)، **حي بن يقظان**، تق وتع وش: علي بوملحم، ط1، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1993م، ص9، 10

[4]ابن طفيل، المصدر السابق، ص132-135

التّأمل حتّى توفيا.[1]

وإن كان الغرض ليس عرض محتوى القصة، بل توضيح الهدف منها، فابن طفيل كان يسعى من ورائها إلى وضع منهج خاص للوصول إلى المعرفة الفلسفية، مختلفا عن سابقيه كالفارابي (ت339 هـ/ 949م)،[2] وابن سينا (ت 428هـ/ 1037م)،[3] و أبا حامد الغزالي (ت505هـ/ 1111م)، ومعلمه ابن الصائغ (ت 533هـ / 1139م)، إذ يرى أنّ الوصول إليها يكون تدريجيا وعبر مراحل، إذ يُمكنه اكتسابها والحصول عليها حتّى ولو كان الانسان منعزلاً، ويجعل العقل مبدأ لها، لينتقل بعدها إلى الرياضة الرّوحية – التّصوف – الّتي تُؤدي به إلى الاشراق – مقام الصدق والمشاهدة –، والّتي يغيب فيها العقل، وهو ما يتفق مع الدّين.[4]

حاول الفيلسوف ابن طُفيل الجمع بين الشّريعة والحكمة، إذ اقتنع آبسال صاحب الدّين أنّ المعقول صحيح، كما اقتنع حي الفيلسوف أنّ المنقول صحيح " ووصف له جميع ما ورد في الشريعة من وصف العالم الالهي، والجنة والنّار، والبعث والنشور، والحشر والميزان والصراط، ففهم حي بن يقظان ذلك كله، ولم ير فيه شيئا على خلاف ما شاهده في مقامه الكريم، فعلم أنّ الّذي وصف ذلك، وجاء به محق في وصفه، صادق في قوله، رسول من عند ربّه، فآمن به، وصدّقه، وشهد برسالته ".[5]

وعمومًا، فقد أوجد ابن طفيل منهجًا خاصًا للوصول إلى المعرفة الفلسفية، موافقا أسلافه، مثل ابن سينا والفارابي في بعض مناهجها، ومخالفا لهم في البعض الآخر.

---

[1] عبد الحليم محمود، **فلسفة ابن طفيل ورسالته**، ط2، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1999م، ص13، ابن طفيل، المصدر السابق، ص10

[2] هو أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ الفارابي التركي الحكيم المشهور، أكبر فلاسفة المسلمين بالحقيقة، اشتغل بالفلسفة، وفاق أهل زمانه فيها، وألّف بها معظم كتبه، صاحب التّصانيف في المنطق والموسيقى، من مصنفاته السياسة المدنية، توفي بمشق سنة 339هـ، وقد ناهز ثمانين سنة، ابن خلكان، المصدر السّابق، ج5، ص153- 157

[3] هو الرئيس أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا الحكيم المشهور، ولد ببخارى سنة 370هـ، اشتغل بالعلوم، وحصّل الفنون، كالقرآن الكريم والأدب وأصول الدين والحساب والهندسة والجبر والمقابلة والمنطق والطب وغيرها، وكان نادرة عصره في علمه وذكائه وتصانيفه، مما يقارب مائة، منها كتاب الشفاء في الحكمة، و رسائل بديعة منها رسالة حي بن يقظان، و رسالة سلامان وآبسال، توفي سنة 428هـ، بهمذان، ابن خلكان، المصدر السّابق، ج2، ص 157- 162

[4] عبد الحليم محمود، المرجع السّابق، ص21

[5] ابن طفيل، المصدر السابق، ص137، عبد الحليم محمود، المرجع السّابق، ص126

2.2- مؤلفات أبي الوليد بن رشد الحفيد (ت 595هـ/1198م):

- تهافت التّهافت:

ألّفه ابن رشد الحفيد ردًا على كتاب تهافت الفلاسفة للغزالي، إذ نجح هذا الأخير في التّهجم على الفلاسفة وتكفيرهم، ونشر أفكاره بين النّاس، ومما قاله: " وإنّما مصدر كفرهم سماعهم أسماء هائلة، كسقراط وأفلاطون وأرسطو طاليس وأمثالهم، وأطناب طوائف من متبعيهم، وضلالهم في وصف عقولهم، وحسن أصولهم، ودقة علومهم .. باستخراج تلك الأمور الخفية، وحكايتهم عنهم - مع رزانة عقولهم وغزارة فضلهم - منكرون للشرائع والنّحل وجاحدون لتفاصيل الأديان والملل "،[1] وكانت الفلسفة في زمانه، ما كتبه ابن سينا والفارابي، وما نقلاه عن الفلسفة اليونانية، فأظهر في كتابه تناقض كلام الفلاسفة، وعرض فيه أدلتهم، واعترض عليها في عشرين مسألة فلسفية في الإلهيات والطبيعيات، فأراد ابن رشد الحفيد الدفاع عن أرسطو والفلسفة، ويتصدى للغزالي الّذي يتناقض مع أفكاره، فقام بفحص نقدي لكل أقاويله واستدلالاته، وتوصل إلى أنّها ظنون غير صادقة، وغير برهانية، متعجبا من الأدلة الّتي يحيكها الغزالي ضدّ الفلاسفة.[2]

ويقف ابن رشد الحفيد في هذا المصنّف موقف القاضي النّزيه، من ابن سينا والغزالي معًا، ولا يتردد في تصحيح رأي بن سينا في قضية ما، ليقترب به من الطريقة البرهانية، وفي المقابل لم يُغيّب حق الغزالي، ويذكر رأي الفلاسفة كما كتبه الغزالي بقلمه، ثمّ يتولى بنفسه شرحه قبل أن يُورد رأي الغزالي، ومثل ذلك يفعل مع ردود الغزالي، يلخصها أو يشرحها قبل أن يرد عليها، ويختتم ابن رشد الحفيد مؤلفه بأنّ أبو حامد الغزالي أخطأ في حق الشريعة والحكمة معا، عندما كفّر الفلاسفة في المسائل الثلاث، واعتبر ذلك تخليطا بينهما.[3]

- فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة والاتّصال:

تناول ابن رشد الحفيد في كتابه، قضايا فلسفية ثلاث، كانت محل جدل ونقاش بين الفلاسفة والمتكلمين آنذاك، أولها العالم : هل هو قديم أو محدث؟، وثانيها العلم الإلهي: هل هو محيط بالجزئيات أو

---

[1] أبي حامد الغزالي (ت 505هـ/ 1111م)، **تهافت الفلاسفة**، تح: سليمان دنيا، ط4، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1966م، ص74

[2] أبو الوليد بن رشد (ت 595هـ/ 1198م)، **تهافت التّهافت**، شرح: محمد علي الجابري، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1998م، ص85

[3] نفسه، ص54، 558

مقتصر على الكليات؟، وأخيرا قضية الميعاد، هل هو مادّي أو روحي؟.[1]

افتتح ابن رشد الحفيد مصنّفه بسؤال وجيه: هل النّظر في الفلسفة وعلوم المنطق مباح بالشّرع، أم محظور، أم مأمور به، إمّا على جهة النّدب، وإمّا على جهة الوجوب؟،[2] وحاول الاجابة عليه مستشهدا بالآيات القرآنية، في قوله تعالى{.. فاعتبروا يا أولي الأبصار(2)}،[3] وقوله عزّ وجلّ { وكذلك نُري إبراهيم ملكوت السّموات والأرض وليكون من الموقنين (75)}،[4] وقوله تعالى { أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خُلقت (17) وإلى السّماء كيف رفعت (18) وإلى الجبال كيف نُصبت (19) وإلى الأرض كيف سُطحت(20)}،[5] ومستعملاً القياس الشّرعي والعقلي معا.

وتطّرق ابن رشد الحفيد في مصنّفه إلى غاية الشريعة الاسلامية في تعليم العلم الحق، القائم على معرفة الله عزّ وجل، والعمل الحق الهادف إلى إسعاد الانسان، مستخدمًا المنطق والتّأويل في تحديد المعاني، وحلّ المسائل المتنازع فيها، بين الفقهاء والفلاسفة.[6]

ويتّضح من الكتاب أنّ ابن رشد الحفيد سار على نفس المنهج الّذي وضعه شيخه أبو بكر ابن طفيل، والقائم على التّوفيق بين النّقل والعقل، ولا يوجد تعارض بينهما، بل يُدعمّه ويُوافقه، وينفي التّعارض بين الفقهاء والفلاسفة، ويُؤكد أنّ الاختلاف لا يصل إلى درجة أن يُكفّر بعضهم البعض.

– الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الأمّة:

ذكر ابن رشد الحفيد في خاتمة مصنّفه " فصل المقال "، أنّه إذا أطال الله في عمره، سيتفرغ لإثبات التوفيق بين العقل والنّقل، وسيُثبتُ مصنّفه القادم ذلك، بما تيسر له،[7] وفعلا هذا ما أكدّه في مستهل

[1]أبو الوليد بن رشد، فصل المقال، د وتح: محمد عمارة، ص2، أبو الوليد بن رشد، كتاب فصل المقال، تق وتع: ألبير نصري نادر، ص28

[2]ابن رشد الحفيد، المرجع السّابق، ص22،

[3]سورة الحشر، الآية 2

[4]سورة الأنعام، الآية 75

[5]سورة الغاشية، الآية 16 و17

[6]فتحي ملكاوي وعزمي طه، العطاء الفكري ، ص325

[7]أبو الوليد بن رشد، كتاب فصل المقال، تق وتع: ألبير نصري نادر، ص57، أبو الوليد بن رشد، فصل المقال، د وتح: محمد عمارة، ص66

مصنّفه " الكشف عن مناهج الأدلة "، قائلا: فإنّه لما كنّا قد بيّنا قبل هذا، في قول أفردناه، مطابقة الحكمة للشرّع، وأمر الشّريعة بها ..."، الّذي انتهى من تأليفه سنة 575هـ، فهو يعتبر مكملاً لمصنّفه "فصل المقال "، وبيّن فيه جوانب الضُعف والابتداع والانحراف في تأويلات المتكّلمين بمختلف فرقهم، والمشهورة في عصره، وهي الأشعرية والمعتزلة والباطنية (المتصوف) والحشوية، واختلافها في معرفة الله عزّ وجل، ووحدانيته وصفاته وأفعاله، كل حسب تأويله، وكل منها يرى نفسه على الشريعة، وكل من خالفها إمّا مبتدع، وإمّا كافر، مستباح الدّم والمال، وهذا خروج عن الشّريعة،[1] كما ميّز بين الجمهور والفلاسفة والمتكلمين على مستوى المعرفة، واستحضر في ذهنه ما كان يُعتبر في عصره معرفة بُرهانية (العلم الأرسطي)، الّتي تنطلق من المحسوس إلى المعقول، ثمّ يقارن بين آراء المتكلمين وبين هذه المعرفة العلمية، فيُبيّن مواطن الضعف في تلك الآراء.[2]

– كتاب أرِسطُو طاليس:

ذكر ابن رشد الحفيد سبب إقباله على تأليف هذ المصنّف، أنّ الخليفة أبو يعقوب يوسف (ت 580هـ/ 1184م)، اشتكى من غموض في عبارة أرسطو طاليس، وطلب من أبوبكر بن طفيل المتفنن في الفلسفة، والمتميّز بصفاء الذّهن، وجودة القريحة، أن يُزيل ذلك الغموض، ويرفع اللبس عنها، ويبسط شرحها، حتى يفهمها العامة، ويسهل الأخذ بها، لكن بن طفيل اعتذر لكبر سنه، وانشغاله بأمور الدولة، فطلب مني القيام بذلك، فكان هذا الّذي حملني على تلخيص ما لخصته من كتب الحكيم أرسطو طاليس.[3]

حدّد ابن رشد الحفيد الغرض من كتابه في المقالة الأولى، المبني على تعريف القوانين، والأشياء الكلية الّتي منها تلتئم صناعة الجدل، وبها تكون أكمل وأفضل، وحصرها في نقطتين أساسيتين، الأولى معرفة الأشياء والقوانين الّتي بها تلتئم، وثانيها استعمال تلك القوانين والرياضة فيها، حتى يُصبح استعمالها ملكة، وكذلك الأمر لباقي المعارف الأخرى كالطب وغيرها.[4]

---

[1] أبو الوليد بن رشد (ت 595هـ/ 1198م)، **الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الأمّة**، إش: محمد عابد الجابري، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1998م، صص99، 100، 207.

[2] نفسه، صص73، 74

[3] عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص315

[4] أبو الوليد بن رشد،(ت 595هـ/ 1198م)، **تلخيص كتاب أرسطو طاليس في الجدل**، تحق وتع: محمد سليم سالم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1980م، ص3

أمّا مضمون مصنّفه، فقد تناول ثماني مقالات إجمالا، بيّن في الأولى منها، الأقاويل الّتي تلتئم منها المخاطبة الجدلية وأجزاؤها، وأجزاء أجزائها، إلى أبسط ما يتركب منها، أمّا المقالات السّت الموالية، تناولت المواضع الّتي تُستنبط منها المقاييس في إثبات الشيء أو إبطاله، في جميع أصناف المطالب في الجدل،[1] بينما تضمنت المقالة الثامنة الطريقة الّتي ترتيب السؤال وإجادته، والغرض من استعمال المقدّمات للسؤال، والقول في ترتيب الجواب والمقدّمات المشهورة على الاطلاق، والمشهورة عند طائفة، والمقدّمات المحمودة، واستعمال الاستفهام، وإجادة الجواب، وفساد القياس بالجملة من صورته أو مادته، والمقاييس المستعملة في الجدل، وأقوال أرسطو فيها.[2]

والجدير بالذِّكر أنَّ المؤلّفات الفلسفية لابن رشد الحفيد، تنقسم إلى فرعين، إذ يشمل الأول منها شروحات لكتب الأقدمين، مثل كتاب أرسطو طاليس، كتاب الحيوان، بينما يشمل الثّاني منها مؤلفاته الشَّخصية، مثل تهافت التّهافت، وفصل المقال، وكتاب الكشف عن مناهج الأدّلة، و كتاب الضروري في النّحو، والضروري في المنطق، إضافة إلى مجموعة من المقالات والشروحات.[3]

وعمومًا، فقد اقتصرت على ذكر مصنّفات أبو بكر بن طفيل وتلميذه ابن رشد الحفيد كونهما عالمان بارزان في المعرفة الفلسفية خلال عهد الموحدين، وقد تجاوزت مصنّفات ابن رشد الحفيد في مختلف المعارف السّبعين ما بين كتاب ورسالة، اشتهر جميعها في المشرق والمغرب، وتُرجم الكثير منها إلى اللاّتينية، خاصة الفلسفية منها –الأرسطية – وهي الّتي جعلت من ابن رشد علاّمة معرفية في أوروبا.[4]

3- علم التّصوف:

التّصوف هو العكوف على العبادة، والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزُّهد في ما يقبل عليه الجمهور من لذّة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة،[5]

[1] ابن رشد الحفيد، المصدر السابق، ص7، 8

[2] فتحي ملكاوي وعزمي طه، العطاء الفكري ، ص331

[3] ابن عبد الملك، المصدر السّابق، المجلّد 4، صص23، 24

[4] محمد ابراهيم الفيّومي، **تاريخ الفلسفة الاسلامية في المغرب والأندلس**، ط1، دار الجيل، بيروت، 1997م، ص175

[5] ابن خلدون، العبر، ج1، ص 611،

1.3- مؤلفات أبي بكر بن العربي (ت543هـ/ 1148م):

- سراج المريدين في سبيل الدّين: هو مصنَّف ذي نزعة زهدية سلفية خالصة، يتناول فيه الجزئيات السُّلُوكيَّة، ويرجع بها إلى الأسماء والصِّفاتِ الّتي يتسَّمّى بها الانسان، ويسكب المعاني والحقائق في قوالب حكميّة رائعة التَّفسير، مازجًا التَّوجيه والوعظ بالأسرار الشَّرعية اللَّطيفة، فجاء كتابه أية للسائلين، واعتمد على كتّاب الله عزّ وجّل، وما صحَّ من سنة رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، مع إعطاء رأيّه الاجتهادي، وعمله النَّقدي لأقوال أئمة التّصوف وأقطابه، وهو المنهج الّذي درج عليه الشَّاطبي في الاعتصام، وابن الحاج العبدري في المدخل.[1]

وتناول هذا المصنّف آيات الوعد والوعيد، والجنّة والنّار، وحكايات الصّالحين، وسُننِ المهتدين، ومن أهمها العلم والمباهاة به، والمحافظة على آداب الشّريعة، والامامة والشُّورى، والرّباط والمرابطة، وكيفيّة اللّباس وغيرها.[2]

2.3- مؤلفات محي الدين بن عربي (ت 638هـ/ 1240م):

تميّز محيّ ابن عربي بالتّصنيف في علم التّصوف دون غيره من العلوم الأخرى، تأليفا وتدريسا، فلم يخض في الفلسفة والطب والتّصوف كما فعل ابن سينا، ولم يشتغل بالتّأليف في المنطق والفقه وأصوله، والردّ على الفلاسفة، كما فعل أبو حامد الغزالي، وابن رشد الحفيد، فهو من أقوى العلماء علمًا، وأوسعهم أُفُقًا، وأقربهم إلى العبقرية والتّجديد في علمٍ اقتحمه كثيرون، ولم يخرُجُوا منه بمثلِ مَا خرج، ولا بَلَغوا المنزلة الّتي بلغها.[3]

له مؤلفات كثيرة، ومقالات تتجاوز الحصر، منها " الجمع والتّفصيل في أسرار معاني التّنزيل "، و "الجذوة المقتبسة والخطرة المختلسة "، و" مفتاح السّعادة في المدخل إلى طريق الإرادة "، و" مبايعة القطب في حضرة القُرب "، و" ما لا بد للمريد "، و" التّحقيق في سرّ الصديق "، و " شفاء الغليل "، و " مشاهدة

---

[1] ابن العربي، قانون التّأويل، صص141، 142

[2] سعيد أعراب، المرجع السّابق، ص132

[3] محي الدّين بن عربي (ت 638هـ/ 1240م)، **فصوص الحكم**، تع: أبو العلاء عفيفي، ج1، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1946م، ص6

الأسرار القدسيّة "، و" الفتوحات المكية "، و" أنوار الفجر"، و" المقنع في إيضاح السّهل الممتنع ".[1]

بناء على ما سبق، يعدّ الكتاب خير معين على العلم، وأصدق رسول يحمل الأمانة، وينقلها من جيل لآخر، فالمؤلفات الدّينية في العقيدة والتّفسير والحديث والفقه، والمؤلفات الفلسفية الّتي ظهرت واشتهرت، والمؤلفات الصوفية السَّالفة الذّكر، تعتبر نموذجًا ضربهُ أهلُ المعرفةِ من المسلمين في التّفوُق على غيرهم، والّذين وجدوا في الخلفاء الموحدين مناخًا ملائمًا وفُسحةً للإبداع والتّأليف، واستغلال كلّ ما أتيحَ لهم في خدمةِ العلمِ والمعرفةِ، باعتبار أنفسهِم ورثة الأنبياء في المجال الدّيني، والقيام بذلك واجبًا دينيًّا، كما حاولوا من خلالها الخروج من دائرة الرّكود والجمود المعرفي، والتّوجه نحو **منهج معرفي** جديد، يُعمل به لاَحقًا، بعد تلقينه لتلاميذهم، وفعلا فقد استفادت النّهضة الاوروبية من المؤلفات الفلسفية لابن رشد الحفيد مثلا.

[1] ابن عربي، الفتوحات المكيّة، ص 12، 13، شمس الدّين أحمد بن محمّد المقرّي التّلمساني (ت 1041هـ/ 1631م)، **أزهار الرّياض في أخبار عيّاض**، تح: مصطفى السّقا وآخرون، ج3، مطبعة لجنة التأليف والتّرجمة والنّشر، القاهرة، 1939م، ص54، ابن عبد الملك، المصدر السّابق، المجلّد 4، ص541

ثانيا– التّعليم في عهد الموحدين:

التّعليم جزء من الثّقافة، والحافظ للسّلوكيات الاجتماعية، يندرجُ ضمنَ عملية كبُرى، وهي الآداب والأخلاق، كما يُقصد به طرق ومناهج وأدوات نقل معارف ومعلومات ومهارات من المعرفي إلى غيره، فهو مرتبط أساسا بمواد معرفية محددّة، وفق أهداف معروفة، ليتحصّل بعدها المتعلّم أو المتلقي على مهارات فكرية أو عملية، وهو مرتبط بالمعايير العامة للمجتمع، كقواعد السُّلوك والقوانين والتّقاليد والأعراف والمعتقدات، فهو عملية اجتماعية على أساس ثقافي.[1]

1 – أماكن تلقي العلم:

أدرك الخلفاء الموحدون أنّ انتشار المعرفة وازدهارها في مختلف الحواضر الأندلسية، لا يكون إلاّ عبر المراكز التعليمية المختلفة، والتّي ستساهم بلا شك في تلاقُح الأفكار، وتطوّر المعارف وانتقالها بين الحواضر، وتمكين الأجيال منها، ومن المؤسسات التّعليمية نذكر منها:

1.1– الكتاتيب:

اهتّم الحكام الموحدون ببناء المراكز التّعليمية، وفي مقدّمتها الكتاتيب (المسيد)، وعمّم الخليفة عبد المؤمن بن علي تعليم الكتاتيب في جميع أنحاء دولته مغربًا وأندلُسًا، وبالمدن والقرى في الجبال والسُّهول للتّمكين للمذهب الظّاهري، والرّجوع إلى أصل التّشريع، وهما الكتاب والسّنّة.[2]

حوّت كُتُب التّراجم في ثناياها كلمة المكاتب أو الكتاتيب، والّتي اقترنت بالمسجد، فهي واقعة بجواره، فهي تتكون من قاعة واحدة، غالبا ما تكون كبيرةً، ويُلحق بها ميضأة، ومكان للشُّرب،[3] وتقسّم الكتاتيب إلى نوعان، الأولى خاصّة تقتصر على ذوي البيوتات من الملوك والأمراء والوزراء، وأمّا الثّانية مخصصة لعامة النّاس، تقوم بتحفيظ القرآن الكريم وتجويده، وتعليم الخطّ وتحسينه، وتحفيظ أصول القراءات والرّسم والحساب والشِّعر،

[1] (عبد الصمد تمورو)، **التقليد العلمي ومجتمع المعرفة في العالم العربي الاسلامي**، من كتاب " مؤسسات العلم والتعليم في الحضارة الاسلامية "، تنيسق : بناصر البعزاتي، مطبعة النّجاح الجديدة، الدّار البيضاء، 2008م، صص 204، 205

[2] الرّصاع، المصدر السّابق، ص14، عبد الباقي السيّد، الظاهرية والمالكية، ص288

[3] حركات ابراهيم، المرجع السّابق، ج1، ص15

وشيء من الأخبار.[1]

ويُشرف المؤدّب على تعليم الصّبيان في المكتب، الّذي ينبغي أن يكون مهيبًا، طليق الوجه، لا عبُوسًا مُغضِبًا ولا مبسُوطًا، مُرفقًا بالصِّبيَان دون لين، مع إخلاص في تأديبهم، والبساطة في المعاملة،[2] وانتشرت هذه المكاتب في بلاد المغرب الاسلامي، لتصبح أكثر تداوُلا في بلاد الأندلس.[3]

ويذكر ابن عبدون التّجيبي مهام المؤدّب، وحصرها في تعليم الصّبيان حسن الألفاظ في القراءة، والخطّ الحسن، والهجاء، وكيفية تأديّة الصلاّة، ويأمر من كان كبيرًا فيهم إمامتهم، مع حسن اللّفظ وتجويد التّلاوة، وعلى المؤدّب أن يحرص على تعليمهم شيئين رئيسين، هما القراءة مع الكتابة والحساب، ولكي يؤدّي مهمته يجب أن لا يكثر من الصّبيان.[4]

وقد وضّح عبد الحق الاشبيلي الأزدي (ت 576هـ/ 1180م) في كتابه " تلقين الوليد الصغير "، الذّي يضم مجموعة من الأحاديث النبوية الشريفة الّتي يجب على الصّبي الأخذ بها، بدءً من العقيدة (القدر)، مرورا بالعبادات كالصّلاة والزكاة والصيّام والحج وكذلك الوضوء، ثمّ خلص إلى أبواب المعاملات كالجهاد والنّكاح والبيُّوع والجنايات والحدود، واختتم مؤلفه بباب جامع، أدرج فيه أحاديث الآداب ومحاسن الأخلاق والشيّم الّتي ينبغي على الصبّي أن يتربى عليها، ويتشبّع بها، مقتديًا في مصنّفه بالإمام مالك في الموطأ الذي ختم كتابه بكتاب الجامع، وقد وضّح الاشبيلي سبب تأليفه للكتاب في قوله: " فإنّ سائلا سألني أن أجمع له أحاديث كثيرة في أبواب من الشّريعة، يحفظها بني له صغير، تبرّكًا بحديث رسول الله، وتيمُنّا به، فأجبته في ذلك، وسألت الله عزّ وجل أن يُريه فيه أمله، ويُبلغه في ما يريد غرضه، وأن يزيد منه ما لم تبلغ أُمنيته، ولا

---

[1] الرّصاع، المصدر السّابق، ص132

[2] أبي العبّاس أحمد بن يحي الونشريسي (ت 914هـ/ 1509م)، **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب**، إشراف: محمّد حجّي، ج8، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1981م، ص250، محمّد بن سحنون (ت 256هـ/ 870م)، **كتاب آداب المعلمين**، تح: حسن حسني عبد الوهاب، ط2، الشركة التُّونسية لفنون الرّسم، تونس، 1972م، ص47.

[3] الرّصاع، المصدر السّابق، ص14

[4] ليفي بروفنسال، **ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب**، المجلّد 2، مكتبة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشّرقية، القاهرة، 1955م، ص25

عقدت عليه نيّته ".[1]

ومن مشاهير المؤدّبين بالأندلس، المقرئ أبي بكر محمّد بن خلف اللَّخمي (ت 586هـ/ 1190م) من كبار المقرئين في إشبيلية، لمدة خمسين سنة، والمتقدّم عليهم في إتقان التّجويد، وحسن الأداء في التّبريز، غيُورًا على أولاد النّاس، خائفا عليهم، فكلّما دخل عليه أحد يُريد مجالسته، أمره بالانصراف، ولا يسمح له بالجلوس لأنّه كبير في السّن.[2]

2.1- المساجد:

فضّل الله سبحانه وتعالى بقاعًا من الأرض، اختصّها بتشريفه، وجعلها أماكن لعبادته وطاعته، يُضاعف فيها الثّواب، ويزداد فيها الأجر،[3] فهي بيوت الله، ومكان طاهر، مخصّص للذّكر والعبادة، وإقامة الشرائع، والحفاظ على الدّين.[4]

اهتم الموحدون بالمساجد على غرار المرابطين الّذين سبقوهم، إلاّ أنّه لوحظ وجود اهتمام وعناية بها، باعتبارها بيت الله، ومكانًا دينيًا، مرتبط بالعقيدة الاسلامية، كما لا ننكر رغبتهم في بناء مساجد جديدة، ففي سنة 567هـ/ 1171م، أمر الخليفة أبو يعقوب يوسف (ت 580هـ/ 1184م) ببناء المسجد الجامع باشبيلية، وأشرف على بنائه بنفسه، واكتمل بناءه بعد ثلاث سنوات (سنة 570هـ/ 1174م)، وفي سنة 580هـ، أمر ببناء صومعته، لتكون أكبر صومعة بالأندلس، تظهر للعين على مرحلة من اشبيلية، ليكتمل بناءها في عهد ولده المنصور (ت595هـ/ 1198م) .[5]

وقد أسند الحكام الموحدون مُهمّة التّدريس في الجوامع الكبرى، مثل مراكش، وفاس، وقرطبة، وغرناطة وغيرها، إلى كل من كانت له ملكة ومهارة في العلم والدّين في زمانه، وشهد له معاصروه بذلك، واشتّد

---

[1] أبو محمّد عبد الحق بن عبد الرّحمان بن عبد الله الأزدي الاشبيلي (ت 586هـ/ 1190م)، **تلقين الوليد الصغير**، تح وتق: أبي الفضل بدر العمراني الطنجي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2002م، ص 13، 15

[2] ابن عبد الملك، المصدر السّابق، المجلّد 4، ص206

[3] ابن خلدون، العبر، ج1، 435

[4] بروفنسال، ثلاث رسائل، ص21، 24

[5] ابن عذارى، المصدر السّابق، قسم الموحدين، ص122

التّنافس بين أهل المعرفة للظّفر بهذا الشّرف.[1]

وقد قام التّعليم بالمساجد لفترة طويلة على أساس اختيار المتعلّم لشيوخه، وحلقات الدّرس، وأنواع المعارف، والمصنّفات الّتي يرغب في تعلّمها، متنقلاً من حلقة إلى حلقة، ومن مسجد لآخر، غير مقيّد بالزمان، وظلّت العلوم الدّينية ذات أهمية عند الموحدين كالقرآن والحديث لترسيخ المذهب الظاهري، إضافة إلى الفقه واللّغة والبلاغة والنّحو وغيرها،[2] فهو مكان لتلاقح الأفكار، وتصويب والأخطاء.

ومما يلفت الانتباه، إقدام المسلم على بناء مراكز العبادة خاصة المساجد، دليل على تمسُّكه بعقيدته، ولم يكن الأندلسيين في منأى عن ذلك، إذ ساهموا في بنائها من مالهم الخاص، نذكر على سبيل المثال ابن الكاتب محمد بن عبد الرحمان (ت 604هـ/ 1207 م) الّذي بنى مسجد دار القضاء بغرناطة من ماله الخاص، ورمّم مساجد أخرى وسدّدها، وفعل خيرًا كثيرًا.[3]

ويجب أن نُشير أنّ المسجد برز **كزاوية** يُدرّس فيه الأولياء والصوفية نشاطهم الصوفي خلال القرنين 6هـ و7هـ، في الحواضر الأندلسية، حيث قام المتصوف أبو الحسن علي النّجار الملقب بابن سعدوك (ت 578هـ/ 1182م) يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويجلس للنّاس في المساجد يعظهم ويُذكّرهم.[4]

كما نجد الصوفي أبا عبدالله محمد بن يحي (ت 600هـ/ 1203م) بإلقاء دروسه أمام الحاضرين بالجامع الأعظم بقرطبة في الوعظ والارشاد والتّذكير بالله،[5]

3.1– المدارس:

مع اتّساع رقعة الدولة الاسلامية، لم يعد المسجد قادرًا على القيام بالدور التعليمي المنوط به، ونشر العلوم والمعارف بين المجتمع، فظهرت المدارس الّتي ظهرت في عهد نظام الملك السلجوقي (408هـ– 485هـ

[1] محمد المنوني، **حضارة الموحدين**، ط1، دار بوتقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 1989م، ص18

[2] حركات، المرجع السابق، ص23

[3] ابن عبد الملك، المصدر السّابق، المجلّد 4، ص403

[4] ابن الأبار، التّكملة، ج3، ص214

[5] ابن الأبار، المصدر السّابق، ج2، ص 86

/ 1018م- 1092م)، والّتي سميّت بالمدارس النّظامية،[1] منها ثلاثون مدرسة بمدينة بغداد لوحدها، والّتي تمّ ترميمها سنة 504هـ/ 1111م، وجُعل لها أوقاف وعقارات محبسة، تعود بالنّفع على الفقهاء والطلبة وحتى الأماكن العلمية الأخرى.[2]

ولئن كان المشرق الاسلامي مصدرًا للمعارف المختلفة، وسباقًا في ظهور المدارس، فإن نشأة المدارس بالغرب الاسلامي مغربًا وأندلُسًا، قد اختلف فيها المؤرخون، إذ يذكر المقرّي أنّ أهل الأندلس ليس لديهم مدارس تُعينهم على طلب العلم، بل كانوا يتلقون جميع المعارف في المساجد مقابل أجرة، فالعالم منهم بارع، لأنّه يطلب العلم بباعث من نفسه، يحمله على ترك الشُّغل الّذي يستفيد منه، ويُنفق ما عنده حتّى يتعلم، وأنّ كل العلوم لها عندهم حظ وعناية، إلاّ الفلسفة والتّنجيم.[3]

أمّا الباحثون والدّارسون فقد أكّدُوا وجود ملامح المدرسة في زمن المرابطين، إلاّ أنّها لم تظهر بشكل فعلي ورسمي ببلاد المغرب إلاّ مع أواخر انهيار الدولة الموحدية، مثل حاضرة مراكش،[4]وهي ذات أقدمية على أقليتها، أغفلتها المصادر التّاريخية الموضوعة، وحافظت على ملامحها وثائق ونصوص دفينة، عددها ثلاث مدارس، اثنان تقعان بالمدينة الّتي شيّدها المنصور جنوب مراكش (قصبة الموحدين)، خُصّصت إحداها للخليفة وذويه وحاشيته، الهدف منها تكوين الأمراء على منهج معيّن، وملأ فراغهم، والحدّ من مطامعهم، والثانية مدرسة عليا لتدريس الطلبة الحفاظ، وتخريج الموظفين الّذين تثق الدّولة بهم، ويتماشون مع منهج الدّولة القائم، وبالتّالي استئصال المدرسة السّابقة، أمّا الثالثة فهي المدرسة البحرية، وهي المتواجدة بمراكش العتيقة، فهي وقف للخليفة المرتضي،[5] وهذا ما ذكره ابن أبي زرع أنّ الخليفة المنصور بنى المدارس في بلاد

---

[1]بوعقادة عبد القادر، **الحركة الفقهية في المغرب الأوسط بين القرنين 7 و9هـ/ 13 و15م**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في تخصص التّاريخ الوسيط، إشراف لطيفة بشاري، جامعة الجزائر2، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، 2014م/ 2015م، ص312

[2]ابن جبير أبي الحسين محمد (ت 614هـ/ 1217م)، **رحلة ابن جبير**، دار صادر، بيروت، دت، ص205

[3]المقري، نفح، ج1، صص220، 221

[4]بوعقادة، الحركة الفقهية، ص314

[5]أبو أسامة شفيق عبد القادر محمّد لامّة، **مجالس العلم والمناظرة بالمغرب والأندلس على عهد المرابطين والموحدين**، ط1، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 2014م، صص 127، 128، محمّد عادل عبد العزيز، **التربية الاسلامية في المغرب– أصولها الشرقية وتأثيراتها الأندلسية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1987م، صص41، 42

إفريقية والمغرب والأندلس،[1] وأكّده الحسن الوزان أنّ هناك قصر جميل بمراكش استعمله الملك لتعليم أبنائه، وأبناء أسرته، ترى فيه قاعة مرّبعة في غاية الحسن والجمال، يُحيط بها ممّر مع نوافذ رائعة ذات زجاج ملّون، وأضاف أن الخليفة المنصور الموحدّي لما بنى مدينة الرّباط، زوّدها بالمساجد والمدارس،[2] والّتي تعتبر بداية ظهور مركز علمي جديد على غرار المشرق الاسلامي.

ويجب أن ننّوه أنّ المساجد لم تكن مكانًا للعبادة فقط، بل كانت النّواة الأولى للمدرسة، تُلقن فيها القراءة والكتابة والعلوم الدّينيّة واللُّغوية والعلوم المختلفة،[3] ولم تظهر المدارس كهيكل علمي رسمي بالأندلس في زمن الموحدين، عكس المغرب الاسلامي الّذي كان سباقًا في ذلك.

4.1– البيوت:

كثيرًا ما نُصادف في كتب الطبقات والتّراجم، أنّ بعض العلماء خصّص بيته لتدريس طلبته، وتعليمهم معارفه، احتسابا للأجر والثّواب أولا، والمساهمة في تنوير أفراد المجتمع ثانيًا، فكان عبد الله بن فرج بن أحمد بن إبراهيم الأنصاري الملقب بالوراق (ت 579هـ/ 1283م) من أهل قرطبة، لما صار شيخا عاجزا غير قادر على الحركة، فتح داره أمام طلبته، فكان يلقنهم، ويُسمعهم معارفه.[4]

ولم يبخل الفقيه محمد بن أحمد بن أبي العافية اللّخمي بمعارفه على من قصده، فاستفاد منه الحافظ أبو الربيع الكلاّعي (ت 634هـ/ 1236م) على باب منزله بشاطبة، وأجاز له لفظا جميع ما رواه، وما صدر عنه من نظم ونثر.[5]

وفتح أحمد بن محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمان بن عبد الله بن عيّاش التّجيبي (ت 629هـ/ 1231م) باب منزله أمام طلبة العلم، يقصدونه، ويحتكمون فيه احتكامهم في أماكنهم، يسُرُّه تبسُّطهم في ما

---

[1] ابن أبي زرع، المصدر السّابق، ص217

[2] الحسن بن محمد الوزان الفاسي (كان حيا 957هـ/ 1509م)، **وصف إفريقيا**، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، ج1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1983م، ص 132، 201، 202

[3] الرّصاع، المصدر السّابق، ص132

[4] ابن الأبار، التكملة، ج2، ص275

[5] ابن الأبّار، المعجم، ص178

اشتمل عليه، واقتراحهم على خدمته بأغراضهم غاب أو حضر.[1]

ومن الغرباء من قصد الأندلس ونشر علمه ببيته، منهم الصوفي عبد اللّطيف بن أبي الطاهر أحمد بن محمد بن هبة الله الهاشمي(ت 615 هـ/ 1218م) والمعروف بالذّهبي، أصله من بغداد، استقر بإشبيلية، وأخذ عنه ابن الأبّار، وقرأ عليه عوالي النّقيب، وطلبة البلد، بحومة القصر المبارك سنة 615هـ/ 1218م.[2]

وجعل المحدّث ابن هاني العُمري من بيته مكانا لخلوته، والتّفرغ فيه لعبادته وتهجُّده، وقراءة كتبه، معتزلا عن العامة.[3]

5.1– الحوانيت:

استغل المجتمع الأندلسي كل ما هو متاح للأخذ عن أهل المعرفة، الّذين نشروا معارفهم بين من قصدهم، فكانت الحوانيت فضاء معرفيًا مميّزًا للإثراء والتّنوع، فاستغل المعرفي هذا المكان، فقام المحدّث محمد بن علي بن خلف التّجيبي (ت596هـ/ 1199م) بفتح دكانه أمام الكثير من طلبة العلم بإشبيلية، فقصده أكابر شُيُوخه بموضعه، يغتنمون مجالسته والمذاكرة معه، والاستفادة منه، لتبريزه في حفظ القرآن الكريم، واستبحاره في الذّكر لمسائله، وشدّة عنايته بالحديث وروايته، وتقدمّه في الفقه، يقظًا لمعانيه.[4]

وكان أبو عبد الله محمّد بن علي بن محمّد بن يحي الأنصاري (ت 617هـ/ 1220م) يجالس العلماء في دكانه، ويُناظرهم، ويأخذ عنهم، وكثيرًا ما اصطحب أبا القاسم الطرسوني، فكان هذا الأخير يخطئ في الكثير من المسائل الّتي تقع عليه، فيتدخل أبو عبد الله محمد، فيُرشده ويُصوّب له.[5]

6.1– القصور:

كانت قصور الخلفاء والأمراء مركزًا علميًا هاما، ومكان يتلقى فيه أبنائهم وذويهم المعارف المختلفة، فاستدعى عبد المؤمن بن علي (ت558هـ/ 1163م) إلى حاضرته مراكش، الفقيه أبوبكر بن ميمون (ت

[1] ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السّابق، المجلّد1، ص 269

[2] ابن الأبار، التّكملة، ج3، ص 145

[3] ابن عبد الملك، المصدر السّابق، المجلّد 3، ص 364

[4] نفسه، المجلّد 4، ص 487

[5] نفسه، ص 538

567هـ/ 1171م) تلميذ أبي بكر بن العربي، والعالم بالقراءات والتفسير واللغة والآداب والنّحو والشّعر، كل ذلك أبان وُفور علمه، وغزارة مادته، واتّساع معارفه، لأجل التّدريس، فأخذ عنه طلبة العلم، و في مقدمتهم أولاده.[1]

وكان أبو محمد عبد الله بن يحي (ت 578هـ/ 1182م) يعلّم أبناء الخليفة ويُؤدّبُهم، لما له من التَّصاوُن والعدّالة، فكان يُدرّسهم العربيّة بقصره المتواجد بمدينة بلنسية.[2]

واستقدم الخليفة المنصور(ت 595هـ/ 1198م) إلى حاضرة مراكش، الفقيه والمحدّث أبو بكر السّلاّقي (ت 601هـ/ 1204م) والمتقدّم في فنون المعرفة، وأنزله جامعه الأعظم لتدريس ما كان عنده من المعارف، وحظي بوجاهة كبيرة عنده، وعند ذوي الأمر من آل بيته وشيعتهم، اشتغل بالتّدريس، وتفرّغ له، فكان من مفاخر وقته، وكان المنصور يُعجب به، ويقول: " ما ينبغي لأحد أن يخلُوَ عنه، وأمر بنسخ خزانة كتبه، فأعجب النّاس بنسخه واستنساخه.[3]

وعمومًا، فقد جرى عند أهل الأندلس الحرص في طلب العلم، والجاهل الّذي لم يوفق في العلم، يجتهد كي يتعلّم حرفة، حتّى لا يرى نفسه عالةً على مجتمعهِ، ومنبوذًا من طرفه، والعالم عندهم مُوقرٌ عند الخاصة والعامة، يستشيرونه ويرجعون إليه في القضايا الهامة والمستعصية، وترتفع منزلته بين النّاس، فيُكرم ويُحترم، والعالم عندهم يطلب العلم برغبة شديدة منه، والجاهل يُنفق ما عنده لتحصيله.[4]

ومن شدّة اهتمامهم بالعلم وتحصيله، دفع بالبعض إلى حثّ النّاس على طلبه، وعدم التّهاون في ذلك، مثل ما فعل أبو عبد الله محمّد بن عبد الرّحيم الغرناطي (ت565هـ/ 1169م) قائلاً:

العلم في القلب ليس العلم في الكُتُبِ فلاَ تكُن مُغرمًا باللّهوِ واللّهو
فاحفظه وافهمه واعمل كي تفُوز به فالعلم لا يُجتَنَى إلاّ مع التّعبِ[5]

[1] ابن عبد الملك، المصدر السابق، المجلد4، ص347
[2] ابن الأبّار، التّكملة، ج2، ص274
[3] ابن عبد الملك، المصدر السّابق، المجلّد 4، ص416، 417
[4] المقري، المصدر السّابق، ج1، ص220
[5] المقرّي، المصدر السّابق، ج2، ص235

ولا شكّ أنّ المراكز العلمية المختلفة، كالكتاتيب والمساجد والمدارس والبيوت والحوانيت والقصور وغيرها، جعلها أهل المعرفة مكانًا لنشر المعارف المتنوعة بين الطلبة والعلماء، وفضاءً علميًا لتلاقح الأفكار والمعارف بين أهل المعرفة أنفسهم من جهة، و في أوساط المجتمع الأندلسي من جهة أخرى، والمساهمة في الحفاظ على الهوية الاسلامية الأندلسية من خلال التّمكين للمعارف المختلفة، والقائمة أساسًا على الأصول.

2- طرق ومناهج التعليم:

إنّ العلوم والمعارف الّتي كانت تُدرَّس بالأندلس قبل دخول الموحدين، أخذت تشُقُ طريقها في عصرهم، مثل علوم القرآن والحديث والفقه، والفلسفة وعلم الكلام والطّب، والأدب والشّعر، والتّاريخ والجغرافيا، والرياضيات وفنون أخرى، غير أنّه كُتبَ لبعضِ العلوم والمعارف التّميُّز في عصرٍ دون آخر، أو أن تطرأ عليه تغييرات ملموسة.[1]

1.2- مناهج التّعليم:

- السيّاسي واضع للمنهج:

طبيعي جدً أن يكون المنهج التّعليمي للدولة الموحدية قائم على الأسس المعرفية لابن تومرت، واضعا لها منهاجًا، سلاحها الأوّل الكلمة الّتي تُبلّغ باللُّغة العربية، أو بلسان المصامدة، فألّف ابن تومرت مصنّفات للتّكوين المعرفي والفكري، منها المرشدة في العقيدة، وكان أصحابه وطلبته يحفظونها كالقرآن،[2] وكتاب التّوحيد الّذي يتكون من سبعة أحزاب، عدد أيّام الجمعة، وأمرَ بقراءة حزبٍ واحدٍ كلّ يوم بعد صلاة الصبح، وهو يحتوي على معرفة الله تعالى، وجميع العقائد، كالعلم بحقيقة القضاء والقدر، والايمان بما يجب لله تعالى، وما يستحيل منه، وما يجب وما يجوز على المسلم من الأمر بالمعروف، والنّهي عن المنكر، كما ألّفَ كتاب القواعد، وكتاب الإمامة، وهما كتابين في العقيدة أيضا، وكان ابن تومرت يعظ النّاس ويُذكّرهم، ويُقَرّبُ لهم المقاصد، متسلِّحًا بفصاحة اللّسان وقوة البلاّغة.[3]

وفي الفقه ألّف ابن تومرت مصنّفين، الأوّل كتاب موطأ الإمام المهدي، والثّاني كتاب أعزُّ ما يطلب،

---

[1] محمّد لامّة، المرجع السابق، ص152.

[2] محمد عابد الجابري، **ابن رشد سيرة وفكر**، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1998م، ص43

[3] مجهول، الحلل الموشيّة، ص109، 110

وبهذه المؤلفات استطاع أن يرفع القبيلة إلى مستوى العقيدة، ويطبعها بطابع معرفي ممنهج على أساس الانتماء والتّصنيف، مفضي إلى القضاء على العصبيّة القبلية، والّدّليل على ذلك عندما تمّ اختيار عبد المؤمن خليفة له، لم يكن على أساس الانتماء القبلي، بل كان على أساس معرفي، باقتراح من شيخه ابن تومرت، وبموافقة رؤساء القبائل في ما بعد.[1]

ومع دخول عبد المؤمن بن علي مدينة قرطبة سنة 543هـ/ 1148م، وضمّ الأندلس تحت سلطة الموحدين نهائيا سنة 547هـ، بدأ في وضع أسس دولته الناشئة، فوضع التّعليم ضمن أولوياته، فأسّس لجنة تهتم بالتّخطيط للتّعليم ووضع البرامج سنة 448هـ/ 1056م، واختار ابن رشد الحفيد من بين أعضائها، وفي سنة 550هـ/ 1058م، بدأ ببناء المساجد وإصلاح الأخرى، وأمر النّاس بالتّخلي عن كتب الفروع (الفقه) بل حرقها، وردّ النّاس إلى العمل بالأصول، وقراءة كتب الحديث، واستنباط الأحكام منها، وكتب بذلك إلى جميع طلبة العلم من بلاد الأندلس.[2]

أدرك عبد المؤمن بن علي (ت558هـ/ 1163م) بوعي كبير قصد شيخه ابن تومرت، وعمل على ايجاد منهج تعليمي وتربوي، يتوافق مع منهج الدولة القائمة، فأقدم على تكوين جيل يعتمد عليه في بناء الدّولة، ويُساهم في الحفاظ على استمراريتها، سمّاهم الطلبة، وأنشأ لهم مدرسة خاصة بمراكش، أسند مهمتها إلى علماء أكفاء ذوو معارف متنوعة من المغرب والأندلس، وجعل من الطلبة صنفين:

- **طلبة الموحدّين**: وهم من المصامدة من قبيلة المهدي ابن تومرت ورجال الدّولة، أوكلت لهم مهمّة دراسة فكر المهدي، وعلم الأصول،[3] وكان الأشياخ من طلبة الموحدين يحضرون مجالس الخليفة، ويصحبونه في السّفر.[4]
- **طلبة الحضر**: وقد استقدم عبد المؤمن إلى مراكش، الكثير من الأطفال للتّعلُّم، من حواضر الأندلس والمغرب، مثل فاس وتلمسان، وقرطبة واشبيلية، والّذي تجاوز عددهم ثلاثة آلاف، أشرف على تكوينهم

[1] عبد الواحد المراكشي، المعجب، صص263، 264.

[2] الجابري، المرجع السابق، ص43

[3] عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص269.

[4] أحمد مختار العبادي، **صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس**، ط1، منشأة المعارف، الاسكندرية، 2000م، ص154.

بنفسه، وقسّمهم إلى فئات، لكلّ فئة منهج خاص بها، منهم:

– **فئة الحفاظ**: هم صغار الطلبة، تهتم بحفظ القرآن الكريم كونه أرقى المعارف قدرًا، ومصدرًا لعلوم أخرى كالقراءات والأحكام والتّفسير وغيرها، والحديث الّذي يعتمد على قوّة الذاكرة، وكُتُب ابن تومرت كالموطأ، وكتاب أعز ما يُطلب، وغيرها من مصنّفات المهدي، وحظّهم بمكانة خاصة، يُدخلهم كل يوم جمعة إلى قصره، والهدف من ذلك سرعة الحفظ، والتّربية السّليم، والغاية من ذلك تأهيل جيل لتولي المناصب الادارية الهامة في الدّولة.

– **فئة الجند**: الّتي تتدرب عسكريًا بركوب الخيل ورمي السّهام والسّباحة، وركوب الزّوارق، وكانت العطايا ومُؤنهم وأسلحتهم وعتادهم وخيلهم من عند الخليفة،[1] وعلى ما يبدُو أنّ عبد المؤمن بن علي قد تأثّر بالنّظام التّعليمي لأبي حامد لغزالي، والّذي قال: " ويعود (الصبيّ) في بعض النّهار المشي والحركة والرّياضة، حتّى لا يغلب عليه الكسل.[2]

إضافة إلى المعارف السّابقة، تمّ تدريس علم الأصول بما فيه الناسخ والمنسوخ، وعلوم القراءات، وعلوم الحديث، وكتاب الموطأ للإمام مالك، وكتب الفقه بما فيها فصول المعاملات والدماء، ومذاهب الائمة بمنطوقها ومفهومها، إضافة إلى كتب الأدب العربي التي يعتبرونها المفتاح الحقيقي لمعرفة أسرار كتاب الله. [3]

ويبدو أنّ عبد المؤمن بن علي خلال السّنوات الأولى من الحكم (التّأسيس)، وجد صعوبةً في تطبيق منهجِ شيخه والقضاء على فقه الفروع، وظلّ يتحاشى مواجهة الفقهاء، لذا اكتفى بتكوين فئة الحُفَّاظ الّتي كوّنها ابن تومرت، والّتي أسندت لها مهمّة التّرويج للمعرفة التُّومرتية، وحماية المذهب الظَّاهري، وإعادة الاعتبار لأهله، لإعادة التّوازن للتّعليم في الأندلس والمغرب.[4]

وفي عهد الخليفة المنصور (ت595هـ/ 1198م) سار على منهج أبيه وجدّه، واجتهد في التّمكين للمعرفة الدّينيّة، فأمر العمل بالأصول، وكلَّفَ طلبة الحفَّاظ بجمع كتاب في الصلاّة من الكتب الخمسة والموطأ، ومسند ابن أبي شيبة، ومسند البزَّاز، وسُنن الدّارقُطني، وسُنن البيهقي، وكان يُملي ذلك بنفسه على كبار دولته،

[1] مجهول، المصدر السّابق، ص150، الجابري، المرجع السابق، صص44، 45، العبادي، المرجع السّابق، ص154.

[2] عبد الباقي السيّد، الظاهرية والمالكية، صص383، 384

[3] ابن صاحب الصلاة، المصدر السّابق، ص55

[4] محمّد لامّة، المرجع السّابق، ص650

وحَفظَ ذلك الكثير من النّاس، خاصةً صغار السّن، فكان لمن يحفظه امتيازات تمنح له من عطاء وخلعة، كل ذلك لأجل محو المذهب المالكي، وحمل النّاس على مذهب الظَّاهر.[1]

– المعرفي مطبّق للمنهج:

وتماشيًا مع منهج الدّولة الّذي رسمه الحكام الموحدون، فقد شاع بين أهل المعرفة تدريس العلوم والمعارف الدّينية بمختلف أنواعها، كالقراءات، وعلم الحديث والفقه، إضافة إلى علم اللُّغة والفلسفة والطِّب وفنون أخرى، نذكر على سبيل المثال لا الحصر، الفقيه أبي عبد الله ابن الفرس (ت567هـ/ 1171م) الّذي درّس بجامع مرسيّة، قصده طلبة الأندلس من الشرق والغرب ليأخذوا عنه علم الفقه، ويسمعون علم الحديث، ويتلون كتاب الله تعالى بالقراءات السّبع،[2] وعلّمَ الفقيه عبد المنعم ابن الفرس (ت597هـ/ 1200م) بنفس الجامع علم الفقه نيابة عن والده سنة 566هـ/ 1170م، فكان إذا تكلَّمَ أنصت الحاضِرون، لجودة ما يُلقيه بإتقان، واستيفائه جميع ما يجب أن يُذكر في وقته، وعلو كعبه في الفقه.[3]

وبجامع شاطبة علّم أبو محمّد عاشر الأنصاري (ت 567هـ/1171م) طلبته علمي الفقه والحديث،[4] وبجامع قرطبة التزم الفقيه أبي الحسن الشَّقُوري (616هـ/ 1219م) باسماع الحديث، فرغِبَ النّاس في الأَخذ عنه، واستجازوه من أقاصي البلاد لعلو سنده، وثقته وفضله وعدله.[5]

وكان أبو بكر محمّد بن خلف اللَّخمي (ت 586هـ/ 1190م) من كبار المقرئين في إشبيلية، والمتقدّم عليهم في إتقان التّجويد، وحسن الأداء في التّبريز، غيُّورًا على أولاد النّاس، خائفًا عليهم، فكلّما دخل عليه أحد يُريد مجالسته، أمره بالانصراف، ولا يسمح له بالجلوس لأنّه كبير،[6] مستشعِرً الأمانة، مُدرِكًا للهدف، أَمَلاً في تكوين جيلٍ صَالحٍ منبع معارفه شيوخ أجلاّء.

---

[1] شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذّهبي (ت 748هـ/ 1347م)، **سير أعلام النبلاء**، ط1، ج21، مؤسسة الرّسالة، بيروت، لبنان، 1984م، ص314.

[2] ابن عبد الملك، المصدر السّابق، المجلّد 4، ص409

[3] نفسه، المجلّد 3، ص83

[4] نفسه، ص82

[5] نفسه، ص140

[6] نفسه، ص206

وبجامع بلنسية درّسَ أبو عبد الله محمد اليّحصبي (ت622هـ/ 1225م) المتمكّن في العلوم النّظرية كتاب مستصفى للإمام أبو حامد الغزالي، وهذا دليل على انتشار علم التّصوف بين العامة، وتقبلها له،[1] وبنفس الجامع لقّن أبو الرّبيع الكلاّعي (ت 634هـ/ 1236م) علم الحديث، فقصده النّاس للأخذ عنه، والاستفادة من غزير علمه، متنافسين في ذلك.[2]

ويجب أن نُشير إلى دور **العبيد** في مجال التّعليم، فبرز منهم عبد أسود حافظ للحديث، كان يُقرئ الصّبيان بجامع العذيبي باشبيلية،[3] ودخل الأندلس أبو إسحاق إبراهيم بن محمّد الذّكواني (ت608هـ/ 1211م) من قرية كانم بالسُّودان، وكان يقرأ الأدب على الطلبة، كما كان بعض أصحاب المتصوّف أبي بكر ابن عربي من عبيد الحبشة من أهل التُّقى والدّين،[4] وكان الفقيه الشّاعر أبي محمّد ابن اليّاسمين أسودًا، وأُمُّه سوداء.[5]

وعمومًا، فقد تبيّن أنّ الدولة كانت حريصة على نشر المعرفة بمعناها الحقيقي، وقد ظلّت العصمة المهدية مسيطرة في كل الرّسائل الرّسمية الّتي توجّه بها الحُكام إلى بلاد الأندلس قاطبةً،[6] في حين تمّ تلقين مناهج التّعليم في المراكز التّعليمية المذكورة سابقًا، وحرص الموحدون حكامًا ورعيّةً على تعليم أبنائهم القرآن الكريم، مدركين أهميّته وأثره، وهذا ما أكّده عبد الرحمان ابن خلدون في قوله: " اِعلم أنَّ تعليم الوِلدان للقُرآن شِعار الدّين الّذي أخذ به أهل الملّة، ودرجوا عليه في جميع أمصارهم، لما يسبق فيه إلى القلوب من رُسُوخِ الايمان وعقائده من القُرآن وبعض متُونِ الحديث"، وأضاف قائلاً : " وأمَّا أَهلُ الأندلس فمذهبهم تعليم القُرآن والكتّاب من حيثُ هم، وهذا الّذي يُراعُونه في التَّعليم ".[7]

كانت المساجد أماكن رسمية، ومحور التعليم وقطبه، تخضع في عمومها للسُّلطة الحاكمة، لذا كان

---

[1]ابن عبد الملك، المصدر السّابق، المجلّد 2، ص170

[2]نفسه، صص82، 83

[3]ابن سعيد أبي الحسن علي بن موسى (ت 685هـ/ 1286م)، **اختصار القدح المعلّى في التّاريخ المحلّى**، تح: إبراهيم الأبياري، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1959م، ص99

[4]عبد الباقي السيّد، الظاهرية والمالكية، ص284

[5]ابن سعيد، الغصون، ص42

[6]ابن صاحب الصّلاّة، المصدر السّابق، ص55

[7]ابن خلدون، العبر، ج1، ص740

التّدريس بها قائم على المذهب الظاهري الّذي حرص الحكام الموحدون على تجسيده عبر هذه المؤسسة الدينيّة.

2.2- طرق التّعليم:

يرى ابن خلدون أنَّ تلقين المعارف للمتعلّمين لا يكون مفيدًا ونافعًا إلاّ إذا كان تدريجيًا، يأخذ العالم بأيدي طلبته، ينقلهم من الأسهل إلى الأصعب، ومن البسيط إلى المركب، حتّى تحصل الملَكَة، لذا قسّم التّعليم إلى ثلاث مراحل، بناءً على ما كان قبله و في زمانه، فالمرحلة الأولى المبنية على التّلقين بإلقاء العالم للمسائل من علوم متعدّدة على المتعلمين، ليقوم بشرحها وتبسيطها وتقريبها لهم مراعيًا قوّة العقل والاستعداد الذّهني، ليكون في النّهاية تحصيل جزئي لا كُلّي، والهدف من ذلك تهيئة جيل قابل للفهم والتّحصيل في المرحلة الثّانية القائمة الشّرح وتوضيح المسائل وبيانها، وحلّ الخلاف القائم حولها، ليلجأ في الأخير إلى توضيح المسائل العويصة، وفتح المغلقة، واعتماد الحوار والمناقشة والمساءلة.[1]

بناء على ما سبق، تلك المراحل التّعليمية في عهد الموحدين، تباينت طُرُق التّعليم بها، ونشط أهل المعرفة في تلقين المعارف، ففي **المرحلة الأولى** يلتحق الصّبيان بالكتاتيب المجاورة للمسجد، ولم يكن سن محدّد لذلك، بل كان الأمر متروكًا للآباء، فإذا وجدوا الطّفل عاقل وقادر على التّمييز والادراك دفعوا به إلى المكتب، لتلقي التّربية الأخلاقية والعلمية،[2] ويعمل المربي على تلقينهم المبادئ العامة للدّين الاسلامي كالوضوء والطهارة والصلاة، والتمييز بين الحلال والحرام، ويُعاقبهم على الكذب والاساءة للآخر والغيبة والنّميمة وغيرها، ويحثهم على التّحلي بالأخلاق الفاضلة كالعفو والتّسامح والايثار والشّجاعة وغيرها،[3] وقراءة القرآن الكريم والتّرغيب فيه، بالتّلقين والحفظ، إمّا بالقراءة في المصحف أو الألواح، واستظهار ذلك[4] شفهيًا، إضافة إلى سير الحكماء وأخلاق الأدباء.[5]

أما **المرحلة الثّانية** فهي مرتبطة بالمرحلة السّابقة ومكملة لها، ينتقل فيها الطالب من المكتب إلى

---

[1] ابن خلدون، العبر، ج1، ص734.

[2] محمّد عبد الحميد عيسى، **تاريخ التّعليم في الأندلس**، ط1، مطبعة الاستقلال الكبرى، القاهرة، 1982م، ص225.

[3] أحمد بن أبي جمعة المغراوي (ت 920هـ/ 1514م)، **جامع جوامع الاختصار والتّبيان في ما يُعرض للمعلمين وآباء الصّبيان**، تح وتع: أحمد جلولي البدوي ورابح بونار، دط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دت، ص39

[4] محمّد عبدالحليم، المرجع السّابق، ص244

[5] ابن سحنون، المصدر السابق، ص47.

المسجد، بحكم عمره الّذي تجاوز أكثر من ثلاثة عشر سنة، وتعتبر في نفس الوقت مرحلة تمهيدية للمرحلة المقبلة، يستكمل فيها الطالب تحصيل المعارف الّتي لم يتمكن منها سابقًا، إضافة إلى علم الحديث والفقه والأدب والنّحو والشّعر،[1] بالحفظ والتّلقين والاستظهار والاملاء والسّماع والمذاكرة.

أمّا **المرحلة الثالثة** الّتي لم تنحصر في مكان معيّن، فكانت المساجد والمنازل والقصور وغيرها مكانًا لتلقي المعرفة، تعتمد على الحوار البنّاء القائم على المساءلة والمناقشة، فهي الأكثر شيُوعًا بين الطلبة والعلماء بالأندلس، لما لها من فائدة في التّحصيل والمَلَكة، ويكون الطالب أكثر حريةً، يلتقي فيها بالعالم الّذي يُريده لتحصيل المعرفة الّتي يُريدها (مرحلة التّخصص)، ليصل إلى درجة العصف الذّهني والمَلَكَة القوية، ليتخرج بعد الحصول على الاجازة والتّزكية من شيوخه، ويُصبح عنصرًا فعالاً في الحركة المعرفية، مساهمًا فيها، فكان الفقيه أبو الحسن بن الاشبيلي (ت567هـ/ 1171م) بحر في العلم والمعرفة، وتجلّت له منها عِين وحُور، قرّبه الخليفة عبد المؤمن بن علي إلى مجلسه، واختصه لتعليم طلبة الحضر، فكان يُذاكرهم بما وعى من الخليفة من علم المهدي على رأي الأشعرية في الكثير من مسائل الاعتقاد، فقد كان يعتمد القول بتأويل المتشابه من القرآن والأحاديث، وعقيدة التوحيد (المرشدة)، والعقيدة المباركة المسمّاة بالطهارة، وبيّن لهم ما ناله من السنّة، وكتاب أعزُّ ما يُطلب، وكان إذا قرأ القارئ فَصلاً مما ذُكر من العَقائد، شرح غامضها، وفتح أقفالها على الطلبة، ويتعمّقُ فيها، ويتصدّى لها بالشّرح والتّعليق، وكان يخصُ طلبته بكثرة السُّؤال لأجل العصف الذّهني، ويُنبههم أحسن تنبيه، وينوهم أحسن تنويه،[2] لأجل التّحصيل والتّمكين.

وكان الفقيه أبو محمّد عاشر الأنصاري (ت567هـ/ 1171م) يدرّس بجامع شاطبة الفقه، وكان دأبه متى أشكل عليه شيء من متشابه القرآن تلاوَةً، جعل بعض تلامذته يقرأُ عليه السُّورة المتضمنّة ما أشكل عليه، ولا يُعيّن له موضع الاشكال، ولا يعرف القارئ مراد شيخه من تعيّين تلك السُّورة، ليُثبِت يقينه، ويُقَوّي سكونه، ويُرسِّخ حفظه،[3] ويوصلهم إلى رتبة السُّؤدد والكمال.

---

[1] محمّد عادل، المرجع السّابق، صص 8، 9، بوداعة نجادي، **تطور الحياة الفكرية ببلاد المغرب الاسلامي في عهد الدولة الموحدية**، إشراف نصر الدين بن داود، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في تاريخ المغرب الاسلامي، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، 2018م/2019م، ص131.

[2] ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص 162

[3] ابن عبد الملك، المصدر السّابق، المجلّد 3، ص82، 83

وكان الطلبة يتحلَّقُون حول شيخهم، وتبدأ الدّراسة بقراءة أحد الطلبة الّذي يختاره الشيخ، ليقوم هذا الأخير بشرح المسائل الصعبة الفهم، حيث كان أحمد بن محمّد الهاشمي (ت 575هـ/ 1179م) يقرأ لشيخه الحسن ابن النّعمة.[1]

أمّا **المعرفة الفلسفية** فقد ازدهرت في عهد الموحدين – رغم مضايقة المالكية لها – بتشجيعٍ من الخلفاء أنفسهم، فقد كان الاقبال عليها أمرًا شائعًا، وتزعمّها فلاسفة أمثال أبو بكر ابن طفيل، وابن رشد الحفيد (ت595هـ/ 1198م)، هذا الأخير الّذي علّم ولقّن معارفه لطلبته، وفي مقدّمتها الفلسفة والطّب، فكان يفتتح مجلسه ويطبعه بالإنشاد لشواهد شِعرَي حبيب والمتنّبي، والايراد للحكايات والأخبار، تنشيطًا لطلبة العلم،[2] ويطبع مجلسه بالمساءلة والحوار والتّلقائية، تجعله بعيدًا عن التّكلُفِ، وقريبًا للصِّدقِ، وإضفاء القيمة العلمية للدّرس.[3]

و في هذا السيّاق يجب أن ننوّه بالفقيه أبي بكر ابن العربي الّذي انتقد التّعليم في عصره، واقترح منهجًا تعليميًا خاصًا، ورأى أنّه قبل بلوغ الصّبي العشر سنوات من واجب الولي أو الوصي عليه تلقينه قواعد الايمان، وتعليمه الكتابة والحساب، وتحفيظه أشعار العرب، وتعريفه بقواعد اللغة كالإعراب والصرف مع التّمكّن فيها، ولما يبلغ العشر الثّاني يجب تحفيظه كتاب الله تعالى، وحفظ ألفي حديث من الصحيحين البخاري ومسلم، والأخذ بعلوم القرآن، والتّفسير، وعلم الأنساب، وأصول الطّب، والأخذ بالمعارف السّابقة، ولو بأجزاء منها، حتّى يكون عارفا بها، ولا يتخصص في أحدها، حتّى لا يكون جاهلاً في الأخرى،[4] فدفعه ذلك إلى تأليف " كتاب آداب المعلمين "، الّذي ذكره الشوشاوي في كتابه " الفوائد الجميلة في الآيات الجليلة"، وكتاب " مراقي الزُّلف " الّذي فيه منهج تعليم الطّفل وتربيته ،[5] وأخذ أراءه التّعليمية من كتاب " إحياء علوم الدّين " للإمام أبو حامد الغزالي الّذي أخذ عنه أثناء رحلته المشرقية.[6]

---

[1] ابن الأبّار، التّكملة، ج1، ص73

[2] ابن عبد الملك، المصدر السّابق، المجلّد 4، ص26

[3] محمّد لاّمة، المرجع السّابق، ص295

[4] ابن العربي، العواصم، صص370، 371

[5] أعراب، المرجع السّابق، صص160، 161

[6] عمّار طالبي، **أراء أبي بكر بن العربي الكلاميّة**، ج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دت، ص54

وختامًا فإنَّ التّعليم بالأندلس غلبت عليه الطريقة الحواريّة الّتي تُنسب إلى سُقراط، تعتمد على المناقشة والمساءلة، وتوليد الأفكار، واستدراج الطلبة تدريجيًا من البسيط إلى المركب، ومن السّهل إلى الصّعب، واستنتاج المعارف الصحيحة، قصد معرفة الحقيقة العامّة، وتثبيتها في الحياة، والغالب فيها ملازمة الطالب لشيخه لمدة طويلة حتّى يبلغ الكمال في تلك المعرفة، ويورث علم شيخه.[1]

ويُستنتج مما ذُكر، أنّ تلقين المعرفة بالأندلس هي دينية محضة، أوجد لها الحكام الموحدون مناخا ملائما، ومنهجًا خاصًا، تعتمد أساسا على الالتزام بالمعارف الّتي أقامها الدّاعية ابن تومرت، إضافة إلى العلوم الدينية كالقراءات والتّفسير والحديث والفقه والافساح لتعلم فنون أخرى كالفلسفة والتّصوف، وبالمقابل حرص أهل المعرفة على تلقين المعارف في المجتمع الأندلسي، واتّضح أنّ لكل معرفي أسلوبه الخاص لتمكين طلابه من التّحصيل والمعرفة، سواء كانت دينية أو علمية أو فلسفية أو أدبية أو غيرها، وكلّها تصبّ في معين واحد، وهو نشر المعرفة في المجتمع الأندلسي بصفة عامة، وبين الطلبة بصفة خاصة، والّذين يقومون بحملها ونشرها في ما بعد.

[1] محمد عبد الحليم عيسى، المرجع السّابق، ص 349، 350.

ثالثا – المجالس العلمية:

1– المجالس السُّلطانيّة:

كثرت المجالس العلمية في عهد الموحدين، وفتح الخلفاء أبواب قصورهم أمام أهل المعرفة، والّتي نشط فيها الفقهاء والفلاسفة والمتصوّفة، وحتّى الأطباء والفنانين والأدباء والشُّعراء، فكان لها تأثير على العامة في توجيه سلوكهم الاجتماعي،[1] ولم يدّخر الخلفاء الموحدون جهدًا من أجل الاستفادة من الفنون الّتي بحوزتهم.

وقد استقدم الخليفة عبد المؤمن بن علي إلى حاضرة مراكش الكثير من أهل المعرفة، منهم الفقيه أبوبكر بن ميمون (ت 567هـ / 1171م) لتعليم الطلبة، فأُعجب به فدعاه إلى مجلسه الخاص، الّذي يحضره أكابر العلماء، فيشِّفَ على أكثرهم بما كان عليه من التَّحقق بالمعارف، وأبان عن وُفور علمه، وغزارة مادته، واتّساع معارفه، وحسن تصرُّفه،[2] كما استدعى أبو الحسن ابن الاشبيلي(567هـ/ 1171م)، فصار عنده في العلوم والمذاكرة أوّل داخل وأخر خارج، عالم فاضل يتكلّم في المجلس العالي، مسترسلاً بالمذاكرة، متمهلاً على حسن المناظرة.[3]

واستمرت المجالس العلمية في عهد ابنه أبو يعقوب يوسف (ت 580هـ/ 1184م)، الّذي جلب أهل المعرفة، واختصهم في مجلسه خاصة الفلاسفة، كالفيلسوف والطبيب أبو بكر محمد بن طُفيل (ت 581هـ/ 1185م)، والفيلسوف ابن رشد الحفيد (ت595هـ/ 1198م)،[4] والفقيه أبي بكر بن الجد (ت 586هـ/ 1190م)،[5] كما سمح للطلبة من حضور هذه المجالس للاستفادة من المعارف المختلفة وتمكينهم منها، نذكر منهم أبي العبّاس المجريطي القرطبي، وأبي الأصبغ عبد العزيز بن عبد العزيز الاشبيلي، وابن صاحب الصلاة وغيرهم.[6]

---

[1] ابن صاحب الصّلاّة، المصدر السّابق، ص 49، 50

[2] جلال الدّين عبد الرحمان السيُّوطي (ت 911هـ/ 1505م)، **بغية الوعاة في طبقات اللُّغويين والنُّحاة**، ط1، ج1، تح: محمّد أبو الفضل ابراهيم، مطبعة عيسى البابي وشركاه، القاهرة، 1964م، ص147، ابن عبد الملك، المصدر السّابق، المجلّد 4، ص347

[3] ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص 160

[4] عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص314

[5] الذهبي، تاريخ الاسلام، ج12، ص647، 649

[6] ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص340

وكانت مجالس العلم في عهد الخليفة المنصور (ت 595هـ/ 1198م) يحضرها أرباب المعارف والفنون،[1] وازادت نشاطًا وتنظيمًا، وكانت مرتّبة بحضور العلماء والفضلاء، ويُشرف شخصيًا عليها، ويفتتحها بقراءة القرآن، ثُمَّ يقرأ ورقتين أو ثلاث من الأحاديث النبوية، مع البحث في معانيها في بعض الأحيان، ويختتم مجلسه بالدُّعاء.[2]

وممّن حضر مجلس الخليفة المنصور من أهل المعرفة نذكر منهم أبو بكر ابن الجد (ت 586هـ/ 1190م) الّذي يُؤثره على غيره،[3] والفيلسوف ابن رشد الحفيد (ت595هـ/ 1198م) الّذي كان جميل المداراة، فصيح العبارة، جَّادًا للكلام في المجالس السُّلطانية،[4] والفقيه أبو محمد عبد المنعِم (ت 597هـ/ 1200م)،[5] وأبو العبّاس أحمد بن يحي العبدري (ت599هـ/ 1202م) الّذي نال حظوة عند الخليفة، مقداما في مجلسه، مقبول القول لديه، ويُعلّم طلبة العلم في مجلسه، ويُذاكرهم بين يديه، مرعيَّ الجانب، ملحوظا بعين التّكرمة، محترمًا لكبره، وغزارة معارفه،[6] وأبو جعفر أحمد بن جريج (ت600هـ/ 1203م)،[7] والفقيه الشّاعر أبي محمّد ابن اليّاسمين (ت601هـ/ 1204م)، له موشّحات يُغَّنى بها، وأمداح في الخليفة المنصور وابنه النّاصر،[8] وأبو الحجّاج يوسف بن محمد المكلاّتي (ت626هـ/ 1228م) الّذي قرّبه الخليفة وأدناه، وألزمه حضور مجلسه مع طلبة العلم، وأحسن إليه.[9]

أمّا الخليفة أبو العلاء إدريس المأمون بن المنصور فقد خصّ مجلسه بأهل المعرفة، فأدخل عليه أبو علي بن محمّد الأزدي الشلوبين (645هـ/ 1247م)، المتضلّع في فنون متنوعة، كالحديث والفقه، واستفاد منه في

---

[1] أبو العباس أحمد بن خالد النّاصري، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، ج2، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954م، ص179

[2] الذهبي، تاريخ الاسلام، ج12، ص1058، الذهبي، سير أعلام، ص316

[3] ابن عبد الملك، المصدر السّابق، المجلّد4، ص355

[4] نفسه، ص23

[5] ابن عبد الملك، المصدر السابق، المجلّد 3، ص49

[6] نفسه، المجلّد 1، ص743

[7] ابن أبي أصيبعة أبو العباس أحمد بن القاسم (ت 668هـ/ 1164م)، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، تح: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، دت، ص537

[8] ابن سعيد، الغصون، صص42، 47

[9] ابن عبد الملك، المصدر السّابق، المجلّد 5، ص 351

المذاهب.[1]

ويجب أن ننوّه أن المجالس السّلطانية الّتي يشرف عليها الخلفاء والأمراء تغشاها الهيبة والوقار، مرّتبة ومنظّمة، فكان يجلس إلى جانب الخليفة، خطيبه ورئيس الأطباء وقاضي الجماعة بمراكش، ثمّ علماء الحضرة، ثمّ باقي الأعلام الحاضرين على اختلاف مراتبهم،[2] ولا يدخلها إلاّ من أذن له الخليفة أو الأمير، وبحوزته معارف متنوعة، وأخلاق عالية ورفيعة، وكل من أساء الأدب يُبعد منها، إذ أقدم الخليفة عبد المؤمن بن على منع أبي بكر بن ميمون (ت 567هـ / 1171م) من حضور مجلسه، عندما أنشد أبياتًا شعرية في الغزل فيها إساءة أدب في الفقيه أبي القاسم عبد المنعم، فأضرّت بمنزلة هذا الأخير،[3] واستثقل الخليفة المنصور الفقيه أبو محمد عبد المنعِم (ت597هـ/ 1200م) وأخرجه من مجلسه،[4] وطرد الفقيه أبو العبّاس أحمد بن يحي العبدري (ت599هـ/ 1202م) عندما شُمَّ منه ريح مسكِّرٍ في مجلس الخليفة، فاستثبِت أمره بالاستنكاه، وتُحقّق منه، فأمرَ المنصور بإقامة الحدّ عليه، وجلده بين يديه، فجُلد أربعين جلدة، وصرفه إلى منزله، واستمرّ في هجرانه،[5] وصرف الخليفة أبو العلاء إدريس ابن المنصور (ت629هـ/ 1232م) الأديب أبو علي عمر بن محمد المعروف بالشلوبين (ت645 هـ/ 1247م) من مجلسه، عندما وضع لسانه في أئمة الفقه.[6]

وقد مدح الشَّاعر أبو عمر بن حربون مجالس الخلفاء الموحدين قائلاً:

مَجالسُهُم روضاتُ نجدٍ يُزيِّنُها ... منَ النُّورِ أجناسٌ تؤَامُ وفاردُ

مجالسٌ لم ترقَى الكواكبُ نحوها ... لقد باتَ تلميذًا لهمُ عطاردُ

لَقد عُمِرَت بالعِلمِ حتّى كأنَّها ... لكثرة ذكرِ اللهِ فيها مساجدُ[7]

والجدير بالذّكر أنّ هذه المجالس تنوّعت مواضيعها، وإن كان الغالب فيها موضوع الأندلس وأيّامها،

---

[1]أبو الحسن علي بن محمد بن علي الرُّعيني (ت 666هـ/ 1267م)، **برنامج شيوخ الرُّعيني**، تح: ابراهيم شبوح، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، سوريا، 1962، ص153

[2]المنوني، حضارة الموحدين، ص30

[3]السيُّوطي، بغية، ج1، ص148، ابن عبد الملك، المصدر السابق، المجلّد 4، ص349، 350

[4]ابن عبد الملك، المصدر السابق، المجلّد 3، ص49

[5]نفسه، المجلّد 1، ص743، 744

[6]الرُّعيني، المصدر السّابق، ص 153

[7]ابن صاحب الصّلاّة، المصدر السّابق، ص177

كونها دار جهاد ومتاخمة للنّصارى، والخطر قائم في كل لحظة من هجوم الأعداء على أرض الأندلس للاستيلاء عليها،[1] فمثلا بعد موقعة أقليش، أمر الخليفة عبد المؤمن بن علي وزيره أبي جعفر ابن عطيَّة أن يخرُجَ إلى أشياخ الجُندِ ويسألهم من بقي حيًّا ممن حضر هذه المعركة، ففعل ذلك، فوجد عبد الله ابن زيدون وعمر بن توزرجين الحاضرَين فيها، فأدخلهما مع أشياخ الجند إلى مجلس الخليفة، وسألهما عن وقائعها، فاستمع لهم، وأكرمهم بالمال، كل ذلك من أجل النّظر في أحوال الأندلس وتجهيز الجيش.[2]

واستمر الاهتمام بأمر الأندلس وأحوالها في عهد الخليفة المنصور (ت595هـ/ 1198م)، واختّصها في مجالسه، وكانت آخر وصاياه المحافظة عليها والنّظر في شؤونها، إذ قال: أوصيكم بتقوى الله تعالى، وبالأيتام واليتيمة، فقال له الشيخ أبو محمد عبد الواحد: يا سيّدنا، يا أمير المؤمنين، ومن الأيتام واليتيمة قال: اليتيمة جزيرة الأندلس، والأيتام سكانها المسلمون.[3]

ولم تقتصر المجالس العلمية على الخلفاء فقط، بل امتدت لتشمل **الأمراء**، فكانوا يعقدونها في المدن الّتي يشرفون عليها، خاصة الأندلسية منها،[4] فمثلاً والي غرناطة عثمان بن عبد المؤمن في حياة والده، اكتظت مجالس بأهل المعرفة حيث " اجتمع له من وجوه الشُّعراء وأعيان الكُتّاب عصابة ما علمتها اجتمعت لملك منهم بعده" ، وامتلأت مجالس أخيه أبي يعقوب يوسف والي اشبيلية بأهل المعرفة من علماء اللغة والنّحو والقرآن منهم الأستاذ اللُّغوي المتقن أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الملك.[5]

إنّ معظم المجالس العلمية السُّلطانية اختصت بها مراكش عاصمة الموحدين، إلاّ أنّ ذلك لم يمنع من وجودها في إشبيلية والمدن الأندلسية الأخرى، أثناء إقامة الخليفة بها، أو عند تجهيز الجيش للجهاد والتّوجه نحو بلاد الأندلس.

---

[1] حسن علي حسن، **الحضارة الاسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين**، ط1، مكتبة الخانجي، مصر، 1980م، ص416، محمّد لامة، المرجع السّابق، ص132

[2] ابن القطّان، المصدر السّابق، ص178

[3] ابن عذارى، المصدر السّابق، قسم الموحدين، صص231، 232

[4] بوداعة نجادي، المرجع السّابق، ص 214

[5] عبد الواحد المراكشي، المعجب، صص293، 309

2- مجالس العلماء:

وهي الّتي يشترك فيها الكثير من أهل المعرفة على اختلاف فنونهم ومشاربهم لأجل المناظرة، رغم ما كان بينهم من حساسيات، وتمكنت من تشجيع الاجتهاد والبحث من جهة، وتوحيد المنهج والرؤى وتلاقح الأفكار في ما بينهم من جهة أخرى، وتواجدت هذه المجالس في الحواضر الموحدية مغربا وأندلسا، تناولت مواضيع متنوعة فقهية وفلسفية وعلمية وغيرها.

وانتشرت هذه المجالس بكثرة بالأندلس، نذكر منها المجالس الّتي كانت تُعقد بالعاصمة اشبيلية، ويتذاكر أهل المعرفة في ما بينهم، وعلى سبيل المثال في مجلس حضره أبو بكر بن الجد وأبو بكر بن المرجى، وأبو بكر بن العربي، وتذاكروا حديث المغفر، فقال ابن المرجى: لا يُعرف إلاّ من حديث مالك، عن الزُّهري، فقال ابن العربي: قد رويته من ثلاثة عشر طريقا غير طريق مالك، فقالوا له: أفدنا هذه الفوائد، فوعدهم، ولم يُخرج لهم شيئا.[1]

واشتهرت اشبيلية بمجالسها العلمية، حيت كان الفقيه أبي بكر ابن العربي (ت 543هـ/ 1148م) يعقد مجالسه بها، فاكتظت بأهل المعرفة، وتميّزت بالغزارة والغِنى،[2] ومجلس الفقيه أبي بكر بن الجد (ت586 هـ/ 1190م ، الّذي يُلقّن معارفه بها، فحلاّه أبي عبدالله ابن زرقون بقوله: "دخلت مجلس ابن الجدّ، فوجدت من الامتاع في الفقه، والاشباع فيه، والاتّساع ما كان أملي، ووفق غرضي فلزمته"،[3] ومجلس أبي الحسن محمّد المعروف بابن زرقون (ت 621هـ/ 1224م) الّذي جعله مكانا لتعليم الفقه، وتعليم الرّأي، مع ذكره للآداب،[4] ومجلس أبي اسحاق ابراهيم بن صناديد (ت 640هـ/ 1242م) الّذي جعله منتدى للأعيان والأدباء،[5] ومجلس أبي علي عمر بن محمد المعروف بالشلوبين (ت645هـ / 1247م) الّذي غلب عليه

[1] الذّهبي، تاريخ الاسلام، ج11، ص 837

[2] أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن التّباهي المالقي الأندلسي (ت أواخر القرن 08هـ/ 14م)، **تاريخ قضاة الأندلس**، تح: لجنة إحياء التراث العربي، ط5، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1983م، ص105، ابن بشكوال، الصلة، المجلد 2، ص228

[3] أبو بكر بن الجدّ الفهري (ت 586هـ/ 1190م)، **أحكام الزكاة**، عناية: محمّد شايب شريف، ط1، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 2011م، ص14

[4] ابن الأبّار، التّكملة، ج2، ص124

[5] ابن سعيد، اختصار القدح ، القاهرة، 1959م، ص143

الفقه وعلم القراءات،[1] شهد له معاصروه بعلو كعبه، واكتظاظ مجلسه، من بينهم ابن سعيد الّذي قال فيه " شهدتُ مجلِسًا أقرَأَ به بإشبيلية غاصًا بالبلديين والغُرَبَاءِ من الآفاق ".[2]

ولم تكن غرناطة في منأى عن المجالس العلمية، إذ جعل منها أهل المعرفة حاضرة علمية مميّزة، وقام الفقيه أبي الحسن علي بن عبد الله المعروف بابن قطرال (ت 651هـ/ 1253م) بنشر معارفه بها،[3] إضافة إلى مجلس ابن عروس وأبي محمد عبد المنعم ابن الفرس، ومجالس علمية أخرى بقرطبة مثل مجلس المتصوّف أبو القاسم خلف بن يحي القرطبي (576هـ/ 1180م) الّذي كان يعظ ويرشد النّاس بجامع الزّاهرة، متبركين بلقائه ودعائه.[4]

ونشطت المجالس العلمية في مدينة مالقة، نذكر منها مجلس أبي علي عمر الزّندي (ت616هـ / 1219م)،[5] ومجلس أبي عبد الله محمّد بن عسكر (ت636هـ/ 1238م)، إذ قال فيه ابن سعيد " اجتمعت به في مالقة، وحضرت مجلسه، وكان متبحّرًا في العلوم"،[6] كما تمكّن أبو محمّد عاشر الأنصاري (ت567هـ/ 1171م) من تدريس الفقه وإسماع الحديث في جامع شاطبة ، وعليه كان مدار المناظرة، لغزارة حفظه، وتمكُّنِ معرفته، وإيراده الأخبار والنَّوادر،[7] ولا نستثني شيوع مجالس علمية أخرى في باقي المدن الأندلسية، مثل مرسية وبلنسية وقرطبة ومالقة وغيرها.

وفي هذا السيّاق، نُؤكّد أنّ المعرفي كثيرًا ما كان يتنقل بين المدن الأندلسية، وحتَّى ببلاد المغرب الاسلامي، فيُقيم مجلسًا علميًا حيث ما حلَّ وارتحل، يلقن معارفه من جهة، ويُناظر فيها العلماء والطلبة من جهة أخرى، لا يسأم من ذلك، ولا يأخذه ملل أو كلل، جاعلاً نفسه ووقته في خدمة المعرفة، ونشر ما بحوزته، ثوابًا لله تعالى، ورغم أنّ المصادر وكتب الطبقات والتّراجم والفهارس والمشيخات وغيرها، لم تتناول بشكل موسّع فحوى هذه المجالس، بل اكتفت بالإشارة إليها في غالب الأحيان.

---

[1] الرُّعيني، المصدر السابق، ص83

[2] ابن سعيد، المصدر السابق، ص152

[3] ابن عبد الملك، المصدر السابق، المجلّد 5، ص10

[4] ابن الأبار، الصلة، ج1، ص248

[5] الرُّعيني، المصدر السابق، ص86

[6] ابن سعيد، المغرب، ص431

[7] ابن عبد الملك، المصدر السّابق، المجلّد 3، ص82

رابعا– المناظرات العلمية:

المناظرة[1] هي إظهار الحُجّة على الخصم، ومن أرفع العلوم قدرًا، وأعظَمُهَا شَأنًا، لأنّه السبيل إلى معرفة الاستدلال، وتمييز الحق من الصواب، والصحيح من السّقيم، والمعوج من المستقيم،[2] قال الله تعالى: { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكمَةِ وَالموعِظَةِ الحَسَنَةِ وجَادِلهُم بالّتي هِيَ أَحسَن إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعلَمُ بِالمهتَدِينَ (125)}،[3] ومن ذلك أنّ المجادلة إنّما وُضِعَت لإظهار الصواب، وهو المنهج الّذي دأب عليه السّلف الصالح بالتّناصح للوصول إلى الحقيقة، وقد كانوا ينتقلون من دليل لآخر، وإذا خفي على أحدهم شيء نبهه الآخر، لأن المقصود إظهار الحق،[4] فهي مجال للفحص العلمي، وتصحيح الوضع في الجدل، وإقامة الحُجة، وتوضيح المحجّة، وتقويم للنشاط المعرفي وتنظيمه.

وإذا كانت المناظرات في المشرق الاسلامي قد عرفت حُضُورًا، فإنّها وجدت رواجًا واسعًا بالأندلس، بفعل التّباين والاختلاف في المجتمع الأندلسي،[5] وكانت مما شاع خلال فترة الموحدين، وانتشرت في مجالس الخلفاء والأمراء، وبين العلماء أنفسهم، واختلفت موضوعاتها وتنوعت بين العقدي والفقهي والعلمي والأدبي وغيرها،[6] ورغم إشارة المصادر إلى مناظرات أهل المعرفة، إلاّ أنّها أغلقت فحواها في كثير من الأحيان.

1– المناظرة في مجلس السُّلطان:

قبل قيام دولة الموحدين، تَعوَّدَ الدَّاعيّة ابن تومرت على مناظرة علماء المدن الّتي مرّ بها أثناء قيامه بالدّعوة، ومن أبرزها تلك المناظرة الّتي جمعته بفقهاء البلاط المرابطي في مجلس السّلطان علي بن يُوسف،

---

[1] هي أن تناظر أخاك في أمر إذا نظرتما فيه معًا كيف تأتيانه، ابن منظور، المصدر السابق، ج5، ص217

[2] أبو الوليد الباجي (ت 474هـ/ 1081م)، **كتاب المنهاج في ترتيب الحجاج**، تح: عبد المجيد تركي، ط3، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 2001م، ص8.

[3] سورة النّحل، الآية 125.

[4] جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمان ابن الجوزي (ت 597هـ/ 1200م)، **تلبيس إبليس**، د ط، دار القلم للطباعة والنشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، دت، ص116، 117

[5] بن منصور آمنة، **المناظرة في الأندلس – دراسة في الأشكال والمضامين–**، إشراف: كروم بومدين، أطروحة مقدّمة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب الأندلسي والحضارة المتوسطيّة، قسم اللّغة والأدب العربي، كلية الآداب واللّغات، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2011م/ 2012م، ص12

[6] محمّد لآمة، المرجع السابق، ص138

فواجهه بالحق المبين، ووبّخه ببيع الخمر جهارا، وبمشي الخنازير الّتي للفرنج بين أظهر المسلمين، وانتشار الكثير من المعاصي، وخاطبه واعظًا إيّاهُ، فطأطأ الخليفة رأسه، وذرفت عيناه دمعا على حال المسلمين،[1] ليبدأ بعدها **مناظرة** الفقهاء الذين حضروا المجلس، فأفحمهم وأقام عليهم الحجة.[2]

ومن خلال المناظرة، أكدّ ابن تومرت إحاطته الفائقة بظواهر الموضوع وبواطنه، فكان جيّد التّخيل، دقيق التّميّز، سريع التّصور، ثاقب الفكر، نافذ البصيرة، راجح العقل، رسَّخت تفوقه في الجانب العقلي، ومدى كفاءته وإلمامه بمعارفِ زمانه، عكس فقهاء البلاط الّذين ظلُّوا مقيّدين بالمعرفة الفقهية، غير مجتهدين في علوم أخرى.

وأثناء قيام دولة الموحدين، كثُرت المناظرات، وازداد ثراء النّشاط المعرفي في عهد الخليفة عبد المؤمن بن علي، فاستقدم إلى حاضرته مراكش، الفقيه أبا بكر بن ميمون (ت 567هـ/ 1171م) الّذي كان **يُناظر** كبار العلماء، فيشفُّ على أكثرهم بما كان عليه من التّحقق من المعارف، كما كان فكِهَ المحاضرة، طريف الّدعابة.[3]

وازدادت المناظرة في المجالس نشاطًا وحيويَةً في عهد ابنه أبو يعقوب يوسف (ت580هـ/ 1184م) وكان يشرف عليها، ويطرح المسائل المهمّة بنفسه، لاختبار علماء مجلسه، وتنمية معارفه، وفتق ذهنه، فيذكر أبو بكر ابن الجد (ت586هـ/ 1190م) أنّ الخليفة سألهم عن السّحر الّذي أصاب النّبي صلّى الله عليه وسلّم، وكم بقي مسحورًا ؟، فلم يُجبهُ أحد من الحاضرين، واستعصى عليهم الأمر، وبقي كل فرد يتزمزم ومتردّد، فاضطرَ إلى الاجابة قائلاً: بقي شهرًا كاملاً، فالخليفة كان إمامًا في المذهب المالكي، متمكّنًا منه، يسأل ويُوجّه ويُصوّب، معتمدًا على الكتاب والسنّة.[4]

وأثناء إقامة الخليفة المنصور (ت595هـ/ 1198م) بقرطبة، شجّع المناظرات العلمية، فانبسط

[1] ابن العماد، المصدر السابق، ص118

[2] عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ابن عمر ابن كثير (ت 774هـ/ 1372م)، **البداية والنهاية**، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، ج16، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والاعلان، الجيزة، 1998م، ص 246

[3] ابن عبد الملك، المصدر السّابق، المجلّد 4، ص347

[4] الذهبي، تاريخ الاسلام، ج12، ص649

النّاس لذلك،[1] ولا يُرى في مجالسه إعراض، ويُناظر فيها باللُّغة الفصحى، لإلمامه الواسع في حفظ القرآن الكريم، وعلم الحديث، ويتكلم حتّى في الفقه،[2] ولعلّ أبرز مناظرة في مجلسه، تلك الّتي جمعت بين الطبيب أبي بكر ابن زهر، والفيلسوف ابن رشد الحفيد، عندما طرح ابن رشد سؤالا على ابن زهر في تفضيل قرطبة، فأجابه: " ما أدري ما تقول، غير أنّه إذا مات عالم بإشبيلية، فأُريد بيع كُتُبه، حُملت إلى قُرطبة حتّى تُباع فيها، وإذا مات مطرب بقرطبة فأُريد بيع آلاته، حُملت إلى اشبيلية "،[3] وهذا دليل على تنوع مواضيع المناظرات وتشعُبها.

2- المناظرة في مجلس العلماء:

ولم تنحصر المناظرات العلمية في مجلس الخلفاء فقط، بل امتدت إلى مجالس العلماء في ما بينهم، حيث يتّمُ طرح مسألة معيّنة للنّقاش، ويُعطي كل معرفي ما بحوزته من معارف معبِّرًا عن وجهة نظره، ليحتدم النّقاش بين المتناظرين، للحريّة الّتي طبعتها، ويتبيّن أنّهم في شجار غير متناهي، لتظهر الحقيقة أنّ العلاقات بينهم قوية، يسودها الاحترام، ليبقى الهدف من هذه المناظرات تلاقح الأفكار، وتفتق الذّهن، واتّساع المعارف، وقد قال أبو الحسن سهل بن مالك الأزدي (ت 639هـ/ 1241م) يصف حال المتناظرين:

نفوس عَلى لفظِ الجدالِ مُقيمةُ فتُبصِرُهَا حَربًا وتعقِلُها سِلماً

وكثيرًا ما كان أبو القاسم أحمد بن عمر بن ورد يُنشِدُ في تقريظ طلبة العلم وبركة التّلاقي لأجل المذاكرة: إذَا اجتمعُوا جَاؤُوا بِكلّ فَضيلةٍ ويزدادُ بعضَ القومِ من بعضهمُ عِلمًا

وزاد الشّيخ أبو بكر محمّد بن عتيق اللّاردي (ت 637هـ/ 1240م) قائلاً:

تعاطَوا كُؤُوس العلمِ في رَوضةٍ فكُلُّهمُ من ذلكَ الرّيّ لاَ يَظمَأُ [4]

ومن أهل المعرفة من اشتهر بالمناظرة، نذكر الفقيه القاضي عيّاض (ت 544هـ/ 1149م) الّذي

[1] ابن عبد الملك، المصدر السّابق، المجلّد 4، ص26

[22] الذّهبي، سير أعلام، ج21، ص316

[3] المقري، نفح، ج1، ص155

[4] ابن عبد الملك، المصدر السّابق، المجلّد 2، ص103

جلس للمناظرة وعمره ثمانٍ وعشرين سنة،[1] وكان أبو محمد عاشر بن محمّد الأنصاري (567هـ/ 1171م) تُرّدُ إليه المسائل الصعبة ومشكلاتها، وعليه كان مدار المناظرة والمذاكرة في وقته، لغزارة حفظه، وقُوَّة معرفته، مع التَّفنُن في العلوم.[2]

وجلس الفقيه أبو القاسم محمد بن محمد المعروف بابن الحاج (571هـ/ 1171م) للمناظرة مكان والده، وخلفه في حلقات العلم، رغم قصر نظره في علم الحديث، فكان ذا هيبةٍ ووقارٍ، وذا أُبهةٍ وشارةٍ جميلةٍ، لا يتكلّم إلاّ قليلاً، مؤثِرًا في المستمعينَ،[3] مما يُوحي قوة تأثيره خلقًا، ونطقه إفادةً.

أمّا الفقيه أبو إسحاق ابراهيم بن يوسف المعروف بابن المرأة (ت 611هـ/ 1214م) الحافظ للرأي، المشّاور، غلب عليه علم الكلام، تنقلّ بين مدن الأندلس، مدرِّسًا بها، وظلَّ يُناظر في مرسية، ويَتحلَّقُ حوله العلماء والطلبة والعامّة.[4]

وكان أبو عبد الله محمّد بن عيسى المعروف بابن المناصف (ت 620هـ/1223م) عالِمًا مُتفنِّنًا نظارًا، صاحب استنباط وتدقيق، واقفًا على الاتِّفَاق والاختلاف، معلِّلاً مرجِّحًا.[5]

ويُعدُّ أبو محمّد عبد الحق بن عبد الله الأنصاري (ت 631هـ/ 1233م) أحد العلماء المتفننين في زمانه، فقيها على مذهب مالك، حافِظًا نظارًا، ذاكرًا للخلاف، مشارِكًا في أُصول الفقه، يجتمع إليه، ويُناظر عليه.[6]

3- المناظرات بين المسلمين وأهل الذمّة:

لم تنحصر المناظرات العلمية بين العلماء المسلمين في ما بينهم، بل لجأ البعض منهم إلى توسيع مجال المناظرة، لتتجاوز الحيّز الجغرافي، معتبرين ذلك واجبًا دينيا، كتلك الرّسائل المتبادلة بين علماء المسلمين

[1] عمر سليمان عبد الله الأشقر، **مختارات من سير أعلام النبلاء وتاريخ الاسلام للذهبي**، ط1، دار النّفائس للنشر والتّوزيع، الأردن، 2015م، ص434

[2] ابن الأبّار، التّكملة، ج4، صص44، 45

[3] ابن الأبّار، المصدر السّابق، ج2، ص45، ابن الأبّار، المعجم، ص189

[4] ابن الأبّار، التّكملة، ج1، ص140

[5] نفسه، ج2، ص120

[6] نفسه، ج3، ص125

والقساوسة من النّصارى، والمتناظرين فيها حول قضية معيّنة، أو من خلال تأليف الكتب.

وظلّت المناظرة سجالاً بين المسلمين وأهلِ الذّمة، وشهدت الفترة الّتي سبقت الموحدين الكثير من المناظرات بين الطرفين خاصةً في المشرق الاسلامي، من خلال تأليف الكتُب، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر، كتاب" شفاء الغليل في الرّد على من بدل التّوراة والانجيل من التّبديل" لأبي المعالي الجُويني"،[1] وكتاب " الرّد الجميل لإلهية عيسى بصريح الانجيل" لأبي حامد الغزالي، وكتاب " الرّد على النّصارى " لأبي بكر الطرطوشي،[2] إضافة إلى الكتب الّتي واكبت عصر الموحدين، مثل كتاب " الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة " للقرافي، يرّد فيها على شبهات النّصارى واليهود ضدّ المسلمين، ويُوجه لهم أسئلة تُبطلُ معتقدهم،[3] وكتاب " الانتصارات الاسلامية في كشف شبه النّصرانية" لسليمان الطوفي الحنبلي.[4]

وقد أدرك أهل الذّمة أهمية المناظرة، فاهتموا بها، وتعلَّمُوا فنونها، وأقدموا على تعلُّم اللُّغة العربية، والعلوم الشّرعية،[5] وكان القساوسة من النّصارى يسعون إلى إظهار محاسن الدّيانة المسيحية والتّرويج لها في أوساط المسلمين، مقابل الطّعن في الشّريعة الاسلامية والتّشكيك فيها، وإثارة الشُّبُهات في مواضيع معيّنة، تلخّصت في قُدُسيّة القرآن الكريم وإعجازه، وصدقِ نُبُوة الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، وما يحصل في الجنّة والنّار من نعيمٍ وعذابٍ، وكلّ ما يتّصلُ بشرائع الاسلام وأحكامه.[6]

أمام هذه الموجة الصليبية المغرضة، القائمة على التّشكيك في العقيدة الاسلامية، كان على أهل المعرفة بالأندلس في عهد الموحدين، عبور هذا البحر الهائجة أمواجه، العاصفة رياحه، العاتية تياراته، والدّفاع عن

---

[1] أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، **شفاء الغليل في بيان ما وقع في التّوراة والانجيل من التّبديل**، تق وتح وتع: أحمد حجازي السّقا، ط1، دار الشباب للطباعة، القاهرة، 1978م، ص1.

[2] الغامدي، المرجع السّابق، ص13، 14.

[3] أحمد بن إدريس القرافي (ت 684هـ/ 1285م)، **الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة**، تقديم وتحقيق وتعليق: بكر زكي عوض، ط2، شركة سعد رأفت للطباعة، القاهرة، 1987م، ص1

[4] سليمان بن عبد القوي الطوفي الصرصري الحنبلي، **الانتصارات الاسلامية في كشف شبه النّصرانية**، دراسة وتحقيق: سالم بن محمد القرني، ط1، ج1، مكتبة العبيكات للنشر، الرياض، 1999م، ص1.

[5] الغامدي، المرجع السّابق، ص446.

[6] محمّد بن إبراهيم بن صالح الحسين أبا الخيل، **جهود علماء الأندلس في الصّراع مع النّصارى خلال عصري المرابطين والموحدين (483هـ – 640هـ/ 1090م– 1242م)**، ط1، دار أصداء المجتمع للنشر والتوزيع، السّعودية، 1998م، صص372، 378

الاسلام والمناظرة من أجله، ورأوا القيام بذلك حفظ للأمانة والتّقاعُس خيانة، و في مقدمتهم الفقهاء الّذين يملكون أدوات المعرفة من حفظ واستظهار للقرآن الكريم، وإلمامٍ بالسنّة النبوية، وعَقيدةٍ وفقهٍ وقياس وغيرها، والّتي تُؤدي في مجملها إلى إسقاط ما نادى به الآخر بالحجّة والاقناع.[1]

و في هذا السّياق، استغلّ الفقيه عبد الله بن سهل الغرناطي (ت571هـ/ 1176م) فرصة قدوم رجال الدّين والطلبة المسيحيين من مدينة طليطلة، وجرّت بينه وبين القّس مناظرات عدّة، استطاع من خلالها التّفوق عليه، وإثبات معرفته الدّينية، وإفسَاد معارفَ خصمه، فأفحمهُ.[2]

وتمكّن الفقيه أبو مروان عبد الملك بن مسرّة بن عزيز اليَّحصبي من الرّد على كتاب أرسله له أساقفة النّصارى، وألّف كتاب " ميزان الصِّدق المفرّق من أهل الباطل وأهل الحقّ "،[3] والواضح من العنوان أنّه أراد إثبات الحقّ في الرّد على الأساقفة بالدّليل والحجّة.

وناظر أحمد بن عبد الصمد الخزرجي (ت 582هـ/ 1186م) قس قوطي، حيث دعا هذا الأخير المحدّث الخزرجي لاعتناق المسيحية، وردّ عليه الخزرجي **برسالة** مماثلة وقوية، تعرّض فيها إلى مواطن الخلاف بين المسلمين والنّصارى من تثليث وصلب وفداء، وتحريف للتّوراة والانجيل، والايمان بالدّين الاسلامي المنّزل على سيّدنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم، وتبشير الكتب السّماوية به، وصلاحية الشّريعة الاسلامية زمانًا ومكانًا، ونفيّه دعوى النّصارى انتشار الاسلام بالسّيف، وختم رسالته ببطلان وفساد عقائد النّصارى، والدّعوة لهم بالهداية،[4] وله مؤلف آخر " مقام المدرك في إفحام المشرك ".[5]

واهتّم الفقيه أبو العبّاس أحمد بن عمر القرطبي (ت 656هـ/ 1258م) بالرّد على أهل الكتاب ومناظرتهم، وألّف كتاب " الإعلام بما في دِينِ النَّصارى من الفسادِ والأَوهامِ وإظهارِ محاسنِ الإسلام وإثباتِ

---

[1] علي جريشة، **أدب الحوار والمناظرة**، ط1، دار الوفاء للطباعة والنشر والتّوزيع، المنصورة، مصر، 1989م، ص65، 66

[2] بن منصور آمنة، المناظرة في الأندلس، ص55

[3] ابن خيّر الاشبيلي، المصدر السّابق، ص513،

[4] أحمد بن عبد الصمد الخزرجي (ت 582هـ/ 1186م)، **مقامع الصلبان**، تح وتق: عبد المجيد الشرفي، نشرية مركز الدّراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، ص15، عبد الرحمان الطبيب، **أبو عبيدة الخزرجي وجهوده في مجادلة النّصارى بالأندلس من خلال كتابه مقامع الصلبان**، تق: سعيد كفايتي، ط1، الحكمة للطباعة والنّشر والتوزيع، مصر، 2014م، ص26

[5] محمّد لامّة، المرجع السّابق، ص627

نُبُوة سيّدنا محمّد عليه الصّلاة والسّلام "، وكان ردًا على أحد الكتب الّتي أرسل بها أحد نصارى طليطلة الخاضعة لحكم النّصارى إلى سكان قرطبة، يتعرّض فيها بالسُّوء والتّشويه لسُمعة الإسلام والمسلمين، في إطار الصّراع الاسلامي النّصراني.[1]

وما يُلاحظ أنّ مجالس المناظرة ذات أسلوب علمي اعتمده أهل الأندلس من خلفاء وأمراء وعلماء فقهاء وطلبة العلم في تقرير المسائل، والدّفاع عنها أمام الحاضرين، فهي وسيلة للتّعلم وتحصيل الفقه عندهم، وهي طريقة ثانية ومرتبة عالية، لا تكونُ لفقيهٍ أو عالمٍ وصلَ إلى درجةٍ معيّنةٍ من العلم والرّواية،[2] فالمناظرة تهدفُ أساسًا إلى التّقعيد لما ينبغي أن يُراعى في الحقل المعرفي، المتّعاون أو المتّضاد، وتعيّن النّموذج الّذي أُريد له أن له أن يكون مراعيًا في هذه المعرفة، ليكون فحصه معرفة مقنّنة ومنضبطة وصحيحة، بمعنى له وظائف التّنظيم والترتيب والتّوجيه والتّقويم، وتنظيم النّشاط المعرفي والسُّلوكي الانساني.[3]

ونشير أنّ المناظرات العلمية الّتي أشرف عليها الخلفاء والأمراء، ونشّطها أهل المعرفة بمختلف الفنون، انتشرت بالأندلس خلال القرنين السّادس والسّابع الهجريين، تزامنًا مع تلك الّتي نشطت بمدن المغرب الاسلامي خاصةً العاصمة مراكش، الغايةُ منهَا إظهارُ الحقّ ودحض الباطل، وإفسادُ مَنطق أهل الزّيغ والبدع، وردّهم إلى طريق الرّشاد، اعتمادًا على العقل، ومن خلالها استطاع أهل المعرفة الرّاسخون في العلم التّفوُق على غيرهم خاصةً النّصَارى، كما أنّ كُتُب الطّبقات والتّراجم وغيرها، اكتفت بالإشارة إلى المناظرات دون تناول فحواها بشكل موسّع على غرار المجالس العلمية.

[1] محمّد لامّة، المرجع السّابق، ص630

[2] الغامدي، المرجع السّابق، صص445، 446

[3] (حمو النّقاري)، " **مجلس المناظرة كمؤسسة للفحص العلمي في الحضارة الاسلامية العربية** "، من كتاب مؤسسات العلم والتّعليم في الحضارة الاسلامية، تنسيق بناصر البعزاتي، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2008م، ص201

الفصل الثَّالث: التّأثير الاجتماعي للسُّلطة المعرفية

أولا– تركيبة المجتمع الأندلسي

ثانيا– السّلطة المعرفية والاصلاح الاجتماعي

ثالثا– السُّلطة المعرفية وقضايا اجتماعية أخرى

رابعا– الأعمال الخيرية

أولا– تركيبة المجتمع الأندلسي:

1– المسلمون:

1.1– العرب:

في إطار الفتح الاسلامي للأندلس توافد العرب إليها، وازداد عددهم في الفترات اللاّحقة، لتستمر الوضعية نفسها في العصر المرابطي.

وفي عهد الموحدين، عندما أراد عبد المؤمن بن علي العبور إلى جزيرة الأندلس، استنجد بأهل المغرب عامّة، وبالعرب الهلاليين الّذين سكنوا الدولة الحمادية، واستنفرهم للجهاد، فاستجاب له جمع كبير، ولما حقق مراده، وأراد الخروج من الأندلس، رتّبهم ونظّمهم، فجعل بعضهم في نواحي قرطبة، وبعضهم في نواحي إشبيلية ممّا يلي مدينة شريس وأعمالها، فهم باقون بها إلى غاية سنة 621هـ/ 1224م وما بعدها، وقد ازداد عددهم في هذه المواضع، وتضاعف عددهم بكثير في السنوات التّالية،[1] وفي سنة 556هـ/ 1161م ترك عبد المؤمن بن علي جماعة من العرب ضمن الجيش المجاهد الّذي كان بجبل الفتح.[2]

وممّا لاشكّ فيه أنّ إقدام عبد المؤمن بن علي على توجيه العرب نحو الأندلس، الغرض منه الحد من نفوذ أشياخ الموحدين، واستغلالهم في بيعة ولده، وجعل الحكم وراثي من جهة، والاستفادة من خبرتهم العسكرية لصد عدوان النّصارى المتواجد في الشّمال، واستتباب الأمن بالمغرب من جهة أخرى.[3]

ولأجل التّمكين لحكمِ الموحدين بالأندلس، لم يكتف عبد المؤمن بن علي بالعرب الهلالية، بل استعان بقبيلة مصمودة وغيرها من القبائل الموحدية، فملأ بهم الجزيرة، وأكثر منهم إكثارًا شديدًا.[4]

وللقضاء على الثورات الدّاخلية بالأندلس، استنفر الخليفة أبو يعقوب يوسف (ت 580هـ/ 1184م) جيش الموحدين، واحتشد معه قبائل العرب من زغبة ورياح والأثبج، وأمّر عليه السيّد أبو حفص سنة 560هـ/ 1165م، فاتّجه به إلى الجزيرة للقضاء على ثورة ابن مردنيش شرق الأندلس، والمتوجه بها إلى قرطبة، وشارك العرب في معركة فحص الجلاّب، وكان لثباتهم في ساحة المعركة الأثر البالغ في تحقيق النّصر، واستشهد

---

[1] عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص 293، الذّهبي، تاريخ الاسلام، ج12، ص143

[2] ابن عذارى، المصدر السّابق، قسم الموحدين، ص70

[3] عز الدّين عمر موسى، **الموحدون في الغرب الاسلامي – تنظيماتهم ونُظُمهم** ، دار الغرب الاسلامي، دت، ص 222

[4] فوزي عيسى، الشّعر الأندلسي، ص38

منهم سبعة من كبار شيوخ العرب.[1]

أراد الخليفة أبو يعقوب يوسف العبور إلى بلاد الأندلس للجهاد وترتيب أمور البلاد، والحدّ من الهجمات النّصرانية على البلاد المتاخمة للمسلمين، ونهض إلى الأندلس سنة 567هـ/ 1171م، ومعه مائة ألف من العرب والموحدين.[2]

وفي غزوة شنترين سنة 579هـ/ 1183م، وبحكم الدّافع الدّيني استنجد الخليفة أبو يعقوب يوسف بالعرب، واشترطوا عليه أن يحضروا لهذه الغزوة في مائة وثلاثين ألفًا بين فارس وراجل،[3] وجنّد منهم أربعون ألفًا من الفرسان.[4]

وازداد العرب عددًا في عهد الخليفة المنصور، وتواجد الكثير منهم بالأندلس من زُغبة ورياح وجُشم ابن بكر وغيرهم، نحو خمسة آلاف فارس سوى الرّجّالة،[5] وشارك البعض منهم في معركة العقاب سنة 609هـ/ 1212م،[6] ووقفوا موقفًا سلبيًا منها، وانسحبوا من ميدان المعركة، فأحدثُوا فجوةً عسكريةً، أدّت إلى وقوع الهزيمة في صفوف الجيش الموحدّي.[7]

وعلى ما يبدو أنّ تواجد العرب بالأندلس، والرُّوح الجهادية الّتي تميّزوا بها، أشعرهم بالغرور والتّفوق على غيرهم، جعل الخلفاء الموحدين يتوجسون خيفة من نواياهم، فقام الخليفة المنصور بحركة عكسية، وجلب العرب من الأندلس إلى المغرب، بعد ثبوت تواطئهم مع الميورقيين والأغزاز، فأنزل بني هلال في بلاد الهبط،

---

[1] ابن خلدون، العبر، ج6، ص320، البيدق، المصدر السّابق، ص 88، محمد عطا الله سالم الخليفات، **المغرب والأندلس على عهد الخليفة أبي يعقوب يوسف الموحدي 558هـ – 580هـ/ 1163م – 1184م**، إشراف: محمّد نايف العمايرة، رسالة مقدمة إلى كلية الدّراسات العليا استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في التّاريخ، كليّة الدّراسات، جامعة مؤتة، قسم التّاريخ، 2015م، ص388

[2] السّلاّوي، الاستقصا، ج1، ص160

[3] ابن عذارى، المصدر السّابق، قسم الموحدين، ص158

[4] عز الدّين عمر، المرجع السّابق، ص 224

[5] عبد الواحد المراكشي، المصدر السّابق، ص 295

[6] ابن عذارى، المصدر السّابق، ص260

[7] ابن أبي زرع، المصدر السّابق، ص239

وجشم في بلاد تامسنا،[1] حتى أنّه لما اشتّد عليه المرض وشعر بدنو الأجل أفصح عن نيّته، قائلا لمن حوله من الأشياخ " ما ندمت على شيء فعلته في خلافتي إلاّ ثلاث، ودّدت أنّي لم أفعلها، أوّلها إدخال العرب من إفريقية إلى المغرب، لأنّي أعلم أنّهم أهل فساد"،[2] لأنّهم جُبلوا على عدم الطاعة والعصبيّة المفرطة.

2.1- البربر:

شكّل البربر منذ الفتح الاسلامي عنصرًا هامًا في المجتمع الأندلسي، جنبا إلى جنب مع العرب، واستقروا في مناطق مختلفة بالأندلس، وكان لهم دور بارز في مجالات مختلفة، واستقر جمع غفير منهم في قرطبة وضواحيها أيّام الخلافة الأموية وعصر الطوائف.[3]

وتوافد البربر إلى الأندلس عبر أربع هجرات، الأولى أثناء الفتح الاسلامي، وانصهرت مع باقي الشرائح الاجتماعية، وأسهمت كعنصر كبير العدد في ازدهارها وبنائها، والثّانية عندما استقدمهم الحاجب المنصور بن أبي عامر للخدمة في الجيش، والثالثة أثناء دخول المرابطين للأندلس من أجل درء الخطر المسيحي، فأَنزَلوا قبائلهم في المدن والثُّغُور،[4] واعتبر الأندلسيون يوسف بن تاشفين منقذًا لهم، فوقرّوه واحترموا البربر الّذين معه، لكن هذا الاعجاب لم يدم طويلاً، وتحوّل إلى كره وحساسية شديدة، واعتبروهم شدّاد غلاظ، لا حضارة لهم، وهذا ما ذكره المقرّي: " ولما كان البربر بالقرب منهم، وليس بينهم سوى تعدّية البحر، ويَرِدُ عليهم منهم طوائف منحرفة الطّباع، خارجة عن الأوضاع، ازدادوا منهم نُفُورًا، وكثُرَ تحذُّرُهم من نسب أو مجاورة، حتّى ثبُت ذلك في طبائعهم، وصار بعضه مركبًا في غرائزهم، فلما علمَ البربر عداوة أهل الأندلس، وبُغضهم لهم أبغضوهم وحَسَدُوهم، فلم تجد أندلسيًا إلاّ مُبغضًا بربريًا، وبالعكس، إلاّ أنّ البربر أحوج إلى أهل الأندلس، لوُجود عندهم، وفقدها ببلاد البربر"،[5] والرّابعة خلال عهد المرابطين عبر مرحلتين، أولاها نحو قرطبة عام

---

[1] عز الدين عمر، المرجع السابق، ص223

[2] ابن أبي زرع، المصدر السّابق، ص230

[3] ابن عذارى، المصدر السّابق، ج3، ص51، 79، 95.

[4] ابراهيم القادري بوتشيش، **مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين**، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1987م، ص36

[5] المقري، المصدر السابق، ج1، ص 244

515هـ، لأسباب مجهولة، وثانيها عام 535هـ.[1]

مع دخول الموحدّين للأندلس تعزّز العنصر البربري خاصة من قبيلة المصامدة، وإن ظلوا بعيدين غير منصهرين مع العناصر الأخرى الّتي اختلطت وامتزجت مع بعضها البعض، وأصبح من الصعب التّمييّز بينها، وكونت عُنصُرًا بشريًا واحدًا، هو العنصر الأندلسي المتكامل والمتعدّد والمتداخل مع بعضه البعض.[2]

والملاحظ أنّ البربر استقروا في الأجزاء الجنوبية والجنوبية الغربية من الأندلس، ويرجع ذلك إلى قربها من العدوة المغربية من جهة، وتشابه البيئة الأندلسية للبيئة المغربية، مما أدّى إلى نزوح موجات بشرية متتالية، وحصولهم على امتيازات بعد عملية الجهاد، كل ذلك شجعهم على البقاء في الأندلس، واستدعاء ذويهم في ما بعد، ولا ننسى طيب العيش وكثرة خيرات البلاد.[3]

2- أهل الذمّة:

أطلق المسلمون اسم أهل الذمّة على الفئات غير المسلمة المتواجدة في المجتمع الاسلامي عمومًا، والمجتمع الأندلسي خُصُوصًا، متمتعين بالحقوق الكاملة في كنف التّسامح الدّيني، ولكل فئة حياتها الخاصة.

1.2- النّصارى:

اعتبر المسلمون النّصارى أهل كتاب، ولم يُعنّفوهم، بل عاملوهم معاملة طيّبة، ولم يُجبروهم على الدّخول في الاسلام، عملاً بقوله تعالى{ لا إكراهَ في الدّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشدُ مِنَ الْغيِّ فَمَن يَكفُرْ بالطَّاغُوتِ ويُؤمِنْ باللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انْفِصَامَ لهَا واللَّهُ سَمِيْعٌ عَلِيْمٌ (256)}،[4] فاحتفظوا بالدّيانة المسيحية وتمسّكوا بها، ووجدوا في ذلك حريةً تامّة، وتعلّموا اللُّغة العربية، وهكذا عاش النّصارى جنبا إلى جنب مع المسلمين.[5]

---

[1] بوتشيش، المرجع السابق، ص36

[2] دندش، المرجع السّابق، ص263

[3] مثنى فليفل سليمان الفضلي، **الحياة الاجتماعية في الأندلس خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين**، ط1، دار مكتبة عدنان للطباعة والنشر والتوزيع، سورية، 2015م، صص15، 16

[4] سورة البقرة، الآية 256

[5] عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين، ص130

وبحكم التّسامح الدّيني للمسلمين، سمح لأهل الذمّة خاصة النّصارى بالاستقرار في المراكز الحضارية الكبرى، بغض النّظر عن ارتباطهم بتقاليدهم الدّينيّة والاجتماعية وما ينتج عن ذلك، وقد كانت بعض الطقوس الّتي يُمارسونها تؤدّي بشكل فخم ومُبهر، وضرب نواقيس الكنائس، لفت أنظار المسلمين المتعودين على بساطة الشّعائر الاسلامية، وانبهروا مما كانوا يشاهدونه من احتفالات النّصارى بالمناسبات الدّينيّة الخاصة بهم، ولم يتعرض لهم المسلمون في ذلك، وفي نفس السيّاق لم تتعرّض الكنائس لسوء، ولم يُسمح لهم ببناء كنائس أخرى في كبريات المدن كقرطبة.[1]

وأشارت كتب الحسبة أنّ الحكام المسلمين لم يمنحوا الحريّة المطلقة للنّصارى، بل حاولوا تقييّدهم ببعض الضوابط، كمنع النّساء المسلمات المصاحبات للمسيحيات من دخول الكنائس أثناء ممارسة النّصارى للطقوس الدّينية، باعتبار الرهبان فسقة، وفرض الختّان على أبنائهم، وإجلاء النّصارى المعاهدين بحكم التّجسس والتّعاون مع ألفونسو المحارب ابن رذمير في عهد علي بن يوسف (ت537هـ/ 1142م)، معتبرًا ذلك نقض للعهد.[2]

و في عهد الموحدين مارس أهل الذّمة ديانتهم وأنشطتهم بكل حريّة في إطار التّسامح الدّيني، لكن هذا لم يمنع السُّلطة الحاكمة من وضع النّصارى تحت الأنظار والمراقبة والحدّ من نفوذهم، لدرجة أن وصفهم المؤرخون بالتّضييق والاضطهاد، لكن بُغض المؤرّخ غودار Godard في جرأة منه، مخالفًا بني جلدته، بيّن عكس ذلك، أنَّ الخليفة الموحدّي يوسف بن عبد المؤمن (ت580هـ/ 1184م) أرجع إلى القنصل الممثّل لتجارة مدينة بيزة الايطالية كل الأسرى الّذين احتُجزوا بعد كارثة بحرية، حدثت في سواحل المغرب الاسلامي سنة 562هـ/ 1167م، وأبرم معهم معاهدة تجارية، ومع تجارة جينوة في نفس العام، كما أرسل رئيس أساقفة بيزة الايطالية رسالة إلى الخليفة الموحدي سنة 578هـ/ 1182م، جاء فيها " إنّنا أصدقاؤكم، ونودّ محالفتكم وصداقتكم قبل كلّ شيء "، ودعم غودار قوله بالرّسالة الّتي بعث بها البابا إنوسانت الرّابع، تحدّث فيها عن الحريّة الّتي تمتّع بها المسيحيين في عهد الخليفة الموحدي أبي الحسن علي السّعيد المعتضد بالله المأمون (640هـ – 646هـ/ 1242م – 1248)، وممارسة الطقوس في الكنائس بمراكش.[3]

---

[1] دندش، المرجع السّابق، صص 253، 254

[2] ابن عذارى، المصدر السّابق، ج4، ص72

[3] ابراهيم القادري بوتشيش، **تاريخ الغرب الاسلامي**، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1994م، صص 98، 99

2.2- اليّهود:

تعرّض يهود الأندلس قبل الفتح الاسلامي للقمع والاضطهاد، والحرمان من ممارسة طقوسهم الدينية، وأُرغموا على التّنصير،[1] ومع دخول الاسلام للأندلس، تمتّع اليّهود بحقوق حرموا منها سابقا، فأتيحت لهم حرية ممارسة الديانة، والتّعايش مع المسلمين والنّصارى، وكانت مدينة غرناطة أكثر جمعا لليهود،[2] وتجاوز نفوذهم الحد، وتولى ابن النّغريلة كل السُّلطان باسمهم في عصر ملوك الطوائف،[3] وازدادوا عددًا في عهد المرابطين، وسكنُوا في أحياء خاصّة بهم في بعض المدن مثل قرطبة وغرناطة، واشتهر يهود أليسانة من عمل قرطبة بغناهم وثروتهم، مما أجبر يوسف بن تاشفين على فرض الجزية عليهم، وأغرمهم أموالاً باهضة.[4]

ومع دخول الموحدين للأندلس، ظلّ الحكام متخوفون من اليهود ويُشكّكون في نواياهم، ولم يُعجبهم وجود ديانتين أو ثلاث في أرض الاسلام، فمنعوا اختلاط اليهود بالمسلمين، ووجودهم كفئة لا تُدين بمبادئ الدولة، ولا تخضع لقوانينها أمر خطير، يُهدّد أمن الدولة داخليًا، لذَا وجبَ ضبط هذه الفئة وإخضاعها، فمنهم من أسلمَ وحسُنَ إسلامُهُ، ومنهم من هاجرَ إلى ملتّهِ، ومنهم من بقيَ مترددًا في إسلامهِ، يُظهرُ مَا لاَ يُبطنُ.[5]

واتّبع الخليفة عبد المؤمن بن علي سياسة الحيطة والحذر مع أهل الذّمة، مُستفيدًا من أخطاء المرابطين مع هذه الفئة، طبقا للرّواية الّتي تُشير إلى أنّ جنود النّصارى في الجيش المرابطي هم الّذين خانوا سادتهم، وفتحوا لهم أبواب مراكش، وبذلك مكّنوا الموحدين من دخول مراكش، وإسقاط حكم المرابطين،[6] ممّا دفع به إلى تخيّير أهل الذمّة بين الدخول في الاسلام أو مغادرة البلاد أو القتل، وهذا ما ذكره النويري " وكان عبد المؤمن لا يُداهن في دولته، ويأخذ الحقّ من ولده إذا وجب عليه، ولا مشرك في بلاده، ولا كنيسة في بقعة

---

[1] عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 133

[2] محمد بن عبد المنعم الحميري (ت 727هـ/ 1327م)، **الرّوض المعطار في خبر الأقطار**، تح: إحسان عبّاس، ط1، مكتبة لبنان، بيروت، 1975م، ص45

[3] عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص133

[4] دندش، الأندلس في نهاية المرابطين، ص256

[5] داوود عمر سلامة عبيدات، **الموحدون في الأندلس**، دار الوضّاح للنشر والتّوزيع، عمان، الأردن، 2006م،ص183

[6] النويري، نهاية الأرب، ج24، ص163، يوسف أشباخ، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والوحدين**، ترجمة وتعليق : عبد الله عنان ط2،ج1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1996م، ص212

منها، لأنّه كان إذا ملَكَ بلدًا إسلاميا، لم يترك ذميًّا إلاَّ عرض عليه الاسلام، فمن أسلمَ سَلمَ، ومن طلب المضي إلى بلاد النّصارى أَذن له في ذلك، ومن أبَى قُتل، فجميع مملكته مسلمون لا يُخالطهم سواهم ".[1]

في ظلّ هذا الوضع، وسياسة التّضيّيق الّتي تعرض لها اليّهود، ظلّوا يترصّدون الفرص السانحة للتّحالف مع بني جلدتهم، أو من يخدم مصالحهم، وهذا ما حدث فعلاً سنة 557هـ/ 1162م، عندما تحالف يهود غرناطة مع ابراهيم ابن همشك، الثائر على الموحدين، واتّفق قائدهم ابن دهري على أن يفتح أبواب المدينة سرًا لابن همشك في ليلة معيّنة، يصلهم فيها إلى باب الرّبض بغرناطة، وهذا ما حدث فعلاً، ودخل ابن همشك المدينة، مغتنمًا غياب واليها أبو سعيد ابن عبد المؤمن، وعذّب وقتل من الموحدين المتواجدين بها، وفرّ الباقي إلى قصبة المدينة للتحصّن بها.[2]

وتمادى اليهود في أفعالهم، وتحالفوا مرّة أخرى مع أذفونش ابن شانجة قائد النّصارى سنة 591هـ/ 1194م، الّذي قاد جيشًا تعداده خمسة وعشرين ألف فارس ومائتي ألف رجل، وكان معه مجموعة من تُجار اليّهود، قد وصلوا لشراء أسرى المسلمين وأسلابهم، وجمعوا لذلك أموالاً كثيرةً، الهدف منها الانتقام من المسلمين، لكن انتصر الوحدين عليهم في قلعة رياح في نفس السّنة.[3]

أزعجت مكائد اليهود ودسائسهم الخليفة المنصور (ت595هـ/ 1198م) فجعلته أشد وطأة عليهم رغم إسلامهم، وأمر بأن يُميّزهم عن المسلمين بلباس خاص، وهي ثياب كحلية، وأكمام مفرطة السعة، تصل إلى قريب من أقدامهم، وشاع هذا الزّي في جميع يهود المغرب خلال فترة حكمه، ومما حمله على ذلك شكُّه في إسلامهم، إذ قال: " لو صحّ عندي إسلامهم لتركتهم يختلطون بالمسلمين في أنكحتهم، وسائر أمورهم، ولو صحَّ عندي كُفرهم لقتلت رجالهم، وسبيت ذراريهم، وجعلت أموالهم فيئا للمسلمين، ولكنّي متردّد في أمرهم "، واستمر ارتداءهم لهذا اللّباس أيّام ابنه عبد الله (النّاصر)، فشعر اليّهود بالإحراج والمضايقة فطلبوا منه خلع هذا اللّباس، لكنّه غيّره فقط، وأمرهم بارتداء ثياب صفر وعمائم صفر.

وإثر هذه السياسة لم تقم ذمة ليهودي ولا نصراني منذ تولي المصامدة الحكم، ولا في جميع بلاد المغرب بيعة ولا كنيسة،[4] ولا شكَ أنَّ الأمرَ امتّدَ إلى بلاد الأندلس، كونها دار جهاد متاخمة للممالك

[1] النويري، المصدر السابق، ج24، ص 176

[2] ابن صاحب الصّلاة، المصدر السّابق، ص124

[3] الضبي، بغية، ص66، 67

[4] عبد الواحد المراكشي، المصدر السّابق، ص383

النّصرانية، مما دفع باليّهود إلى الخروج من الأندلس، فاختاروا مصر الّتي كانت أكثر أمنا لهم، بسبب المعاملة الحسنة من الفاطميين، فازداد عددهم، وأسسوا بالفسطاط مدرسة لتعليم الديانة اليهودية والفلسفة والطّب والريّاضة،[1] وفرار النّصارى إلى بني جلدتهم.

ونّوه أنّ أهل الذّمة يهودا ونصارى تعرضوا لمراقبة شديدة خلال عهد الموحدين، بسبب التّواطؤ مع بني جلدتهم في الحروب، والتّجسس لصالحهم، بسبب حدود الأندلس المتاخمة للنّصارى، خاصة بعد حملة ابن رذمير سنة 598هـ/ 1201م، الّتي اجتاح فيها بلاد الاسلام، ودخل قرطبة وإشبيلية، ممّا أجبر حكام الموحدين على تغريبهم ونفيهم إلى بلاد المغرب، من أجل تفادي مكرهم وشرّهم، إلاّ البعض منهم تسلّل وفرّ نحو الممالك النّصرانية.[2]

3- أقليّات أخرى:

1.3- الغز:

اختلفت الرّوايات حول تواجد العنصر التركي في المجتمع الأندلسي قبل دخول الموحدين، البعض منها ذكر أنّ السُّلطان المرابطي يوسف ابن تاشفين (ت 500هـ/ 1106م) سمح للأغزاز[3] بالإقامة في البلاد، وجنّدهم في جيشه من أجل تخويف قبائل المغرب،[4] في حين التزمت روايات أخرى الصمت، ولم تُشِر إلى ذلك، بينما تذكر روايات أخرى أنّهم برزوا خلال فترة الموحدين في عهد الخليفة أبي يعقوب يوسف (ت 580هـ/ 1184)،[5] عندما قدم طائفة منهم من مصر سنة 574هـ/ 1178م،[6] يقودها شرف الدّين قراقوش المظفري، ودخلت طرابلس، ووصلت إلى أبواب مدينة قفصة بإفريقية، وأعلن قراقوش الحرب ضد الموحدين

---

[1] محمد يحي عبد المجيد، **اليّهود في الأندلس**، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنّشر، 1970م، ص89

[2] سامية مصطفى مسعد، **صور من المجتمع الأندلسي**، ط1، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، 1998م، ص95

[3] جنس من التُّرك، بلادهم في أقصى الشرق على تُخوم الصّين، وقد عرفهم العرب في أيّام الفتوح الأولى، دخلوا بلاد المسلمين أسارى ومماليك، ولم يلبث كثير منهم أن ملكوا حرّياتهم، وبرزوا في الحياة المدنية والعسكرية، فصار منهم قوّاد ووزراء وولاة، ثمّ ازداد نفوذهم وقويّ سلطانهم، حتّى صار الخليفة في قبضة أيديهم، وسياسة الدّولة وفق إرادتهم، انظر: عبد الواحد المراكشي، المصدر السّابق، ص365

[4] ابن أبي زرع، المصدر السّابق، ص 139، السّلاّوي، المرجع السابق، ص 25

[5] بوتشيش، مباحث، ص 51

[6] عبد الواحد المراكشي، المصدر السّابق، ص329

دامت أربعين سنة، انتهت بمقتله،[1] وأمر الخليفة بتجنيد أتباعه من الغز في جيش الموحدين، مع العرب من قبائل زناتة والمصامدة ومغراوة وصنهاجة وأوربة، وأصناف من البربر، والأغزاز والرُّماة، والمشاركة في غزوة بالأندلس سنة 580هـ/ 1184م،[2] وازداد عددهم في أواخر أيّام الخليفة المنصور، وبالغ في إكرامهم، وأقطع أعيانهم أكثر من أقطاع الموحدّين، حيث أعطى لأحمد ابن الحاجب مواضع ليس لأحدٍ من قرابته، وأقطع شعبان أحد أمراء الغز قرى كثيرة بالأندلس، تغّل في كلّ سنة قرابة نسعة ألاف دينار، بالإضافة إلى الجامكية الكثيرة الّتي ليست من الأجناد غيرهم.[3]

2.3- المدّجنون:

شاع استعمال لفظ المدجّن منذ بداية القرن 7هـ/ 13م، ويقصد به المسلمون الأندلسيون الّذين ظلُّوا مستقرين في أرضهم بعد سقوطها في أيدي النّصارى، وخضوعهم لملوكها،[4] وبدأت تاريخيًّا منذ سقوط طليطلة سنة 478هـ/ 1085م، والدّليل على ذلك النّص المذكور في كتاب " الحلل الموشية "، مفاده أنّه قبل موقعة الزّلاقة، رأى ألفونسو السّادس في منامهِ رُؤيا أفزعته، فجمع الأحبار والرُّهبان لتفسيرها، فعرض عليهم الرُّؤيا فأجابوه، لكنّه لم يطمئن، فطلب بإحضار الفقيه محمّد بن عيسى المغامي عالم المدينة، ومقرئ المسلمين بمسجده بطليطلة، فأبى ورفض، فأرسل ألفونسو من ينوب عنه، فأخبروه بالرُّؤيا، فأجابهم: " الأمر فيها قريب، أعلموه أنّه سيهزمه المسلمون هزيمة قبيحة، يخرُجُ منهَا مفلُولاً في نفَرٍ يسيرٍ من أصحابه "، واستدّل بآيات قرآنية في جوابه، فأخبروا ألفونسو السّادس بحقيقة الرُّؤيا، فازداد غضبه، وفعلا حدث ذلك.[5]

سمح ملوك النّصارى للمُدّجنين بالعيش في مدنهم المغتصبة، محتفظين بشيء من الحريّة الشّخصيّة،[6]

---

[1]أبو محمّد عبد الله بن محمّد بن أحمد التّجاني (ت 717هـ/ 1317م)، **رحلة التّجاني**، تق: حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1981م، ص113

[2]السّلاّوي، المرجع السّابق، ج2، ص138، ابن أبي زرع، المصدر السّابق، ص213

[3]عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، صص365، 366

[4]عنان، دولة الاسلام، العصر الرّابع، ص56، نور الدين بن بلقاسم، **المجتمع الأندلسي في العهدين المرابطي والموحدي من نهاية القرن 5هـ/11م إلى بداية القرن 7هـ**، إشراف جمعة شيخة، بحث لنيل شهادة دكتوراه الدولة في اللّغة والآداب العربية، كلية الآداب والفنون واللّسانيات، جامعة منوبة، 2004م/ 2005م، ص144

[5]مجهول، الحلل، ص54 -57

[6]نور الدّين بن بلقاسم، المجتمع الأندلسي، ص149

وتمتّعَ الكثيرُ منهم بالأمن والرّخاء خلال السّنوات الأولى، وتمّ السّماح لهم بممارسة شعائرهم الدّينيّة، وإعفائهم من الضرائب، والاحتفاظ بأراضيهم، وازداد عددهم مع سقوط المدن الأندلسية، وسكنوا أحياء خاصّة بهم، يفصلها سور عن كبير عن أحياء النّصارى واليّهود، لكن مقابل ذلك رأت الكنيسة في هؤلاء المدجّنين خطرًا، واحتفاظهم ببعض الامتيازات يعتبر تحدي مذموم، وحثّت على استرقاقهم أو تنصيرهم، فلم يستجب لها ملوك النّصارى، معتبرين المدجنين قوة اقتصادية لها وزنها في المجتمع النّصراني.[1]

3.3– العبيد: وهما قسمان:

– الصقالبة (العبيد البيض):

صقلبي – exlave – كلمة فرنسية قديمة، يقصد بالصقالبة الرّقيق الّذين يتم جلبهم من البلاد السلافية، الواقعة بين القسطنطينية وبلاد البلغار،[2] واختفت كلمة الصقالبة منذ عهد المرابطين من معظم المصادر التّاريخية، لتّحل مكانها مصطلحات جديدة كالحشم والرُّوم،[3] وألحقت بها ألقاب أخرى كالفتيان، والخلفاء، والخرس، والخصيان، والمجابيب، فالخلفاء تسمية كانت تُطلق على أكابرهم، والخرس لأنّهم لا يعرفون لغة البلاد الّتي نزلوا بها، ويُسّمون بأرستقراطية العبيد حسب المؤرخ ميتز، وغلب عليهم عنصر الذُّكور أكثر من الأنثى، الّذي تمّ استعماله في الجيش والحرس والحاشية، فازداد نفوذهم بسبب قربهم من الطبقة الحاكمة، رغم أنّ عددهم كان قليلاً.[4]

وامتّد عمل الصقالبة في الجيش وخدمة البلاط، وبرز منهم علماء أعلام، وشكلّوا محورًا هامًا في الحركة الأدبية، والسُّلطة المعرفية، باعتبارهم عنصر هام في المجتمع الأندلسي، وبلغ شعر المديح الّذي قيل فيهم في عصر ملوك الطوائف غايته، ومن أشهر المادحين لهم الشّاعر ابن دراج القسطلي، من أجل التّكسب وطلب الرّزق، وليس تقديرًا واحترامًا لهم.[5]

ودخل الصقالبة في خدمة الخلفاء الموحدين، واستعانوا بهم في تسيّير دواليب الحكم وتنفيذ أوامرهم في

[1] عنان، المرجع السّابق، ص57، 62، 63

[2] بوتشيش، مباحث، ص 45

[3] ابن عذارى، المصدر السّابق، قسم الموحدين، ص24، نور الدّين بن بلقاسم، المجتمع الأندلسي، ص138

[4] دندش، المرجع السابق، ص 258

[5] نفسه، ص260

الواقع،[1] و في سنة 586هـ/ 1190م، قام الخليفة المنصور بتغريب أهل قصر أبي دانس من غرب الأندلس إلى مراكش، وهم من الرّوم سكان البلاد المفتوحة، وهذا ما ذكره الحميري " ثمّ تحرّك المنصور من رباط الفتح في أخريات المحرّم 586هـ، ..وسار إلى قرطبة، وعقدت له الرّايات بجامعها الأكبر، ثمّ تحرّك من إشبيلية إلى قصر أبي دانس من غرب الأندلس، فنزلوا على حكمه، فاحتملهم إلى مراكش ".[2]

كما قامت الأسر الأندلسية الميسورة الحال، بشراء العبيد الصقالبة الخصيان للعمل في البيوت ومختلف الخدمات الأخرى، وربّما كان الفحول (غير الخصيان) يشتغلون خارج البيوت في نشاطات أخرى، وكانت الجواري من الصقالبة يُتّخذن للمتعة، والقيام بالغناء والرّقص.[3]

– الزُّنوج (العبيد السُّود):

وهم السُّود الّذين يُجلبون من بلاد السُّودان، وكانوا في مرتبة أدنى من الصقالبة، يمارسون أعمالا مختلفة، كالزّراعة والحرف، والخدمات المنزلية، ويجنّدون حتّى في الجيش،[4] وامتازوا بالقوّة وصحة الأبدان، والشّدة والشّجاعة والاقدام.[5]

والملاحظ أنّ أسواق النّخاسة (العبيد) تواجدت بالأندلس فترة الموحدين، واشتهرت مدينتي قرطبة وسرقسطة كمركزين هامين لهذه التّجارة،[6] ويتم وكانوا يُحملون من بلاد بعيدة، سواء صقالبة أو زنوج، وهم ملك للأسياد، استعملوهم في قضاء حاجاتهم، أو تمكين نفوذهم الاجتماعي، وازداد الاعتماد عليهم عندما يشعر السيّد بضعف سلطته.[7]

واهتم الموحدون بالعبيد وعملوا على تحسين وضعيتهم الاجتماعية، ممّا أكسبهم القيام بدور هام في

---

[1]حسن علي، المرجع السّابق، ص324

[2]الحميري، المصدر السّابق، صص342، 343

[3]دندش، المرجع السابق، ص260

[4]عبد الباقي السيّد، الظاهرية والمالكية، ص283

[5]ابن أبي زرع، المصدر السّابق، ص155

[6]كمال السيّد مصطفى، **تاريخ الأندلس الاقتصادي في عصر دولتي المرابطين والموحدين**، مركز الاسكندرية للكتاب، الاسكندرية ، دت، ص300

[7]دندش، المرجع السّابق، ص286

جميع مجالات الحيّاة، ففي الميدان العسكري، وفي إطار حماية الأندلس من الهجمات النّصرانية، شارك العبيد في المعارك، وكان لهم دور فيها، أهمّها غزوة يوسف بن عبد المؤمن سنة 566هـ/ 1170م،[1] والمشاركة في معركة بالأندلس رفقة الخليفة أبي يعقوب يوسف سنة 580هـ/ 1184م،[2] وفي معركة الأرك سنة 591هـ/ 1195م، عندما التف العبيد حول الخليفة المنصور قائد المعركة، وحمّوه ودافعوا عنه.[3]

تنوعت تركيبة المجتمع الأندلسي، أولهم المسلمون من عرب وبربر، الّذينَ كان لهم السبق في دخول الأندلس ونشر الاسلام بها، وأهل الذّمة من يهود ونصارى، الّذين استقروا بالمدن الأندلسية، تحت غطاء التّسامح الدّيني، لكنها ظلّت تُثير قلق الحكام الموحدين رغم الحرية الممنوحة لهم، وتُغذي الفتن كلما سمحت لهم الفرصة، إضافةً إلى أقليّات أخرى من الغز والمدجنين والعبيد (البيض والسُّود)، الّتي خدمت الموحدين، وظلّ البعض منها وفيًا لها، كل تلك الفئات الاجتماعية ستتفاعل مع الحركة المعرفية القائمة.

[1] ابن صاحب الصّلاّة، المصدر السّابق، ص361

[2] السّلاّوي، المرجع السّابق، ج2، ص138

[3] عبد الباقي السيّد، المرجع السّابق، 285

ثانيا– السُّلطة المعرفية والاصلاح الاجتماعي:

في حقيقة الأمر طموح العلماء ومن على شاكلتهم من له باع في الثّقافة، كانوا حريصين على توظيف ما يملكونه من علم ومعرفة لتوجيه المجتمع نحو الأفضل وإصلاح أحواله، ولعلّ أولى الخطوات هو محاربة الآفات الاجتماعية بمختلف أنواعها ومستوياتها، معتمدين على ما يملكونه من مكانة مرموقة، واحترام عالٍ، وتأثير قوي، بمختلف الطُّرق والوسائل المشروعة، كالقُدوة والتّضحية والتّرغيب والتّرهيب، والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر وغيرها، ومن ذلك:

1– الغناء والموسيقى:

الغناء[1] لون من ألوان التّعبير الانساني في الحياة لأيّ أُمَّةٍ من الأُمَمِ، ولهذا الفن أُصول وقواعد،[2] وقد عرّفه ابن خلدون أنّهُ " تلحين الأشعار الموزونة بتقطيع الأصوات علَى نِسَبٍ منتَظَمةٍ معرُوفَةٍ، يُوقِّعُ كلُّ صوتٍ منها توقيعًا عند قطعه فيكون نغمة، ثمَّ تُؤَلِّفُ تلك النَّغم بعضها إلى بعض على نِسَبٍ متعارفة فيلَذُّ سماعها لأجل ذلك التَّناسب، وما يَحدُثُ عنه من الكيفيّة في تلك الأصوات"، بينما الموسيقى هي الّتي تشتمل على الألحان والنّغم والأصوات ومناسباتها وايقاعاتها، وما يدخل منها في الجنس الموزون، والمؤتلف بالكميّة والكيفية، وما بها تلتئم، وما بها تصير أكمل وأجود[3].

لقيت الموسيقى معارضة شديدة في عهد الموحدين، باعتبار الحاكم عالم ذا معرفة، فالدّاعيّة محمد ابن تومرت، وأثناء القيام بدعوته، قام بتكسير آلات الملاهي، وأواني الخمر، كلما شاهد ذلك، لما يترتب عنها من فساد أخلاقي، وتفكك اجتماعي،[4] وواصل خليفته عبد المؤمن بن علي (ت 558هـ/ 1163م) عمل شيخه، وأمر في إحدى رسائله بالكشف عن أماكن الملاهي، والنّساء المفسدات المتغنيات في طُرُق الغِوايات،

---

[1] إنَّما سُمي غناءً لأنّهُ يستغني به صاحبُهُ عن كثيرٍ منَ الأحاديث، ويَفِرُّ إليه منها، ويُؤثِره عليها، انظر: ابن سيّدة أبي الحسن علي بن اسماعيل (ت 458هـ/ 1065م)، **المخصص**، تق: ابراهيم خليل جفَّال، ط1، ج4، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، لبنان، 1996م، ص10

[2] مثنى فليفل، المرجع السّابق، ص144

[3] أبي نصر محمّد بن محمّد بن طرخان الفارابي (ت 339هـ/ 940م)، **كتاب الموسيقى الكبير**، تح: غطاس عبد الملك خشبة، مر: محمود أحمد الحفني، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، دت، صص14، 49

[4] عنان، دولة الاسلام، ج3، ص124

وتطبيق حكم الشّريعة الاسلامية عليهن،[1] وحرص الخليفة المنصور (ت595هـ/ 1198م) على استئصال الغناء في الأعراس، ومتابعة أماكن اللّهو، بعد نفاق سوق الغانيات الملهيات، وراسل وُلاة الأمصار للتّصدي لذلك، والقبض على من تمادى في ذلك، ولم يقبل النّصيحة، ومعاقبته.[2]

ومن العلماء من عارض الغناء والموسيقى، وأفتى بذلك خاصة المالكية، ورأوا أنّ بائع آلات اللّهو يُؤدّب، ويَفسخ البيع،[3] ومن بينهم القاضي عيّاض (ت544هـ/ 1149م) الّذي عمل على نشر رسالة فحواها تحريم الغناء، كان قد قرأها على شيخه الطرطُوشي.[4]

وعلى ما يبدو أنّ الموحدين لم يكونوا متشددّين في مجال الموسيقى كما تورده بعض المصادر، أو كما رآه بعض الباحثين، بل أرادوا إعطاءها الصّبغة الدّينية في حدود ما تسمح به الشّريعة الاسلامية، بعيدًا عن الغواية والمجون، وإلاّ كيف نفسّر ذلك الحوار الذي جرى بين ابن رشد الحفيد، وأبي بكر ابن زهر– قطبي المعرفة آنذاك – في حضرة الخليفة المنصور الموحدي (ت 595هـ/ 1198م)، عندما طرح ابن رشد سؤالا على ابن زهر في تفضيل قرطبة، فأجابه: " ما أدري ما تقول، غير أنّه إذا مات عالم بإشبيلية، فأُريد بيع كُتُبه، حُملت إلى قُرطبة حتّى تُباع فيها، وإذا مات **مطرب** بقرطبة فأُريد بيع آلاته، حملت إلى اشبيلية "،[5] مما يدُّل على أنّ اشبيلية من أشهر مراكز الطرب بالأندلس، كما أنّ الحوار لم يتضمن رفض أو اعتراض على الموسيقى من الخليفة نفسه، بل يُوحي إلى تشجيعها، واعتبارها علمًا، له علماءه كباقي العلوم الاخرى.

ورغم تضيّيق حكام الموحدين السّابقين على الغناء والموسيقى إلاّ أنّه لوحظ شغف عند بعض الحكام بهذا الفن، فقد برع أُنّاس في الموسيقى، ولجأ الخليفة المنصور الموحدي (ت 595هـ/ 1198م) إلى تقريب الموسيقي أبي بكر ابن زهر منه، وجعله وزيرًا له، للاستمتاع بهذا الفن، وبرز أبُو الحسين بن الحمارة الغرناطي تلميذ ابن باجة في الموسيقى، حيث لما دخل مدينة سلا، أُعجب النّاس بغنائه، لبراعته في الألحان، والعزف عل العود، وتغنّيه بالشّعر الّذي يُطرب السّامعين، كما انتشرت في أوساط المجتمع موشحات القاضي

[1] عبد الباقي السيّد، الظاهرية والمالكية، ص234

[2] ابن عذارى، المصدر السّابق، قسم الموحدين، ص 173

[3] عبد الباقي السيّد، دراسات أندلسية، ص 150

[4] نفسه، ص236

[5] المقري، نفح، ج1، ص155

أبي حفص بن عمر بفضل ألحانها،[1] واستقدم أبُو علي ابن يبقى القائم بأعمال مالقة للوالي المأمون بن المنصور جارية كان أدّبها وعلمها الغناء، فأُعجب بغنائها، فطلبها منه، وسعى في شرائها، لكن لم يُمكّنه منها، فأقبل على قتله عندما تولى الخلافة بإشبيلية،[2] وأُعجب أبُو الحسن علي بن عمر بن عبد المؤمن بهذا الفن، وفتح قصره للموسيقيين، وأوقف الأحباس على الموسيقى بمصحات المعتوهين، لأنّ الموسيقى كانت علاجًا نفسيًا لهم.[3]

وواكب هذه الحركة الموسيقية انتشار آلات الطرب الأندلسية في إشبيلية وغيرها، كما يذكر الشقندي، مثل الخيّال، والكريج، والعُود، والرُّوطة، والرُّباب، والقانون، والبُوق، والمؤنس، والكثيرة، والشقرة، والمزمار،[4] والزلامي، والفنار وغيرها، ويفخر بها على المغاربة الّذين نقلوها إلى المغرب، ولم يكن عندهم سوى الدف، وأفوال، واليرا، وأبوقرون.[5]

وإثر هذه المرونة في هذا الفن، لا يُمكن أن نُغفل انتشار الانشاد والسّماع **الصوفي** في عهد الموحدين، وتشجيع ذلك كجزء من الاصلاح في هذا الفن، إذ يُعدُّ الخليفة المرتضى من المولعين بالسّماع، خاصة قصائد المديح النبوي، حتّى ابن القطّان صنّف له كتاب المسموعات في المدائح الدّينيّة،[6] وأجاز الفقيه أبوبكر ابن العربي (ت 543هـ/ 1148م) استعمال طبل اللّهو الّذي يُشبه الدُّف في الأعراس لأنّه يُشهرها، وكذلك آلات اللّهو المشهّرة للنّكاح، لما يُحسّن من الكلام، ويسلم من الرفث، ويحق للرّجل أن يسمع غناء جاريته، إذ لم يكن شيء حرام، لا من ظاهرها ولا من باطنها، فكيف يُمنع التّلذُذ بصوتها ؟،[7] وأباح الصوفي محي الدّين ابن عربي (ت 638هـ/ 1240م) ذلك قائلا: " وهو عندنا مُباح على الاطلاق، لأنّه لم يَثبُت

---

[1] محمد عادل، المرجع السّابق، ص150

[2] ابن سعيد، المغرب، ص429

[3] محمد عادل، المرجع السّابق، ص150، عبد الباقي، الظاهرية والمالكية، ص236

[4] يسمّونه الشَّبَّابة، وهي قصبة جوفاء بأبخاش في جوانبها معدودة، يُنفَخُ فيها فتُصوّتن فيحرج الصوت من جوفها على سداده من تلك الأبخاش، ويقطع الصّوت بوضع الأصابع من اليّدين جميعا، ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 534

[5] المقري، نفح، ج3، ص 213 ، عبد الباقي السيّد، المرجع السّابق، ص234

[6] عبد الباقي السيّد، المرجع السّابق، ص 236

[7] أبو بكر بن العربي (ت 543هـ/ 1148م)، **أحكام القرآن**، القسم الثالث، مر وتع: محمد عبدالقادر عطا، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003م، ص 526، 527

في تحريمه شئ عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم "،[1] وأفتى مشاهير المالكية و في مقدمتهم الامام القُرطبي – صاحب التّفسير الشهير – بجواز الغناء.[2]

2- تعاطي الخمر:

يعدُّ الخمر من الكبائر، بما جاء في النّص القرآني، قال الله تعالى{ يا أيُّها الّذين آمنوا إنَّما الخَمرُ والميسِرُ رِجسٌ من عَملِ الشَّيطانِ فاجتنبُوه لَعَلّكُم تُفلِحُون (90) }،[3] وبما جاء في السنّة النّبوية، عن أَنس بن مالك رضي الله عنه" أنّ النّبي صلّى الله عليه وسلّم، ضرب في الخمر بالجريد والنّعال، وجَلَدَ أبا بكر أربعين "،[4] وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم " من شرب الخمر فاجلدوه، فإن عاد فاجلدوه، فإن شربها فاجلدوه، فإن شربها الرّابعة فاقتلوه ".[5]

وانتشرت آفةُ الخمر في المجتمع الأندلسي، وأقبلَ الخاصة على معاقرتها، ورأت فيها دليلاً رمزيًا للسُّلطة وحياة البذخ والتّرف، وامتد تناولها في أوساط العامة الّتي دفعتها صعوبة الحياة اليومية، والمشاكل الاجتماعية، وحتّى النَّفسية إلى ذلك.[6]

وبالمقابل حرص الحكام الموحدين على منع الخمر وانتشارها، فكان ابن تومرت يهرق الخمر ويُكسّرُ أوانيها، حيث ما حلّ وارتحل،[7] ويضرب النّاس بالأكمام والنّعال وعسب النّخل، متشبهًا في ذلك بالصحابة

---

[1] أبو بكر محي الدين ابن عربي (ت 1240/638م)، **الفتوحات المكيّة**، ضبط وتص: أحمد شمس الدّين، ط1، ج3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1999م، 552

[2] عبد الباقي السيّد، الظاهرية والمالكية، ص237

[3] سورة المائدة، الآية 90

[4] أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري (ت 256هـ/ 869م)، **صحيح البخاري**، ط1، دار بن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 2002م، ص1677

[5] شمس الدّين أبي عبد الله محمّد بن أحمد بن عثمان الذّهبي (ت 748هـ/ 1347م)، **الكبائر**، عناية: محمّد بن الجميل، ط1، مطابع دار البيان الحديثة، القاهرة، 2001م، ص92

[6] بن خيرة رقية، **الآفات الاجتماعية في الأندلس ما بين القرنين الخامس والسّادس الهجريين (ق11– 12هـ)– دراسة في ظاهرة الانحراف** –، إش: بوداود عبيد، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث، تخصص: تاريخ الحوض الغربي للمتوسّط، قسم العلوم الانسانية، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر، 2016م/ 2017م، صص141، 142

[7] البيدق، المصدر السّابق، ص13، السلاّوي، الاستقصا، ج2، ص72

الكرام،[1] ممّا دفعه إلى تأليف كتاب " أعز ما يُطلب "، والّذي ضمّنه أبواب تتناول معرفة الخمر المجمع على تحريمه، وأنّ الخمر داء وليس شفاء، والله لعن شاربها، وثوابه العذاب الأليم، وهي محرّمة بالكتاب والسنّة وإجماع الصحابة، وجب إراقته، وكسر الأواني، وتحريم الانتفاع به ونجاسته.[2]

أمّا الخليفة عبد المؤمن بن علي (ت558هـ/ 1163م) فقد شدّد على آفة الخمر في رسالة مؤرخة في 15 بيع الأوّل 543هـ1148م، أمر فيها جميع الطلبة الّذين بالأندلس، ومن صحبهم من المشايخ والأعيان، البحث عن الخمور، وتقديم النّظر فيها، باعتبارها باب الشُّرور كلّها، ورأس الكبائر، والاجتهاد في إراقتها، وكسر دنانها، وملاحقة بائعها ومروّجها، ومصدر إنتاجها، ومقاضاة المفسدين بالكتاب والسنّة النّبوية،[3] ووصل به الأمر إلى خلع ابنه محمّد من الخلافة سنة 558هـ/ 1163م، بعد تأدية البيعة سابقًا، بسبب شرب الخمر، وظهور السَكر عليه، أمام أعين أشياخ الموحدين، والعامة من النّاس الزائرين.[4]

وتنكّر الخليفة المنصور (ت 595هـ/ 1198م) وغضب في الله، لما سمع المجاهرة بالخمر، والتّنافس في الشهوات، فأمر بإراقة المسكرات ومنعها، والتّحذير بعقاب الموت على كل من يتعاطى الخمر، وأصدر أوامر إلى كافة وُلاّته بالمغرب والأندلس، من أجل إزالتها، وتتبّع بائعيها، فأُريقت منها في البلاد ما يُساوي أموالاً كثيرة، واستحسن النّاس هذا العمل، مما جعل البعض يمدحه ويُثني عليه، منهم ابن بجير:

رضيع ثدي العلم طال رضاعه ... لها وهي ليست تستطيع فصاله
إذا شئت تدري في العلوم مقامه ... فسل دقيق العلم واسمع مقاله
أقام حدود الله في كل موطن ... واعمل فيه رعيه واهتباله
فانهل بطن الأرض منه وعله ... وقد منعت أيدي الورى أن تناله
وبدّد منه كل ما فيه شُبهة ... ولم يبقَ إلاّ حُلوه وحلاّله[5]

ووصل الأمر بالخليفة المنصور إلى إقامة الحدّ على شارب الخمر، بتطبيق الحدّ عليه، وجلده أربعين

[1] عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص261
[2] ابن تومرت، أعز ما يطلب، تح: عبد الغني أبو العزم، ص362 – 380
[3] أحمد العزاوي، **رسائل موحدية**، ط1، ج1، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، القنيطرة، 1995م، ص 61، 65
[4] ابن عذارى المراكشي، البيان، قسم الموحدين، ص78
[5] ابن عذارى، المصدر السّابق، قسم الموحدين، ص173

جلدة إذا شرب مرة أو مرتين، عملا بالمذهب الظاهري، مثل ما وقع لأحمد بن يحي العبدري (ت599هـ/ 1202م)، الّذي كان يُحاضر طلبة العلم بمجلس المنصور، فقد شُمَّ منه رائحة الخمر، ولما تحقّق المنصور، واكتشف حقيقة ذلك، أمر بإقامة الحدّ عليه وجلده، فجُلِدَ أربعين جلدة، وطُرِدَ من مجلس الخليفة.[1]

ويُذكر أنّ الخليفة المنصور قال لأبي جعفر الطّبيب: ركّب لنا ترياقًا، فأعوزه خمر، فأخبره بذلك، فقال: تلّطف في تحصيله سرًّا، فحرص فعجز، فقال الخليفة: ما كان لي بالتِّرياق حاجة، لكن أردت اختبار بلادي.[2]

وعادةً ما يُؤدّي التشدُّد أثرا عكسيًا، فيُقابله التّساهل والمرونة، وهذا ما نشهده خلال المرحلة الثانية من عمر الدولة الموحدية التّي دبّ فيها الضُعف والانحلال، وبروز معالم انهيارها، فمن الخلفاء من أصبح مدمنًا على معاقرة الخمر، إذ عكف المستنصر بالله الموحدي (ت620هـ/ 1223م) على الشُّرب واللّهو والمجون،[3] ليصل الفساد إلى العامة، وأصبحت معاقرة الخمر في المتنزّهات والرّياض والرّحلات النّهرية في الوادي الكبير بقُرطبة، وكانت ضفتي الوادي عامرتين بالمنارة، ومواضع الشرب، ومجالس اللّهو والطرب، وأقبل الشُّعراء على مشاركة رفاقهم في مجالس اللّهو، الّتي تتوفر على وسائل المتعة، فالكأس تدور، والمغنية تشدو، والراقصة ترقص، لا أحد ينهى عن المنكر ولا زاجر لهذا الفعل،[4] كل ذلك أدى إلى انحلال الأخلاق، فساد المجتمع، وتراجُع القيّم.

هذا الواقع، لم يمنع بعض حكام الموحدين الّذين يملكون السّلطة المزدوجة السياسية والمعرفية، وباعتبارهم مسؤولون مباشرون عن الرّعية، ويُسألون عن ذلك يوم القيامة، وفي إطار الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، قام الخليفة المأمون بن المنصور (ت629 هـ/ 1231م) بالنّهى عن شُرب الخمر والمسكّرات،[5] ليمتد هذا المنع والتّحدي عند الفقهاء، فقام البعض منهم بالتأليف، لإظهار خطورة الخمر وتأثيراتها على الفرد والمجتمع معًا، فألّف القاضي ابن دحيّة الكّلبي الظّاهري (ت 633هـ/ 1235م) كتابه " وهج الجمر في تحريم الخمر "، لتذكير النّاس بعقوبة شرب الخمر في الدُّنيا والآخرة، لعلّهم يرجعون إلى رشدهم، ولما وجد النّاس

[1] ابن عبد الملك، المصدر السّابق، المجلّد 1، ص743.

[2] عمر سلمان، المرجع السّابق، ص523

[3] عبد الباقي السيّد، الظاهرية والمالكية، صص239، 240

[4] فوزي عيسى، المرجع السّابق، صص151، 152

[5] ابن الخطيب، الاحاطة، ج1، ص412

يحتالون في شربها بمسميّات مختلفة، صنّف مؤلفا آخر " تنبيه البصائر في أسماء أمّ الكبائر "، وألّف القاسم بن محمد بن أحمد الأنصاري المالكي (ت 642هـ/ 1244م) مصنّفه " ما ورد من تغليط الأمر على شربة الخمر "، لتخويف النّاس من مجالس الخمر، وتخويفهم من الاقتراب منها.[1]

وللتّذكير أنّ تعاطي الخمر كانت من أبرز المظاهر الّتي هاجمها ابن تومرت خلال دعوته، والطريق الّذي انتهجه خلفاؤه من بعده، وما أنكره على المرابطين، كان سّمة لم يبرأ منها عصر الموحدين، واعتبر ذلك نوع من الدّعاية السيّاسية لإقامة نظام جديد على أنقاض نظام فاسد.

بناء على ما سبق، اتّضح خلال المرحلة الأولى (القُوّة) أنّ أهل المعرفة من حكام وفقهاء ومتصوّفة، سلك كل منهم سياسة التشدُّد والحزم ضد آفة الخمر، ملتزمين بمبادئ الظّاهرية، وتعاليم المهدية، معتمدين على الكتاب والسنّة، مما أدّى إلى الحدّ منها في الوسط الاجتماعي بطريقة غير مباشرة، أو التّقليل منها في غالب الأحيان، فهي إجراءات تبقى في حدود النَّهي فقط، لكن مع تراجع هيبة الدّولة وضعفها، أقبل الحكام والشّعراء والأدّباء وحتّى العامة على معاقرة الخمر رغم ظهور محاولات فردية قليلة تمنع ذلك، وتدعو إلى الاصلاح والتّغيير في المجتمع، كل هذا يُوحِي بوُجُودِ خللٍ في المنظومة الأَخلاَقية.

3- السّرقة والحرابة (اللُّصُوصِيّة):

السّرقة هي أخذ مال الغير مستترًا من غير أن يُؤتمن عليه،[2] دون علم المسروق، وكل ما يدخل ضمن ممتلكات الغير على وجه الاستخفاء،[3] أمّا اللُّصُوصيّة (الحرابة) فهيّ التَّعدّي على أموال النّاس وأرواحهم وقطع طرقهم، وأخذ ما للغير خُفيةً عن عين الحاكم، الّذي من واجبه حفظ الطريق، وضررها يعُمُ جميع المسلمين، أثناء غياب الأمن، وحالة اللاإستقرار،[4] وكلاهما يعمل على إتلاف مقاصد الشّرع الخمس، والّتي في

---

[1] أحمد بابا التنبكتي (ت 1036هـ/ 1626م)، **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، تق: عبد الحميد عبد الله الهرامة، ط2، منشورات دار الكتاب، طرابلس، 2000م، ص361، عبد الباقي السيّد، الظاهرية والمالكية، ص240، مخلوف، المرجع السّابق، ج1، 260، ابن عبد الملك، المصدر السّابق، المجلّد 5، ص477.

[2] ابن رشد الحفيد، بداية المجتهد، ص399

[3] أبو محمّد عبد الحق ابن عطيّة (ت 542هـ/ 1147)، **المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، دار ابن حزم، دت، ص540

[4] علي بن محمد الدّين بن الشّاهرودي البسطامي، **الحدود والأحكام الفقهية**، تح وتع: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1991م، ص47

مجملها حفظ الدّين والنّفس والعرض والمال والعقل.[1]

ووضع النّص القرآني والسنّة النّبوية الشّريفة حدّا للسّرقة، لما لها من أضرار سلبيّة على المجتمع، لقوله تعالى { والسّارق والسّارقة فاقطعوا أيديهما جزاءً بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم (38)}،[2] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " يا أيّها النّاس إنَّما ضلَّ من كان قبلكم أنَّهم إذا سرق الشّريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضّعيف أقاموا عليه الحدَّ، وايمُ والله لو أنَّ فاطِمَةَ بنتُ محمّدٍ سرقَت لقَطَعَ محمّد يَدَهَا ".[3]

كما جعل الشّارع الحكيم للحرابة مكانا في تشريع الحدود، عُرّفَ ب " حدّ الحرابة "، حيث ورد في هذا الحد قوله تعالى { إنّما جزاء الّذين يُحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يُقَتَّلوا أو يُصلَّبوا أو تُقطَّع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو يُنفوا من الأرض ذلك لهم خِزي في الدُّنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم (33)}،[4]وفسّر أهل الفقه معنى الآية أنّ محاربة الله ورسوله تكون بمحاربة عباده المؤمنين، وكلُّ من خرج من المسلمين يقطع السّبيل، ويسعى في الأرض فسادًا، وتعدّى على النّاس في مصر أو بريّة، وكابرهم عن أنفسهم وأموالهم دون حقدٍ وعداوة وثأر.[5]

ويعود انتشار ظاهرتي السّرقة واللُّصوصيّة بالأندلس إلى تردّي الأوضاع الأمنية، وغياب السُّلطة الحاكمة،[6] فكثُر شرّهم، واستفحل بلاءهم، مستغلين غفلة الحرّاس للسّطو على الديّار، بعد فتح الأغلاق المحكمة، وقتل صاحب الدّار، خوفا من الاقرار عليهم، لذا لا تكاد تسمع دار فلان دُخلت البّارحة، أو فلان ذبحه اللّصوص في فراشه، مما أدى بحاكم المدينة التّدخل ووضع حدّ لذلك، فوصل به الأمر إلى قتل شخص أقبل على سرقة عنقود عنب،[7] وتفشّت هذه الظّاهرة حتّى صارت موجة عامة في الأندلس، تُخيف المجتمع

---

[1] علي عشي، التعامل الفقهي مع آفة السّرقة في بلاد المغرب الاسلامي (2هـ- 9هـ / 8م- 15م) صور وتجليات، مجلة الآداب والعلوم الانسانية، المجلد22، العدد1، 2023م، ص303

[2] سورة المائدة، الآية 38

[3] البخاري، صحيح ، رقم 6788، ص1680، أبو محمّد عبد الحق الاشبيلي، **الأحكام الشّرعيّة الصُّغرى**، مر: خالد بن علي بن محمّد العنبري، تح: أم محمّد بنت أحمد الهليس، ط1، ج1، مكتبة العلم، جدّة، 1993م، ص765

[4] سورة المائدة، الآية 33

[5] القرطبي، المصدر السّابق، ج1، ص433-436

[6] كوثر بن قري، **الانحراف الأخلاقي في مجتمع الغرب الاسلامي وجهود المتصوفة في معالجته من خلال المدوّنة المنقبية**، مجلة الآداب والعلوم الانسانية، مجلد 22، العدد2، 2023م، ص130

[7] المقرّي، نفح، ج1، ص219

بمختلف فئاته، وترسّخت حتّى عند الصّغار الّذين صاروا يتّهمون كل غريب يقترب من البيوت.[1]

وحفاظًا على أمن المدينة، وحماية البيوت من السّرقة، تمّ اتّخاذ إجراءات وقائية، إذ أمر محتسبو الأندلس القائم على حراسة المدينة (خطّة الطّواف باللّيل) بغلقِ الأبواب ليلاً، ووضع سراج معلّق في كل حي (زقاق) ، وزوّدوه بسلاح وكلب حراسة.[2]

والتزم أهل المعرفة، أولهم الفقهاء بتطبيق الشّريعة الاسلامية، حيث وضّح ابن رشد الحفيد أنّ أهل الظّاهر يرون أنّ السّرقة اجتمع فيها حقّان، حق الله تعالى وحق الآدمي، لذا اقتضى كل حق موجبه، لذا قالوا يجب أن تُحمل الآية على عمومها، والواجب القطع من حيث هي جناية، إلاّ ما خصصته السنّة الثّابتة من ذلك، وهو المقدار الّذي يُقطع فيه من الّذي لا يُقطع فيها،[3] و في ما يخص اللُّصوصيّة أنّ أهل الفقه اتّفقُوا ما يجب على المحارب، إذ يجب عليه حق لله وحق للآدميّين، واتّفقوا أنّ حق الله هو القتل والصلب وقطع الأيدي، وقطع الأرجل من خلاف، والنّفي، وأوضح أنّهم اختلفوا في هذه العقوبات، هل هي على التّخيّير أو مرّتبة على قدر جناية المحارب.[4]

4- الزّنا:

هي كل وطء وقع على غير نكاح صحيح، ولا شُبهة نكاح، ولا ملك يمين،[5] فهو آفة اجتماعية سلبيّة، تفشّت في المجتمع الأندلسي، واشتهرت بعض المدن بأماكن الدّعارة وكثرة الملاهي،[6] مثل مدينة أبذة الّتي اشتهرت بكثرة الملاهي، والرّاقصات المشهورات بجمالهن وحسنهن،[7] ومدينة برشانة بها سوق للمجون، وللفسوق ألف سوق، تُشمر به الأذيال عن سوق، وعلى وجوه نسائها طلاقة، وفي ألسنتهم ذلاقة، ولهم

---

[1] مليكة عدالة، **ظاهرة الفقر بالأندلس في العصر الموحدي**، مجلة عصور، العدد 24-25، جانفي – جوان 2015م، ص138

[2] نفسه، ص219

[3] ابن رشد الحفيد، بداية المجتهد، ج4، ص 405، 406، 410

[4] نفسه، ج4، ص419

[5] نفسه، ج3، ص373

[6] ابراهيم القادري بوتشيش، **إضاءات حول تراث الغرب الاسلامي وتاريخه الاقتصادي والاجتماعي**، ط1، دار الطّليعة للطّباعة والنّشر، بيروت، لبنان، 2002م، ص161

[7] المقرّي، نفح، ج3، ص217

بالسفارة في الفقراء علاقة،[1] فهي آفة تُؤدّي بالضرورة إلى ضرب المجتمع في الصميم، وإلحاق الضرر به، أولّها اختلاط الأنساب، وانتشار الأمراض.

واعتبر الشّرع الاسلامي الزّنا من الكبائر، قال الله تعالى { ولا تقربوا الزّنا إنّه كان فاحشةً وسَاءَ سبيلاً (36)}،[2] وقال تعالى: { الزَّانيّة والزّاني فاجلدوا كلّ واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كُنتُم تُؤمِنُونَ بالله واليومِ الآخِرِ وليَشهَد عَذَابَهُمَا طَائفَة من المؤمنِينَ (2) الزَّانِي لاَ يَنكحُ إلاّ زانيةً أو مُشرِكةً والزّانية لا ينكحها إلاّ زانٍ أو مُشرك وحُرّمَ ذلك على المؤمنين(3) }،[3] فالقرآن الكريم شدّدَ على عقوبة الزّاني بجلده مائة جلدة، إذا كانا غير متزوجين، وإن كانا متزوجين أو تزوجا مرّة في العمر، فإنَّ العقوبة الرّجم حتّى الموت،[4] مع إحضار أربعة شهود عدول، وإنزال العقوبة لمن افترى كذبًا على المؤمنات المحصنات، لقوله تعالى {والّذينَ يَرمُونَ المحصنَات ثُمَّ لَم يَأتُوا بِأربَعَةِ شُهَدَاءَ فاجلِدُوهُم ثمانين جلدة ولاَ تَقبَلُوا لَهُم شَهادَة أبَدًا وأُولئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ }.[5]

وعلى هذا الأساس تصدّى أهل المعرفة لهذه الظّاهرة، وفي مقدّمتهم الحكام العلماء، أصحاب الأمر والنّهي، حيث أمر الخليفة عبد المؤمن بن علي حكام الولايات بالوصول إلى أماكن الرّيب والغوايّة والكشف عنها، والبحث عن النّساء الفاسدات، المِهنّنات في طُرُق الغِوايات، واللّواتي اشتهرن بممارسة الفاحشة.[6]

وتنكّر الخليفة المنصور لظاهرة الزّنا لما رأى استفحالها في المجتمع الأندلسي، وشدّد عليها، وأمر بتطبيق الحدّود وعدم التّسامح في ذلك، إذ يذكر ابن عذارى " لما رأى التّساوي في الانهماك والاغترار، وسمع المجاهرة بالاستهتار، والتّنافس في الشَّهَوات، ونفاق سوق الغانيّات الملهيات، تنكَّرَ وغَضِبَ في الله لذلك المنكر، وأضرب عن القيل والقال، وجعل الانذار والاعذار مكان السّيف الصقيل".[7]

---

[1]لسان الدين ابن الخطيب (ت 776هـ/ 1374م)، **معيار الاختيار في ذكر المعاهد والدّيار**، تح ودر: محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، 2002م، ص106

[2]سورة الاسراء، الآية 36

[3]سورة النُّور، الآية 2 و3

[4]الذّهبي، الكبائر، ص60

[5]سورة النُّور، الآية 4

[6]المنوني، حضارة الموحدين، ص126

[7]ابن عذارى، المصدر السّابق، قسم الموحدين، ص172، 173

وفي إطار التّوجه العام للدّولة، وعملاً بالأوامر السّلطانية، تدخّل المحتسب للحدّ من ظاهرة الزّنا، وأمر نساء دور الخراج أن لا يخرجن خارج الفندق، وهنّ كاشفات عن رؤوسهن، من شأنه أن يجلب النُّزلاء ويقمن بإغرائهم.

أمّا الفقهاء باعتبارهم حُمّاة الدّين والذّابين عنه، فقد شدّدُوا على مرتكبي الزّنا، وتطبيق الحدود الموجودة في النّص القرآني، وذكر ابن رشد الحفيد أنّ الزّنا يثبتُ بالإقرار والشّهادة، واختلف العلماء في الشُّروط، و في ثبوت الحمل عند النّساء غير المتزّوجات إذا ادّعين الاستكراه، ووضّح الإقرار المختلف فيه في موضعين، الأوّل في عدد مرات الإقرار الّذي يلزم به الحد، والثّاني أن لا يرجع عن الإقرار حتّى يُقام عليه الحد، ووضح اختلاف الأئمة الأربع في ذلك.[1]

5- الرّشوة:

لأجل كسب المال، وتحقيق الرّغبات، استّغل أصحاب النّفوذ والسُّلطة والجاه الطبقة الضعيفة للحصول على الرّشوة، وتصدّى أهل المعرفة لهذه الفئة الفاسدة، فلمّا تولّى أبو العبّاس (ت 586هـ/ 1190م) قضاء مالقة، امتُحِنَ في قصَّة الثَّائر علي الجزيري حين اشتَّدَ الطلب عليه، وقد خيّبَ من كان يَجلسُ إليه، وقيل أنّهُ أطلق أخاه المسجون بمالقة، برشوةٍ بلغت ألف دينار، فقُبِضَ عليه، وسُلِّمَ إلى صَاحب الشُّرطة، فضربه ألف سوط، حتَّى مات، وأُمِرَ به فصُلِبَ بإزاء جذع الجزيري.[2]

وعادة ما يتولى الرّشوة وسيطًا (المرتشي بينهما) بين الرّعية (الرّاشي) والقضاة وحتّى أصحاب النُّفوذ والسُّلطة (المرتشي)، فأجاب الفقهاء في هذه المسألة، بضرورة الضرب الموجع مع السّجن، وإرجاع المبلغ الّذي أخذه، مع إلزام القاضي أو غيره بإرجاع المبلغ إذا قامت البيّنة على ذلك.[3]

بناءً على ما سبق، يُستنتج أنّ إقدام أهل المعرفة على إصلاح المجتمع يعود بالأساس إلى افتقار أغلبية المجتمع للفهم الصحيح للدّين، الّذي تبناه أغلبهم بالفطرة، ممّا دفع بالمعرفي إلى حمايته من الفساد، ومحاربة وكل

---

[1] ابن رشد الحفيد، المصدر السّابق، ج4، ص383

[2] أبي عبد الله محمّد بن الأبّار (ت685هـ/ 1259م)، **تُحفة القادم**، تح: إحسان عبّاس، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1982م، ص186

[3] أبي العبّاس أحمد بن يحي الونشريسي (ت914هـ/ 1505م)، **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب**، إش: محمّد حجّي، ج6، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1981م، ص 150

ما هو سلبي كالغناء والموسيقى وتعاطي الخمر والسّرقة واللُّصُوصية والزّنا والرّشوة وغيرها، وتوجيهه توجيهًا صحيحًا، ونشر تعاليم الشّريعة الاسلامية، وتطبيق حدودها، نتيجتها بناء مجتمع سليم، وضمان الانضباط المدني.

ثالثا– السُّلطة المعرفية وقضايا اجتماعية أخرى:

1– الاحتفال بالمولد النبوي الشريف:

يعتبر الاحتفال بالمولد النبوي الشريف[1] من العادات المشهورة في المجتمع الأندلسي عهد الموحدين، يحيون ليلته – 12 ربيع الأوّل – كل سنة، لما لها من مكانة دينيّة مقدمة، لقوله تعالى { وإنّك لعلى خلقٍ عظيم (4)}،[2] ومن مظاهر الاحتفال بها المشي في أزقة الطرقات يُصلون على النّبي، وفي النّهار يقوم المنشدون أمام النّاس بمدح النّبي صلّى عليه وسلّم، فرحا وسرورا بمولده، ويقوم أهل البلد بإخراج الأطعمة المتنوعة للفقراء، وحتّى الأغنياء، وتوزيع المال على الأبناء، ويقوم النّاس بإغلاق المحلاّت والحوانيت في هذه المناسبة، وكان الخلفاء الموحدين يُحيُون هذه الليلة أحسن قيام.[3]

وقد أجاز بعض المالكية الاحتفال بليلة المولد النّبوي الشّريف، واعتبروها ليلة عيد، لما فيها من فضائل، ما لم يخالف ذلك الشّريعة الاسلامية، لأنّه يوم سرور، والتّوسيع على العيّال، ويُؤثرون على الأولاد، وإطعام الطّعام، والتّصدُّق على الفقراء والمساكين، وإسماع المديح طول اليوم، واعتبر الأندلسيون سلوك أبو القاسم العزفي،[4] حاكم سبتة سلوكًا حميدًا،[5] الّذي ألّف كتابا عنوانه " الدُّر المنظّم في مولد النّبي المعظّم "، لأجل صرف المجتمع الأندلسي عن تقليده للنّصارى في الاحتفال بعيد المسيح، وتوجيهه نحو إحياء الأعياد الاسلامية، وإقامة شعائرها، بإحياء ليلة المولد،[6] ووجّه نقدًا قويًا للفُقهاء والأعيان والعامة، مستشعرًا الأمانة

---

[1]أوّل من فعل ذلك صاحب اربل، الملك المظفر أبو سعيد كوكبري بن زين الدّين علي بن بكتكين، أحد الملوك الأمجاد، والكبراء الأمجاد، وكان له آثار حسنة، وهو الّذي عمّر الجامع المظفري بسفح قاسيون، انظر: جلال الدّين عبد الرحمان السّيوطي (ت911هـ/ 1505م)، **حسن المقصد في عمل المولد**، تح :مصطفى عبد القادر عطا،ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1985م، ص42

[2]سورة القلم، الآية4

[3]ابن عذارى، المصدر السّابق، قسم الموحدين، ص 398

[4]هو محمّد بن يحي بن عبد الله بن محمّد بن أحمد العزفي (ت677هـ)، من أهل سبتة، من جلة الفقهاء الأعلام، والظَّرف والبراعة، والطبع المعين، والذّكاء، رئيس سبتة، وابن رؤسائها، انتقل إلى غرناطة عند خلعه، وانصرافه عن بلده، أقام بها، تحت رعي حسن الرّوا، مألفًا للظرفاء، واشتهر بها أدبه، ونظر في الطّب، ودوّن فيه، وبرع في التّوشيح، ومن مآثره القيام بمولد النّبي عليه السّلاّم، فيُطعم أهل البلد، انظر: ابن الخطيب، الاحاطة، ج3، ص11، ابن عذارى، المصدر السّابق، قسم الموحدين، ص398

[5]الونشريسي، المعيار، ج11، ص279، 280

[6]محمد بشير العامري، **دراسات حضارية في التاريخ الاندلسي**، دار غيداء للنشر والتوزيع، الأردن، 2012م، ص16

والمسؤولية، فأراد أن يُظهْرَ للنّاس ما يَختَلجُ في صدره، ليُشَاركوه في مَقصَدِهِ، ويُعلم الشّاهد الغائب، لكن ذلك لم يحدث في حياته، بل نظّر للاحتفال، وأصّل مشروعيته، ليحتفل به ابنه عمليًا في ما بعد.[1]

وتفطّن الفقيه ابن القطّان لحُبّ الخليفة المرتضي (ت 656هـ/ 1258م) لليلة المولد النبوي، فألّف كتابه " المسموعات " الّذي يحتوي على قصائد مختارة في ما يخص المولد الكريم، وشهر رجب وشعبان ورمضان.[2]

وعادةً ما يُصاحب الاحتفال بهذه اللّيلة أو يسبقها، الخوض في أمور تؤدّي إلى التّشويش على العامة، وإدخال الشُّكُوك في العقيدة، وارتبط إحياء هذه اللّيلة عند الموحدين، بمسألة مآل والدا النّبي صلّى الله عليه وسلّم، هل هو في الجنّة أم في النّار ؟، وأثار هذه المسألة أحد أقطاب الظّاهرية ابن دحيّة الكلبي (ت 633هـ / 1235م)[3] صاحب كتاب " التّنوير في مولد السّراج المنير "، إذ قال أنَّ والدا النّبي صلّى الله عليه وسلّم ماتا كافرين، وأحدث بذلك فتنة بين العامة، وبلبلة فكرية بين المثقفين،[4] مثل ما يحدث في زماننا اليوم، هل إحياء ليلة المولد حلال أم حرام؟، وتناسى أغلبهم أنّها بدعة حسنة وحميدة، له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، على غرار صلاة التّراويح.

كلُّ هذا أجبرَ الفقيه المتمكّن التّدخل الصارم لحسم الخلاف، ونهي النّاس عن الخوض في هذه المسألة، فالقاضي أبو بكر ابن العربي (ت543هـ/ 1148م) لما سأله رجل في هذه القضية، أجابه أنّه ملعون، لقوله تعالى { إنّ الّذينَ يُؤذونَ اللهَ ورسُولهُ لعَنهُم اللهُ في الدُنيَا والآخِرةِ وأعَدَّ لهُم عَذابًا مُهِينًا (57)}[5] وقال: ولا أذى أعظم من أن يُقال عن والد النّبي أنّه في النّار، وأيّد الكثير من الفقهاء قوله وترجيحه، كالإمام

---

[1] الحسين أكرّوم بن أحمد السّاحلي، **أصول الاحتفال بالمولد النّبوي في المغرب**، مر: الحسن مكراز، منشورات المجلس العلمي لأشتوكة آيت باها، آغادير، 1439هـ، ص20.

[2] ابن عذارى، المصدر السّابق، قسم الموحدين، ص398، ابن القطّان، المصدر السّابق، ص39

[3] هو مجد الدّين عمر بن الحسن بن علي بن محمد بن فرح بن خلف الأندلسي، الظّاهري المذهب، من كبار المحدّثين ومن الحُفّاظ الثُّقات الأثبات المحصلين، ولد سنة 548هـ/ 1153م، صنّف كتبت كثيرة، منها كتاب " التّنوير في مولد السّراج المنير"، صنّفه عند قدومه إلى إربيل سنة 604هـ/1207م، وهو متوجه إلى خراسان، لما رأى ملك إربيل مظفر الدّين كوكبري معتنيا بعمل المولد النبوي في شهر ربيع الأوّل من كل عام، فأجازه بألف دينار، وصنّف " العلم المشهور في فضائل الأيّام والشُّهور"، توفي سنة 633هـ/ 1235م، بالقاهرة، انظر: المقرّي، نفح، ج2، صص99 -104

[4] عبد الباقي السيّد، الظاهرية والمالكية، ص248

[5] سورة الأحزاب، الآية 57

السُّهيلي، والقاضي عيّاض (ت544هـ/ 1149م) الّذي أفتى بعقاب من قال ذلك، واستدّل في قوله بأنّ عمر بن عبد العزيز، لما سمع ذلك – والد النّبي في النّار – من كاتبه، غضب غضبًا شديدًا، وعزله من منصبه، وقال له لا تكتب لي أبدًا،[1] كما ردّ كبير المالكية الامام القرطبي آنذاك على ابن دحيّة، وحسم كلامه، وأكدّ بالدليل والبُرهان إيمان والدي النّبي صلّى الله عليه وسلّم، وأنّ إيمانهما زيادة في كرامته وفضيلته.[2]

2– قضيّة المدجّنين:

أثارت مسألة التّدجين كثيرًا من المسائل الفقهية، وكانت الأسئلة تتوالى من الفقهاء من أجل إصدار فتوى موحدّة فاصلة، فمنهم من اعتبر ذلك مروق عن الاسلام، ولا حجّة لهم للبقاء في دار الكفر، لأنّ لهم وطن بديل، وهي بلاد الاسلام، ودليل ذلك طلب أحد الفقهاء فتوى عن حكم الشّرع في من آثر من المسلمين الأندلسيين البقاء تحت حكم النّصارى، وأجابه الفقيه أحمد بن يحي التّلمساني الونشريسي بما يلي:

1– أنّ الهجرة من أرض الكُفرِ إلى أَرض الاسلام فريضة إلى يوم القيامة، باعتبارها أرض باطل وحرام، مستدلاً بعدّة أحاديث نبوية.

2– لا تسقط هذه الهجرة الواجبة على هؤلاء الّذين استولى الطّاغية على بلادهم، إلاّ تَصوُّرُ العجز عنها بكلّ وجه وحال، لا الوطن ولا المال، فكلّ ذلك مرفوض في نظر الشّرع، وأمّا القادر على الهجرة فهو غير معذور وظالم لنفسه إن أقام في بلاد الكفر، لقول الله تعالى: { إنّ الّذين توفَّاهُمُ الملائِكَةُ ظَالِمِي أنفُسُهُم قالُوا فيمَا كُنتُم قَالُوا كُنَّا مُستَضعَفين فِي الأَرضِ قَالُوا أَلَم تَكُن أَرضُ اللهِ واسعةً فتُهاجرُوا فيهَا فَأُولئِكَ مَأوَاهُم جهَنَّمُ وسَاءَت مَصِيرًا (97)}،[3] والمعاقب من مات مُصرّا على هذه الإقامة.

3– تحريم هذه الإقامة مقطوع به من الدّين، كتحريم قتل النّفس والميّتة والدّم ولحم الخنزير وغيرها، ومن أجاز هذه الإقامة، واستخف أمرها، واستسهل حكمها، فهو مارق من الدّين، ومفارق لجماعة المسلمين، ومنبوذ بالإجماع الّذي لا سبيل إلى مخالفته، وخرق سبيله.[4]

---

[1] عبد الباقي السيّد، المرجع السّابق، ص 247

[2] نفسه، ص 248

[3] سورة النّساء، الآية 97

[4] أبو العبّاس أحمد بن يحي الونشريسي (ت914هـ/ 1509م)، **أسنى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه النّصارى ولم يُهاجر وما يترتب عليه من العقوبات والزّواجر**، تح: حسين مؤنس، مكتبة الثّقافة الدّينيّة، بور سعيد، 1996م، ص 25– 29، عنان، دولة الاسلام، العصر الرّابع، ص60، 61

واستدل بقول الفقيه أبي الوليد ابن رشد الجد (ت520هـ/ 1126م) أنّ فرض الهجرة غير ساقط، بل الهجرة باقية لازمة إلى يوم القيامة، واجب بإجماع المسلمين على من أسلم بدار الحرب أن لا يُقيم بها حيث تجري عليه أحكام المشركين، وأن يهجرها ويلحق بدار المسلمين حيث تجري عليهم أحكامهم، كما استدل بقول أبي بكر ابن العربي (ت543هـ/ 1148م) بأنّه من بقيَ عصى ويختلف في حاله، وشكوى النّصارى إلى أرض الاسلام من ضّيق المعاش، زعم فاسد، وتوهُم كاسد، لا رخصة لأحد في الرُّجوع إلى بلاد النَّصارى بأيّ حالٍ من الأحوال.[1]

3- قضيّة العبيد:

تعرّض العبيد للتّهميش والاقصاء بالأندلس، وانتشر بيع العبيد والجواري بشكل قوي، حتَّى صار بيعهم كبيع الدُّمى، ومع دخول الموحدين دعا الخليفة عبد المؤمن بن علي إلى الاهتمام بهذه الفئة، وإكرامها والاحسان إليها، وأرسل رسائله إلى ولاته، يأمرهم فيها بأنّه لا بيع إلاّ بعد استشارة الحكام والشُّيُوخ والفقهاء، وتقديم صاحب السُّوق (المحتسب) أهل الدّين والأمانة، والثّقة والصيّانة، للنّظر في أسواق بيعهن، والاطمئنان على وصول النِّسّاء في أيدي آمنة، حتّى لا يُستغلن في الزّنا والبغاء، بل وصل الأمر بالخليفة عبد المؤمن بن علي إلى منع نساء الغنيمة إلاّ بعد استشارته، وإخباره بحالهن وأمرهن،[2] فالمحتسب وبتكليف من ولي الأمر فهو يعمل على إلزام السّادة بمراعاة حقوق العبيد والايماء.[3]

4- مراقبة التّعليم:

أشارت كتب النّوازل إلى فئة المؤدّبين وواجباتهم، ودورهم في الواجب الدّيني، إلاّ أنّ البعض منهم أخّل بواجباته، لذا كان لا بد من الاشراف عليهم من طرف المحتسب، فيذكر ابن عبدون أنّه " يجب منع المؤدبين من حضور الولائم والجنائز والشَّهادات إلاَّ في يوم عطلة، فإنّهم مستأجرون "، كما يجب على المؤدب أن لا

[1] الونشريسي، المصدر السَّابق، ص30، 36، 40

[2] عزاوي، رسائل موحدية، ج1، ص66، عبد الباقي السيّد، الظاهرية والمالكية، ص284

[3] أبي العبّاس أحمد بن يحي الونشريسي (ت914هـ/ 1509م)، **كتاب الولايات ومناصب الحكومة الاسلامية والخطط الشرعية**، نشر وتعليق: محمد الأمين بلغيث، معهد العلوم الاسلامية، جامعة الجزائر، 1985م، ص29

يُكثر من الصّبيان، حتَّى يتمكّن من الاشراف عليهم ورعايتهم.[1]

وتصدّى المحتسب لمن يُنصّب نفسه للتّعليم من المؤدّبين، وهم ليسوا بأهله، لما في ذلك من تعزير بالنّاس، كما يُلزِمُ المؤدّبين بتحفيظ الصّبيان قُصار السُّور بعد الحذق في الحروف وضبط أشكالها، مع تعليمهم عقائد السُّن وأصول الحساب، وما يُستحسن من المراسلات والأشعار، وضرب كل صبّي بلغ سبع سنين لم يؤدّي فريضة الصلاّة، مع معاقبة المؤدّب إذا بالغ في العقوبة.[2]

5- تنظيم السُّوق ومراقبته::

ارتبط السوق بالحياة الاجتماعية، كونه فضاء مفتوح، وملتقى للفئات الاجتماعية المختلفة، تنتشر فيه المنكرات، لذا تدخل المعرفي لتنظيمه، والحدّ من الآفات المنتشرة فيه، فالخلفاء الموحدون أولوا لخطّة الحسبة اهتماما بالغًا، أوّلهم المهدي ابن تومرت،[3] ومن بعده عبد المؤمن بن علي الّذي أرسل كتابًا إلى الطلبة والحفاظ والأشياخ في 15 ربيع الأوّل 543هـ/ 1148م، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ومنع المظالم والقبالات الّتي ظهرت بالأسواق،[4] وتعيّين أمناء من ثقات المسلمين الخيار، أهل الدّين والمروءات، والهدف منه نشر العدل بين النّاس،[5] كما كان الخليفة المنصور الموحدي (ت595هـ/ 1198م) واقفًا بنفسه على خطّة الحسبة، ويأمر أن يدخل عليه أمناء السُّوق في كلّ شهرٍ مرّتين، يسألهم عن أسواقهم وأسعارهم وحكامهم.[6]

ورغم اهتمام الخلفاء الموحدين بالحسبة، إلاّ أنّ كتب الطبقات والتّراجم وغيرها، لم تشِر إلاّ نادرًا إلى متولي هذه الخطّة، نذكر منهم الأديب أبو الأصبغ عبد العزيز بن محمّد اليّحصبي اللّبلي (ت 580هـ/ 1184م) الّذي وُليَّ الحسبة بمُرسيّة،[7] والفقيه عبد المنعم ابن الفرس (ت597هـ/ 1200م) الّذي أُوكِلَ

[1] كمال السيّد أبو مصطفى، **دراسات أندلسية في التاريخ والحضارة**، مركز الاسكندرية للكتاب، الاسكندرية، 1997م، ص13

[2] عبد الرّحمان الفاسي، **خطّة الحسبة في النّظر والتّطبيق والتّدوين**، ط1، دار الثّقافة، الدّار البيضاء، 1984م، ص35

[3] ابن أبي زرع، المصدر السّابق، ص173، البيدق، المصدر السّابق، ص14.

[4] ابن عذارى، المصدر السّابق، قسم الموحدين، ص37

[5] عز الدين عمر، المرجع السّابق، ص208

[6] عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص262

[7] السّيّوطي، بغية، ج2، ص102

إليه النّظر في الحسبة والشُّرطة معًا، فحسنت سيرته، وقام في ذلك أحسن قيام،[1] والفقيه أبي القاسم أحمد بن علي بن خلف الاشبيلي (ت602هـ/ 1205م) الذي تولى حسبة السوق باشبيلية، عندما اختاره قاضيها محمد بن حوط الله لهذا المنصب،" الذي حسن فيه غناؤه، وذُكر فيها بنقاء الجانب، وتوفيه النظر في ما يعود على المسلمين بالمنفعة الشاملة، وكان مشكورا عند العامة والخاصة،[2] والفقيه عمر بن محمّد بن عبد الرّحمان المعروف بابن أبي رُطِلّة (ت606هـ/ 1209م) الّذي وُليّ خطّة السُّوق في مدينة دانيّة،[3] والفقيه أبي عبد الله محمّد بن المعّز (ت 607هـ/ 1210م) الّذي تولّى خطّة السُّوق بمدينة ميورقة، فأحسن أداءها،[4]واشتهر علي بن محمّد بن يوسف ين عبد الملك الأنصاري المعروف بابن المؤذّن (ت621هـ/ 1224م) بالمحتسب لتوليه خطّة السُّوق بمرسيّة لمدّة طويلة،[5] والفقيه أبي عمرو سليمان بن يحي بن سليمان بن بدر القيسي (ت646هـ/ 1248م) الّذي وُليَّ خطّة السُّوق عدّة مرات.[6]

و في إطار تنظيم السُّوق، نقتصر على ذكر أهم الأعمال الّتي قام بها متوليها،[7] من بينها الحرص على تنظيم الأسواق لتمكين السُّكان من قضاء حاجاتهم، خاصة الأغذية المطبوخة من شوائين، وقلايّين ودوّاسين، وغيرهم من الّذين تقوم حرفتهم على النّار، وألزم أصحاب الصناعات الّين يستعملون النّار، أن تكون بعيدة عن باعة القماش وغيرهم، لأجل تجنب حدوث الحرائق.[8]

واهتم المحتسب بمراقبة السُّوق، ومحاربة ظاهرة الغش، فمثلاً أخضع باعة السّمك لرقابة صارمة، ومنعهم من بيع السّمك البائت، وخلطه مع الطري، وألاّ يبيت عندهم حوت إلاّ إذا كان مملحًا، وغسل

[1]ابن عبد الملك، المصدر السّابق، المجلّد 3، ص49

[2]ابن عبد الملك، المصدر السابق، المجلّد 1، ص482، السّيوطي، بغية، ج1، ص340

[3]ابن عبد الملك، المصدر السّابق، المجلّد 3، ص373

[4]ابن الأبار، التكملة، ج2، ص 97

[5]نفسه، ج3، ص232

[6]نفسه، ج4، ص104

[7]يعرف بصاحب الحسبة، لأن أكثر نظره، إنما كان يجري في الأسواق من غش وخديعة ودين وتفقد مكيال، وميزان وشبهة، انظر: الونشريسي، كتاب الولايات، ص28

[8]عبد الرّحمان الفاسي، المرجع السّابق، ص30

السّمك وتنظيفه جيّدًا،[1] و وأحيانا يخرج مع أعوانه و في يد أحدهم الميزان، لاختبار البّاعة في ميزان السّلع، وقد يلجأ أحيانا إلى إرسال صبّي أو مرأة للتأكد من التّطفيف في الميزان من عدمه.[2]

وكان تجار الرقيق خاصة بمالقة يعمدون إلى كثير من وسائل الغش، منها أن يُنّصبون بسوقهم إمرأة يُسمونها الأمينة، توافق في النكر مذهبهم، وتشهد في استبراء الخدم، بمقتضى مرادهم، وبحسب ما يعطي المشترين، ويُقصد التّعجيل بالاجتماع بهن،[3] فتدخل المحتسب وأمر أن تُقدّم أمينة من أهل الدّين والتّقوى والمروءات، يُؤمن عليها مكر ذلك الصنف من النّخاسين وخدعهم، وأن لا تتم عملية البيع إلاّ بكتابة عقد بين البائع والمشتري، يشهد عليه بعض الأشخاص الثُّقات، وبحضور العبد المملوك، والاقرار بالرّق للبائع، مع التأكيد على سلامة العبد عقلا وجسمًا.[4]

وقام المحتسب بتحديد أسعار المنتجات الغذائية الأكثر استهلاكًا، كاللحم الزّيت والعسل والسّمن والقل والفاكهة وغيرها، ويضع عليها أوراقا ليرى العامة ثمنها، ويحد من غش البائع.[5]

ولم يتوان صاحب السُّوق في تطبيق الحدود الشّرعيّة في هذا المجال، وتطبيق أوامر الحاكم، ويُنزل العقوبات الزّاجرة بالمخالفين، حتى أضحى مضربًا للأمثال المنتشرة على أفواه العامّة، مثل قولهم " بحل محتسب، يضرب ويطوف "،[6] حيث يقوم في البداية بتطبيق عقوبات خفيفة، والقائمة على تغيّير المنكر بالقول الليّن واللُّطف، وتقديم النّصيحة للمخالف، وتعريفه بخطئه، وتنبيهه بغفلته، وتذكيره ووعظه وتخويفه، أملا في الاقلاع عن ما ارتكبه،[7] وإذا تمادى المخالف في فعله، ولم يعمل بما أمره به صاحب السُّوق، يقوم هذا الأخير بفرض عقوبات أكثر شدّةً وصرامةً، كإغلاظ القول له، على أن لا يمس بسمعته أو يُفحش له القول، ومصادرة السّلع

---

[1] كمال السيّد، تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص311

[2] المقرّي، نفح، ج1، ص218

[3] كمال السيّد، تاريخ الأندلس، صص 300، 301

[4] محمّد بن أبي محمّد السّقطي المالقي (ت616هـ/ 1216م)، **آداب الحسبة**، تح: ليفي بروفنسال، مطبعة أرنست لورو، باريس، 1931م، صص57، 58

[5] ليفي بروفنسال، **ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب**، المجلّد 2، مطبعة المعهد العالمي الفرنسي للآثار الشّرقيّة، القاهرة، 1955م، ص89

[6] بولطيف، فقهاء المالكية، ص269 ، سامية مصطفى، المرجع السّابق، ص143.

[7] المقرّي، المصدر السّابق، ج1، ص218، السّقطي، المصدر السّابق، ص9

المغشوشة والتّصدق بها، والتّشهير به، واستعمال الضرب، وإخراجه من السُّوق، وحتّى السّجن إذا تطلب الأمر ذلك، مستعينًا بأعوانه في تنفيذ مهامه.[1]

عمومًا، فقد حرص الموحدون على غرار من سبقوهم، بالتّمسك بالدين الاسلامي، والّذين هم على جادّة واضحةٍ لا بُنيَّاتَ له،[2] ملتزمين بتعاليمه، لا بالطرق المتّفرعة عنه، حيث عمل الحكام العلماء أصحاب السّلطة السياسية الملتزمين بالأمر بالمعروف والنّهيّ عن المنكر والفقهاء والقضاة وصاحب السُّوق على تنظيم الحياة الاجتماعية بجوانبها المختلفة، مثل الاحتفال بالمولد النّبوي الشّريف، ومراقبة التّعليم وتنظيم السُّوق ومراقبته، إضافةً إلى قضية المدجنين، وقضية العبيد وغيرها من القضايا الّتي كانت محل جدل، كلُّ ذلك لأجل إضفاء الصبغة الدّينية عليها، جادين في ذلك، لا تأخذهم في الله لومة لائم.

[1] حسن علي، الحضارة الاسلامية، ص180، كمال السيّد، تاريخ الأندلس، ص311، بروفنسال، ثلاث رسائل، ص89، 126، الونشريسي، المعيار، ج6، ص412

[2] ابن جبير، المصدر السّابق، ص55

رابعا– الأعمال الخيرية:

1– الوعظ والارشاد:

حثّت الشريعة الاسلامية على البرّ والأعمال الصالحة، قال الله تعالى:{ أُدعُ إِلَى سَبيلِ ربّكَ بِالحِكمَةِ والموعِظَةِ الحسَنةِ وَجَادِلهُم بِالّتي هِيَ أحسَنُ إنَّ ربَّكَ هُوَ أَعلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبيلِهِ وَهُوَ أَعلَمُ بِالمهتَدينَ (125)}،[1] وقال تعالى: {وَلقَد أَنزَلنَا إليكُم آياتٍ مُبيّناتٍ ومَثلاً منَ الّذينَ خَلَوا مِن قَبلِكُم وَمَوعِظةً للمُتّقينَ (34)}.[2]

رأى المعرفي من واجبه أن يكون في الطليعة لأجل القيام بهذه المهمّة النّبيلة، وفي مقدمتهم الفقهاء والمتصوّفة، أولهم محمّد المهدي بن تومرت الّذي جعل من الوعظ والارشاد سبيلاً لتحقيق دعوته، ونشر أفكاره ومعارفه، واكتساب العامة في صفه، مثل ما حدث في بجاية، حيث دعا العامة إلى التّخلي عن لباس النّساء الّذي يتزيّنون به،[3] واستمر في نهجه في باقي المدن الّتي دخلها، آخرها مدينة مراكش، وظلّ يعِظُّ النّاس ويأخذون عنه، فامتلأت قلوبهم بمحبّته، وعَظُم في عُيونهم.[4]

وانتشر الوعظ والارشاد ببلاد الأندلس زمن الموحدين، حتّى غلبت على البعض من أهل المعرفة صفة الواعظ لكثرة وعظه للنّاس، وحثّهم على فعل الخير، نذكر منهم أبي بكر يحي بن محمّد بن عبد الرّحمان بن بقِيّ (ت 563هـ/ 1167م) الّذي اتّصف بالمعرفة، ودخل الأندلس، وسكن مرسيّة، وبقي يعظّ النّاس طيلة حياته، حتّى تفوّق على أقرانه في الوعظ والتّذكير والارشاد.[5]

ونشط المتصوّفة في مجال الوعظ والارشاد، وتمكّنوا من التّأثير في العامّة، واتّخذ البعض منهم الزُّهد كوسيلة إصلاحية، واعتبروه بمثابة موقف مشابه للمقاومة السّلمية، من خلال نقد سياسة الحكام الّتي انعكست على الحياة الاجتماعية،[6] إذ كان الزّاهد المحدّث أبي محمّد عُليم بن عبد العزيز (ت 564هـ/

---

[1] سورة النّحل، الآية 125

[2] سورة النّور، الآية 34

[3] البيدق، المصدر السّابق، ص13

[4] ابن أبي زرع، المصدر السّابق، ص175

[5] ابن عبدالملك، المصدر السّابق، المجلّد 5، ص 328،

[6] بن خيرة رقية، الآفات الاجتماعية، ص319

1168م) واعظًا ناصحًا، فانتفع به الكثير من النّاس، مثابرا على التّعليم، واستظهار الصحيحين والموطأ والمدوّنة "، والكثير من كتب التّفسير والرّأي.[1]

وكان الزّاهد أبي الحسن علي النّجار الملّقب بابن سعدوك (ت 578هـ/ 1182م) يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويجلس في المساجد يعظ النّاس ويُذكّرهم، محتسبًا لله تعالى، ويُؤثّرُ فيهم، فينفعل الجميع معه، لما يعرفونه من صحّة دينه، وصدق يقينه، فأحبّه الجميع، وظلّوا ملتزمين بذلك حتّى بعد وفاته، يزورونه ويتبركون به.[2]

ومن المتصوفة نجد أبي عبد الله محمّد بن يحي (ت600هـ/ 1203م) الّذي كان يجلس بالجامع الأعظم بقرطبة، يعظُّ النّاس ويُذكّرهم، ويأخذ بأيديهم إلى البرّ والتّقوى.[3]

ومال الزّاهد أبو عبد الله محمّد بن أحمد اللّخمي (ت 614هـ/ 1217م) إلى طريقة الوعظ والتّذكير، وتفوّق على أهل زمانه، لحسن صوته، وغزارة حفظه، وإتقان الايراد والصّدق والإخلاص في وصاياه وتذكيره، فانتفع به خلق كثير من مدن كثيرة، وحلاّه أبو القاسم البلوي قائلاً: " حضرت مجالس وعظه كثيرًا بالجامع الأعظم من إشبيلية، فكان في حُسن صوته، وبراعة إيراده، واستحكام تأثيره، وانفعال القلوب لتذكيره، بمقام تَكَّلُ العبارة عن وصفه ".[4]

وانتفع عامة غرناطة والمدن الأندلسية الأخرى، بالمواعظ الّتي كان يُقدّمها الفقيه المتصوف أبو عبد الله البغدادي (ت663هـ/ 1264م)، المعروف بالذّكاء واليّقظة وحبّه للعلم، لا يكادُ يُخلي محاضرة من مناظرة علمية ومذاكرة وبحث ومُسَاءلة، ويصفه ابن عبد الملك المراكشي قائلاً: " ولزمت مجالس وعظه، وكانت القلوب تنفعل كثيرًا لكلامه، وترِقُّ لموعظته، وتتأثّر لتذكيره، وكان أغزر النّاسِ دمعًا، إذا رَقِيَ لمنبر وعظه، لا يتمالك أن يُرسِلَ دموعه فيُؤَثِّر عند الحاضرين من الخشوع والخشية وسكب الدُّموع "، ومدحه الأدباء والشُّعراء بقصائد استحسنها، منها قصيدة للأديب أبو موسى هارون بن عبد الله بن محمد بن هارون السُّماتي الاشبيلي، ومما جاء فيها:

---

[1] ابن عبد الملك، المصدر السّابق، المجلّد 3، ص363

[2] ابن الأبّار، التّكملة، ج3، ص214

[3] ابن الأبّار، المصدر السّابق، ج2، ص86

[4] ابن عبد الملك، المصدر السّابق، المجلّد 5، ص143، 144

مواعظ تسري في النُّفُوس لطَافَةً فَتُبرئُ من داءِ السَّقام بها سُقما
لقَد هتَكتَ حُجبَ القُلُوبِ وإنَّهَا بِلُطفِ معَانيهَا لَتستنزلُ الغَمّا
وقُمتَ بحَقِّ اللّه في وَعظِنَا فَلَم تَدَع غَرَضًا إلاَّ بَرَيتَ لَهُ سَهمًا.[1]

وظلّ المحدّث عيسى بن علي بن واصل (ت637هـ/ 1239م)، الّذي استقر بمدينة جيان، يعظ النّاس، فانتشر صيته، فقصده الطلبة للمذاكرة في الفقه لصدقه، واتّساع معارفه.[2]

ولم يقتصر الوعظ والارشاد على الرّجال فقط، بل امتّد للنّساء اللّواتي تركن أثرًا في هذا المجال، واتّصف الكثير منهن بحبّ الخير للنّاس، وإصلاح المجتمع، نذكر منهن رشيدة الواعظة الّتي اتّصفت بالخير الكثير، فكانت تتجول بين المدن الأندلسية، تعظ النّساء وتُذكرهن، حتّى ذاع صيتها في المجتمع عامةً.[3]

وامتد وعظ وارشاد أهل المعرفة إلى الخلفاء والأمراء، فالفقيه أبو العباس أحمد بن خليل السَّكوني (ت581هـ/ 1185م) ظلّ مقدامًا عليهم، وجادًا للكلام في مجالسهم، ناصحًا لهم، لا تأخذه في الله لومة لائمٍ، مقبوضَ اليّد عن قبولِ صلاتهم.[4]

والظّاهر أنّ الوعظ والارشاد تمركز في الأماكن الّتي يُقبل عليها العامة بكثرة، كالمساجد والأماكن العامة، حتّى تعمّ الفائدة والمنفعة في أوساط أكبر شريحة اجتماعية، فكان بمثابة تحدّي أمام سلوكات سلبية انتشرت في المجتمع الأندلسي.

2- قضاء حوائج الناس:

بحكم احتكاك المعرفي بالمجتمع الّذي يعيش فيه، ونيله مكانة مرموقة ومتميّزة بينهم، وحتّى في بلاط الخلفاء والأمراء، فقد عمل على خدمة العامة، بقضاء حوائجهم ونيل رضاهم، حيث كان المتصوّف أبو بكر عتّيق بن عيسى (ت548هـ/ 1153م) موسومًا بالفَضلِ، والمثابرة على فعل الخير، والبِّرِ بِأصحابه، مائلاً إلى

[1] ابن عبد الملك، المصدر السّابق، المجلّد 5، ص 153، 160

[2] أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزُّبير الغرناطي (ت708هـ/ 1308م)، **صلة الصلة**، تح: عبد السّلام الهرّاس وسعيد أعراب، ق4، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، 1994م، ص60

[3] ابن الأبّار، المصدر السّابق، ج4، ص259، ابن عبد الملك، المصدر السّابق، المجلّد 5، ص416

[4] ابن عبد الملك، المصدر السّابق، المجلّد 1، ص299

الصّالحين وأهلِ التَّصوف، يُهاديهم ويُتحِفهم في أماكنهم، ويُحسِّن نُزُلَ من أصابه مكروه، ويُسارع إلى قَضَاءِ حوائجِهِم بماله ونفسه[1].

أمّا أبو الحسن بن الاشبيلي (ت567هـ/ 1171م) الّذي وصل ذاع صيته بين طلبته وغرباء النّاس، ظلّ يُوصِلُ عنهم كلّ خير، ويرفع أمرهم إلى الخليفة ويشفع فيهم، فيتكلم ويُصغي لكلامه ويستمع، ومن فضل الفقيه أنّه قصده أحد طلبته يرجو منه أن يُكلّم له حاكم مدينة سجلماسة، وأن يصرفه إذا لقيه، فقال لتلميذه: قرّب الدّابة، فركب واتّجه إلى دار الحاكم، وكلّمه في الأمر، وقضى حاجته.[2]

وكان الفقيه أبو العباس أحمد بن خليل السَّكوني (ت581هـ/ 1185م) صادعًا بالحقّ في مصالح المسلمين والأمور الدّينية عند الأمراء والسّلاطين، يُبطِنُ من الخير أكثر مما يُظهر، مسرعًا في قضاء حوائج النّاس، لا تأخذه في الله لومة لائم.[3]

وحظِيَّ الحافظ أبوبكر بن الجد (ت 586هـ/ 1190م) عند الخليفة أبو يعقوب بن عبد المؤمن (ت 580هـ/ 1184م) ويستطرف ما يأتي به في جميع ما يشفعُ فيه من أُمُور بلدِهِ وسواهم، وازداد حظوةً ومنزلةً في عهد ابنه الخليفة المنصور، وتدخّل لحلّ نازلة أصابت سكان اشبيلية، مفادها أنّ الخليفة المنصور أثناء إقامته بإشبيلية، قام باسترجاع الأملاك الّتي بحوزة سكانها، والّتي منحها إيّاهم جدّه عبد المؤمن بن علي ووالده أبو يعقوب، وتقدّم إليهم في إحضار الصُّكوك الّتي تسوّغوها بها، فاشتّد قلقهم، واستشعروا ضعف حالهم، وانتكاس معيشتهم، إذ كان أغلبهم قد اهتم بتلك الأملاك، وشيّد عليها المباني، وغرس بها الأشجار، فقصدوا الحافظ أبو بكر ابن الجد، وطلبوا منه العون وتقديم المساعدة، والنّظر في ما حلّ بهم ودفع ذلك عنهم، فطلب منهم إحضار مناشيرهم (صكوكهم)، فوثقوا به، وأعطوه إيّاها، وفوّضوا إليه الأمر، فرفعها إلى مجلس الخليفة المنصور في اليوم الموالي للنّظر في الأمر، فتّصفحّها الخليفة، ثمّ قال الخليفة مستفهمًا ابن الجد والحاضرين من أهل العلم: هل يجوز للإمام نقض حكم ما تقدّمه من الأئمة ؟، فقال له: جائز للإمام إذا سجّل عن نفسه بتجويز من تقدّمه في ما فعله، فكفّ المنصور عن النّظر في ذلك، وأمر بإعادة الظهّائر إلى أصحابها، وتمكينهم

[1] ابن عبد الملك، المصدر السّابق، المجلّد 3، ص104، 105

[2] ابن صاحب الصلاة، المصدر السّابق، ص 160، 162

[3] ابن عبد الملك، المصدر السّابق، المجلّد 1، ص299

من أملاكهم، فدفع أبو بكر ابن الجد إلى كلّ واحد منهم ما كان هو قد دفع إليه منها.[1]

أما الفيلسوف ابن رشد الحفيد (ت595هـ/ 1198م) فقد نال حظوةً ووجاهةً، ومنزلة رفيعة عند الخلفاء الموحدين، فلم يستغلها في طلب الدّنيا، وتحسين وضعه الاجتماعي أو جمع مال، بل جعل كلُّ ذلك خدمةً لأهل قرطبة، من العامة وغيرهم، فأحسن إليهم، وانتفعوا به،[2] واتّسع عفوُه ورفقهُ ورأفته بالنّاس، فلم يُصدر حُكمًا بالموت على أحد طيلة توليه القضاء، ممّا أكسبه منزلةً محترمةً بين أصدقائه، فكان شديد العفو، متصدّقًا بالمال الكثير، يتدّفق كرمًا كثيرًا على من لجأ إليه من أحبابه وحتّى من أعدائه، وكثيرًا ما كان يُردّدُ: " إذا أعطيت الصدّيق فقد فعلت ما أحبّ، ولا فضل لي في ذلك، ولكن إذا أعطيت العدّو فقد تبعت أحكام الفضيلة ".[3]

وكان الفقيه الزّاهدُ أبو إسحاق إبراهيم بن محمّد (ت 616هـ/ 1219م) مقصدًا للضعفاء من فقراء ومساكين، قاضيًا لحاجاتهم، مدافعًا عنهم، ولما تولّى علي بن أبي بكر ولاية ألمرية، بدأ بتحصيل الجباية من سكانها، وألحق بهم ظلمًا وجورًا، فلجأ السُّكان إلى الشّيخ أبو إسحاق يشكونه ظلم الوالي، أملاً في رفع الجباية عنهم، بحكم العلاقة الطيّبة بينهما، ولما سمع أبو إسحاق بما فعله الوالي، طلب منه رفع يده عن العامة، ومراعاة ظروفهم الماديّة والاجتماعية، لكن لم يستجب له، وتمادّى في فعله، مما أدّى إلى توتر العلاقة بينهما.[4]

وكان أبو عبد الله محمّد ابن عيّاش التّجيبي (ت618هـ/ 1221م) نفّاعًا بجاهه وماله، وإفاضة المعروف على من قصده، مستعينًا على ذلك بما نال من الثّروة والحظوة والجاه عند الحكام الموحدين، رفيع المنزلة والمكانة لديهم، وكان الشّيخ أبو القاسم البلوي من العلماء الوافدين عليه بكثرة، ويرفع إليه كبار المسائل، فيُسرِعُ في قضائها دون تردُّدٍ، وذات مرّة عرض البلوي عليه حاجة مهمّة وكبيرة من بعض أصحابه الأندلسيين، فقصد منزله، فوجده مريضًا، وطلب منه التّوسط عند الخليفة لحلّها، فكتب في الحين كتابًا إلى الخليفة يطلب منه إزالة الحاجة المرفوعة إليه، فكان ردّ الخليفة ايجابيًا وسريعًا، وأرسل رسوله إليه، بعدها دفع ابن عيّاش بالظهير السُّلطاني إلى البلوي، وقال له: لا أرضى منك أن تُحجم النّاس عنّي في التّماس قضاء حاجة تعرَّضت

[1] ابن عبد الملك، المصدر السّابق، المجلّد 4، صص 355، 356، ابن الجدّ، المصدر السّابق، ص 15

[2] ابن الأبار، التكملة، ج2، ص74، ابن عبد الملك، المصدر السّابق، المجلّد 4، ص25

[3] عبد الباقي السيّد، دراسات أندلسية، ص 322

[4] السملالي، الإعلام، ص161

لك، أو لأحدٍ تعرفه، أو أحدٍ من العامّة، صغيرةً أم كبيرةً، فالتزم قضاءها وعليَّ الوفاء، فإنّ لكلّ مكتسبٍ زكاة، وزكاة الجاه بذله، وهذا ما أكّده الحسن بن سهل في أبيات شعرية قائلاً:

فُرِضَت عليَّ زَكَاة مَا مَلَكَت يدِي وَزَكَاةُ جَاهِي أن أُعينَ وأَشفَعَا

فَإذَا مَلَكَت فَجُد فَإن لَم تَستَطِع فَاجهَد بِوُسعِكَ كُلّه أَن تَنفَعَا [1]

أمّا أبو مروان الباجي (ت 635هـ/ 1237م) الّذي اتّصف بالخصال الحميدة، كالتّواضع وكرامة النّفس وحسن اللّقاء، وانشراح الصدر، فقد كان بارًا بأصدقائه والنّاس الّذين يقصدُونه، ولم يدخّر جهدًا في قضاء حوائج النّاس، سواءً العامّة أو الخاصّة، مقدامًا في تيسير أمورهم، فرِحًا بذلك.[2]

واشتهرت بعض النّساء بتقديم المساعدة ويد العون لمن يرونه محتاجًا إليها، فنشأت سيّدة بنت عبد الغني بن علي بن عثمان العبدري (ت647هـ/ 1249م) على السّعي في فعل الخير، مقبلة على أعمال البرّ، والايثار بما تملك، ووصلت أحيانا إلى عتق الرّقاب من الأسر بمالها.[3]

3- مساعدة الفقراء والمساكين:

من سمّات المجتمع المسلم التّكافل والتّعاون في ما بينهم، خاصةً في أوقات الشّدائد والمحن مع الطبقة الفقيرة المغلوبة على أمرها، الّتي برزت بكثرة في المجتمع الموحدي، ولم يتأخر أهل المعرفة في أداء الواجب، أوّلهم المتصوّفة الّذين كانوا قريبينَ من الطّبقات الفقيرة، جاعلين من الزّهد في الدُّنيا، والتّقشف فيها منهجهم، وترجمة معارفهم إلى سلوك واقعي يشمل الجانب الاجتماعي، إضافة إلى الفقهاء والحكام العلماء.

ولقد اتّصف الزّاهد أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن هُذيل البلنسي (ت 564هـ/ 1168م) بواسع المعروف وفعل الخير، وكثيرًا ما يقرأ ويُردّد الآية الكريمةّ { لن تنالوا البِرَّ حتَّى تُنفقُوا مِمَّا تُحبُّون وما تُنفقوا من شيءٍ فإنَّ الله به عليم (96)}،[4] ويتصدّق كثيرًا بماله على النّساء الأرامل واليّتامى، لا يخشى الفقر أبدًا، ويُخرج من بيته جميع ما يملكه من دقيق وأدم وغير ذلك، فتقول له زوجته: إنّك لتسعى بهذا العمل إلى فقر

[1] ابن عبد الملك، المصدر السّابق، المجلّد 4 ص 420، 421

[2] ابن عبد الملك، المصدر السّابق، المجلّد 3، ص582

[3] ابن الأبار، التّكملة، ج4، ص265

[4] سورة آل عمران، الآية 92

أولادك، فيردّ عليها قائلا: لا والله، بل أنّا شيخ طمّاع أسعى في غناهم.[1]

أمّا المحدّث الزّاهد أبي محمّد عليم بن عبد العزيز (ت564هـ/ 1168م) المحبوب عند عامّة النّاس، بارًّا بأصحابه، كثير الاهتمام بأحوالهم، مقدامًا على قضاء حوائجهم، والنّظر في مصالحهم، والسَّعيّ الجميل في التّهمُمِ بمآربهم وأُمورهِم، مُسّخِرًا جميع أوقاته، وحتّى الأيّام لذلك.[2]

كما كان الزَّاهد أبو بكر أحمد بن محمّد المخزومي (ت 580هـ/ 1184م) من جزيرة شقر، ومن بيت جلاّلة وريَّاسة وتقدُّمٍ، آوى إليه الكثير من الفقراء والمساكين، وأنفق عليهم أربعة وعشرين ألف دينار، سوى ما أغفل منها فلم يُكتب، وعندما رحل إلى مدينة قرطبة، استفتى علماءها، هل يُخرج من جميع ماله، وينقطع إلى الله عزّ وجل، أم يبقى فيه وكيلاً للفقراء والمساكين؟، وأثناء إقامته بقرطبة، أصابها مجاعةٌ وقحطٌ في سنة 540هـ/ 1146م، ترتب عنه غلاء الأسعار، مما دفع بأبي بكر إلى إنفاق جميع ما يملكه على الفقراء والمحتاجين، واضطر إلى الاقتراض من أُناسٍ آخرين، لأجل الاحسان إلى بقية النّاس.[3]

وعمل المتصوّف أبو عبد الله محمد بن أحمد اللَّخمي (ت 614هـ/ 1217م) على إنفاق جميع الأعطيات الّتي تحصل عليها من بني عبد المؤمن على الفقراء والمساكين والمحتاجين، ولم يكن يدّخر شيئا منها، بل وصل به الأمر إلى مساعدة الفتيات المقبلات على الزّواج وتجهيزهن إلى أزواجهن، واستمر في هذا العمل إلى غاية وفاته، كما افتدى الكثير من الأسرى، حيث نادى في النّاس، فتسارعوا إليه، وأعطاه كل واحد منهم ما بحوزته، بل نزع الكثير منهم بعض ما كان عليه من اللّباس، ووضعوها أمام منبره فتراكمت، حتّى كادت تحجبه عن الأبصار، وتجاوز ذلك ما طلبه، واكتسب منها مال كثير افتدى به الأسرى.[4]

وكان شيخ الصُّوفيّة أبو العبّاس أحمد بن إبراهيم (ت627هـ/ 1229م) موقَّرًا عند العامّة والخاصّة، مشهور الفضل، نال ثروةً وأثرةً أُعِينَ بهما على دينه، نال حظوة عند الحكام الموحدين، وجرت لهم على يديه أعمال من البرّ كثيرة، وكثيرًا ما يرغبون منه في توزيع صدقاتهم على من يراه من الفقراء والمحتاجين، وأهل السّتر والصَّون، لعلمهم أنّه محبوب عند جميع النّاس على اختلافهم، فيتولّى ما كُلف به، ويُشرف عليه بنفسه، فانتفع

---

[1] ابن عبد الملك، المصدر السّابق، المجلّد 3، ص310، 311، ابن الأبّار، المعجم، ص 290، 291، الذّهبي، تاريخ الاسلام، ج12، ص322

[2] ابن عبد الملك، المصدر السّابق، المجلّد 3، ص363

[3] الضّبي، بغية، صص212، 213

[4] ابن عبد الملك، المصدر السّابق، المجلّد 5، صص143، 144

به خلق كثير.[1]

واتّسعت دائرة التّعاون مع الفئات الضعيفة، لتشمل الأدباء، فكان الأديب أبي الحسن الجيَّاني (ت 633هـ/ 1264م) نفَّاعًا بجاهه، سمحًا بماله، مؤثِرًا بما ملكت يمينه، مبسوط اليّد، كريم الخلق، طيّب النّفس، كثير الاطعام، متصدّقًا على الفقراء والمساكين في جميع أحواله.[2]

ولا يُمكن أن نغفل دور حكام الدولة الموحدية في هذا المجال، فالمؤسّس عبد المؤمن بن علي (ت558 / 1163م) كان يتفقد المحتاجين ويُواسيهم مرّتين أو ثلاث مرّات في الشّهر متّى توفر المال وكثُرت الخيرات، ويُغدق عل كُلّ من يقف ببابه محتاجًا، ويمنحهم عشرة دنانير بالتَّساوي، ويفعل ذلك عدّة مرّات في الشّهر والسّنة،[3] وهي ميزة حسنة التزم بها خلفه من بعده.

وعندما كثُرت الخيرات، واتّسعت الأرزاق، وامتلأت خزائن الدّولة، تصدّق الخليفة يوسف بن عبد المؤمن (ت 580هـ/ 1184م) على الفقراء والمساكين والغرباء الوافدين، وجاد عليهم كالسّحاب الممطر، والبحر الزّاخر، رغبَةً في نيل الأجرِ والثَّوابِ، فترى في يدِ الرّجل ثلاثين دينارًا، فعمَّ الفضلُ والانعامُ، وارتفع الفقر والاعدام عن الضُعفاء، فنال الثّناء الحسن، والمنزلة الرفيعة بين الرّعية.[4]

ولم يتوقف تضامن الخليفة أبو يعقوب يوسف مع الرعيّة عند هذا الحد، بل تدخل كلما تطلب الأمر ذلك، وقدم المساعدة لسكان قونكة المحاصرة، وتمكن من دخولها، وفكّ الحصار عليها الّذي دام أشهرًا، وطرد النّصارى منها، فوجدهم في ضائقةٍ شديدةٍ، وتفشّى الجوع بينهم، فتألّم لحالهم، ووعدهم بجميل رعايته، وأمر أن تُكتب جميع أسماء سكان المدينة ،كبيرهم وصغيرهم، وأعطى للفارس منهم مثقالاً، وللرّاجل ثمانية مثاقيل، وللمرأة والطّفل أربعة مثاقيل، وأعطاهم سبعين بقرة لم يكن محلته، وزوّدهم بأنواع السّلاح لحماية أنفسهم، كما أعطى القمح والشّعير لجميع الجنود، وتنافس كبار الأغنياء والشُّيُوخ في ما بينهم، ومنحوهم الأعطيات

[1] نفسه، المجلّد 1، ص239- 241

[2] نفسه، المجلّد 3، ص 241، 242

[3] ابن القطّان، المصدر السّابق، ص171، 172

[4] ابن صاحب الصلاة، المصدر السّابق، ص333، 334

والصّلات المختلفة.[1]

وأثناء تولي الخليفة المنصور الحكم سنة 580هـ/ 1184م، أنفق مائة ألف دينار من الذّهب، ووزّعها على الضُّعفاء من المغرب والأندلس،[2] فكان محسنًا، كثيَر التّصدُّقِ أثناء الخروج إلى الأندلس لخوض المعارك، حيث تصّدق بأربعين ألف دينار في إحداها، منح النّصف للعامة من فقراء ومحتاجين وغيرهم، أمّا الباقي فأعطاه لقرابته، ووزّع أموالا على البيوت الفقيرة بمراكش.[3]

و في عام 595هـ/ 1198م، وقبل خروجه للجهاد بالأندلس، أمر بجمع الأطفال الأيتام لأجل اعذارهم، وأعطى لكلّ واحد منهم دينار من الذّهب، ودرهم من الفضّة، وحبّة من الفاكهة الخضراء، فتصدّق بأكثر من ألف ألف ما بين ذهب وفضة،[4] ولا نستثني أنّه قام بنفس العمل الخيري أثناء إقامته بالأندلس، أو يأمر ولاته بتنفيذ ذلك، خاصة في المناسبات الدّينيّة.

وأثبت أهل المعرفة تضامنهم مع الطبقة الفقيرة في أوقات الجائحة، فقام الخليفة الموحدي يوسف عبد الواحد بن المستنصر بالله بالتّخفيف من حدّة الجائحة الّتي أصابت الأندلس والمغرب ما بين 614هـ و617هـ/ 1217م و1220م، والّتي أرهقت السُّكان وآلمتهم، فأمر ولاّته بفتح مخازن الأطعمة، وتوزيع ما بها من طعام مجانًا على الضعفاء من الفقراء والمساكين، مع بيعها بثمن زهيد للأغنياء، ممّا أدّى إلى تحسُّن أوضاع النّاس.[5]

وفي سنة 617هـ/ 1220م، أصاب سكان غرناطة مسغبة شديدة، فتدخل الزّاهد أبي عبد الله محمّد بن أحمد بن صالح القيسي (ت618هـ/ 1221م)، المعروف بالصّدقة الكثيرة، سرًّا وجهرًا، فقام ببيع كل ما يملكه من الأشياء الثّمينة، وتصّدق بثلث المال الذّي قدّر بسبعمائة دينار، على أهل السّتر والتّصاون والتّعفف،

---

[1]عنان، تاريخ الاسلام، عصر الموحدين، ص80، 81، نغم عدنان أحمد الكركجي، **الأزمات الاقتصادية في الأندلس من الفتح حتّى سقوط غرناطة (92هـ – 798هـ/ 711م – 1492م)**، دار الكتاب الثقافي للطباعة والنشر والتّوزيع، الأردن، 2018م،ص 232

[2]ابن أبي زرع، المصدر السّابق، ص217

[3]عبد الواحد المراكشي، المصدر السّابق، ص363

[4]ابن عذارى، المصدر السّابق، قسم الموحدين، ص228، عبد الواحد المراكشي، المصدر السّابق، ص364

[5] الكركجي، المرجع السّابق، ص233

ثمّ تصدّق بمال آخر بلغ ثلاثمائة دينار، كلُّ ذلك للتّضامن مع الفقراء من السُّكان.[1]

و في سنة 663هـ/ 1264م، انتشر بالأندلس غلاء مفرط، خاصة في مالقة، ارتفع فيها سعر المأكول، وصار الحصول عليه صعبًا، وبيع الشيء الثّمين بالسّعر المنخفض،[2] فقام الفقيه عبد العظيم بن عبد الله البلوي المالقي (ت 666هـ/ 1268م) ببيع كتبه، والبعض من أغراضه، وتصّدَقَ بثَمَنِها قصد التَّخفيف من تلك المسغبة عن أهل بلده.[3]

وتجدر الاشارة أنّه في أواخر عهد الموحدين، ومع سوء الأحوال المعيشيّة الّتي أثّرت مباشرة الفقراء، دفع الأمر بالفقيه محمّد بن يُوسف بن عمران المزدعي[4] (ت655هـ/ 1257م) إلى تصنيف كتاب " الفرق بين الأغنياء المعنيّين والفقراء المضطرين وما يجب في ذلك على الوُلاة الآمرين وجميع المسلمين "، دعا فيه وُلاة الأمور والأغنياء إلى مساعدة الفقراء، واعتبر ذلك من حقهم عليهم.[5]

ويُستنتج مما سبق، أنّ الكثير من أهل المعرفة من حكام علماء ومتصوفة وفقهاء وغيرهم، قد ساهم في وعظ المجتمع وإرشاده، وتقديم يد العون والمساعدة للفئات الضعيفة، خاصةً في أوقات الشّدة، وقضاء حوائج النّاس، وما الأمثلة المقدّمة إلاّ دليل قوي على ذلك، مع العلم أنّ أمثال هؤلاء كثيرون في عهد الموحدين.

[1] ابن عبد الملك، المصدر السّابق، المجلّد 3، ص546

[2] ابن عذارى، المصدر السّابق، قسم الموحدين، ص435

[3] ابن الزُّبير، صلة، صص34، 36، الكركجي، المرجع السّابق، ص233

[4] هو أبو عبد الله محمّد بن يوسف بن عِمران المزدعي، تلا بالسّبع على أبي عبد الله بن أحمد بن البيوت، وروى الحديث واللّغة والآداب عن أبي ذر بن أبي رُكَب، رحل إلى الأندلس طالبا للعلم صُحبة أبيه فروى بإشبيلية وقرطبة وغيرهما عمّن أدركه من شُيُوخها، انظر: ابن عبد الملك، المصدر السّابق، المجلّد 5، ص267

[5] التنبكتي، المصدر السّابق، ص222، عبد الباقي السيّد، الظاهرية والمالكية، ص230

الفصل الرّابع: المعرفي والسُّلطان بين المرجعية الدّينيّة والمصلحة الدُّنيوية

أولا- الدّور السيّاسي والعسكري للمعرفي في عهد الموحدين

ثانيا– معارضة المعرفي للسياسي

ثالثا– موقف السياسي من المعرفي

أولا – الدّور السيّاسي والعسكري للمعرفي في عهد الموحدين

أدرك حكام الدّولة الموحدية أهمية المعرفة في بناء النّظام السيّاسي، لذا حرص ابن تومرت ومن بعده عبد المؤمن بن علي وأبناؤه على جعل المعرفي في صفّه، وضمان ولائه، والسّعي لإرضائه، وتوظيفه في مختلف مجالات الحياة، وعدم إقصائه، وعدم السّماح له بالبُعدِ عنه، فالسيّاسي شعر بحاجته القويّة إلى المعرفة لأجل ممارسة السُّلطة، وقيادة الدّولة وضمان بقائها واستمراريتها.

1– الجانب السيّاسي

1.1– تأدية البيعة للحكام:

إنّ الحاكم – السياسي – القائم بأمور المسلمين، والأمين عليهم، والنّاظر في أمور دينهم ودنياهم، والرّاعي لمصلحة الأمّة، كان يرى من واجبه في حياته، وحفاظا على وحدة الأمّة وتماسك الرعيّة، اختيار من ينوب عنه، ويتولى أمورهم، ويثقون بنظره لهم، فكان يتولاها بنفسه، ويفصل في الأمر قبل وفاته في غالب الأحيان.[1]

ولا يُشترط في أهل البيعة عددًا محدودًا ومعينًا، بل ما تيسّر حضوره عند عقدها، ولا تتوقف صحتها على مبايعة أهل الأمصار، بل متى بلغهم لزمهم الموافقة، إذا كان ولي العهد المعقود له أهلا لها،[2] ولا تتم البيعة إلاّ بعد استشارة وموافقة كبار الدولة وشيوخ القبائل وأهل المعرفة من علماء وفقهاء وغيرهما، من العدوتين المغربية والأندلسية.

واتّبع الموحدون هذه الطّريقة، للحفاظ على الرّابطة الدّينيّة والتّمكين للدّين الإسلامي بالأندلس، وتجنبًا لمزيد من الثّورات والفتن، والحفاظ على الاستقرار، رأى العلماء والفقهاء وأعيان المدن ممن له سلطة وتجاوب اجتماعي، ضرورة تأدية البيعة للموحدين، في ظلّ انهيار السلطة المرابطية وعجزها عن حماية البلاد، وفرض الأمن والاستقرار.

وأثناء تأسيس الدّولة الموحدية، تمكّن المهدي بن تومرت (ت 524هـ/ 1130م) من وضع مسار

---

[1] ابن خلدون، العبر، ج1، ص 262

[2] بدر الدين بن جماعة (ت733هـ/ 1332م)، **تحرير الأحكام في تدبير أهل الاسلام**، تح: فؤاد عبد المنعم أحمد، تق: عبد الله زيدان آل محمود، ط1، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدّينية، 1985م، ص53

سياسي قوي و واضح المعالم، من خلال نقل السُّلطة إلى غير الأبناء بالصُّورة الّتي رسمتها الشّريعة الاسلامية، فاختار تلميذه وصاحبه عبد المؤمن بن علي (ت 558هـ/ 1163م) الّذي التقى به بملالة في ضواحي بجاية،[1] ولما لمح فيه صفات الحاكم الكفء كالحكمة والشّجاعة والعطاء وصفة البذل، والّذي قال فيه:

تجمّعَت فيكَ أشياءٌ خُصّصتَ بهَا فكلُّنا بكَ مَسرُور ومغتبطُ

السِّنُ ضَاحِكةٌ والكَفُ مَانحةٌ والصّدرُ مُتّسعٌ والوَجهُ مُنبسطٌ

وفعلاً بعد وفاة المهدي ابن تومرت، بايع أصحابه العشرة خليفته عبد المؤمن عملاً بوصايته من جهة، وما يعرفون من فضله وعلمه ودينه وعزمه وبسالته وشجاعته وحسن سياسته ورجاحة عقله من جهة أخرى.[2]

وأثناء حصار الموحدين لمراكش سنة 541هـ/ 1146م، قدِمَ إلى عبد المؤمن بن علي (524هـ – 558هـ)، كبار الرّجال من أهل المعرفة بالأندلس كالفقيه أبو جعفر أحمد بن محمد بن حمدين،[3] وأبي العُمُر بن عزون الثائر بشريس، وغيرهما،[4] ومعهم مكتوب يتضمّن البيعة للموحدين والدُّخول في زمرتهم، والتزامهم لطاعة الخليفة، وإقامة لأمره في بلادهم، فقبل عبد المؤمن طاعتهم، وشكر هجرتهم، وطيّب قلوبهم،[5] وقبلها بعام سنة 540هـ/ 1145م، طاع له علي بن عيسى بن ميمون قائد الأسطول المرابطي بقادش، فكانَ أوّلَ المبايعين له، وعادَ إلى بلدهِ، وخطبَ له بجامعهَا، لتكونَ أوّلَ خطبةٍ للموحدينَ بالجزيرةِ الخضراء.[6]

وبعدما تمكَّن عبد المؤمن بن علي من دخول مراكش وانقادَ له أهلها، قدم إليه وفد من مدينة إشبيلية 542هـ / 1147م، لأجل تقديم البيعة له، يقوده الفقيه أبو بكر بن العربي المعافري[7]، ومعه علماء أمثال أبو بكر بن الجد، والخطيب أبو عمرو بن حجاج، وأبو الحسن الزهري، وأبو الحسن بن صاحب الصلاة، وأبو بكر بن شجرة، والهوزني، ومحمد بن القاضي شريح، وعبد العزيز الصدفي، وعلي بن السّيد، وعلي

---

[1] ابن أبي زرع، المصدر السّابق، ص173

[2] نفسه، ص184

[3] النويري، المصدر السابق، ص164

[4] ابن عذارى، المصدر السّابق، قسم الموحدين، ص27

[5] النويري، المصدر السابق، ج24، ص164

[6] أبو عبد الله بن محمّد بن ابراهيم الزّركشي، **تاريخ الدّولتين الموحدية والحفصيّة**، تح وتع: محمّد ماضود، ط2، المكتبة العتيقة، تونس، 1966م، ص9، ابن عذارى، البيان، قسم الموحدين، ص34، دندش، المرجع السّابق، ص104.

[7] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص190

بن طالب، وغيرهم من أعيان المدينة ووجهائها، فأَذنَ لهم بالدُّخولِ إلى مجلسهِ، والسّلام عليه، وتقدّم الوفد أبو بكر بن العربي (ت543هـ/ 1148م)، وألقى خطبةً بليغةً، أثّرت في نفوسِ الحاضرينَ، واستحسنهَا الخليفة عبد المؤمن بن علي، ثمّ تلاه الفقيه أبو بكر بن الجد (ت586هـ/ 1190م) بخطبة ثانية فأحسنها وأجاد، ثم دفعوا إليه بيعة أهل إشبيلية، مشهودة بخطوطهم، فقبلها منهم، وسُرّ بفعلهم،[1] وانصرف الوفد بالجوائز والاقطاعات،[2] فأمر للقاضي ابن العربي بمائة مثقال ذهبية حشمية، ولابن حجاج الخطيب مثل ذلك، ولبقية الوفد على قدر منازلهم،[3] ومما يلفت الانتباه أنّ الوفد الاشبيلي كاد أن يحل به خطر حينما حلّ بمراكش، إذ صادف وصوله قيام ثورة الماسي،[4] ووصول أخبار عن عصيان إشبيلية وخروجها عن الطاعة، لكن لحسن الحظ كانت الأخبار مغلوطة، ورغم هذا فقد ظل الوفد مقيما بمراكش قرابة سنة ونصف، لانشغال الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي بثورة القائم عليه.[5]

كانت هذه البيعة بمثابة عهد بين طرفين، سياسي ومعرفي يسعى كل منهما إعطاءه أقصى درجات المصداقية من خلال توثيق العهد، والاشهاد عليه، يعني عدم التّراجع عن قرار البيعة، أو تأويلها تأويلاً مضرًا بأحد الطرفين،[6] كما أراد عبد المؤمن احتواء السّلطة المعرفية القادمة من الأندلس الّتي تثق فيها العامة، ورأت فيها الملاذ بعد تفويضها، كل ذلك لرفع ما حلّ بهم وببلادهم.

وبعد مبايعة الوفد الاشبيلي، توالت الوفود إلى مراكش، أهمّها وفد أعيان قرطبة، الّذي جاء لأجل المبايعة، وتقديم الولاء والطاعة، يتقدمهم الشّيخ الجليل أبو محمد والكاتب عبد الله بن زرقون، ويتّضح هذا من الرّسالة الّتي بعث بها عبد المؤمن بن علي إلى الفقيه القاضي أبي القاسم محمد بن الحاج، ومما جاء فيها " وقد وصلنا أخوكم الشيخ الجليل أبو محمد، وابنكم أبو الحسن، وصاحبكم الشيخ الكاتب أبو عبد الله بن زرقون –

---

[1] ابن عذارى، المصدر السّابق، قسم الموحدين، ص33، مجهول، الحلل الموشية، ص 147، 148

[2] قاسم مخلوف، المرجع السّابق، ج1، ص200، الزركشي، تاريخ الدولتين، ص9، توفيق مزاري عبد الصمد، **النشاط البحري بالغرب الاسلامي في عهدي المرابطين والموحدين**، منشورات دار الثّقافة حسن الحسني، المدية، الجزائر، 2010م، صص90، 91

[3] ابن عذارى، المصدر السابق، ص34

[4] هو محمد بن عبد الله بن هود، وكان هذا الدعي الشقي قصارا على ضفة بحر سلا، وكان أبوه دلالا بالسوق، ادعى الهداية، واستقر برباط ماسة، ينظر: ابن عذارى، المصدر السّابق، قسم الموحدين، ص30، مجهول، الحلل، ص146

[5] بولطيف، فقهاء المالكية ، ص 167

[6] ابراهيم قادري بوتشيش، **قراءة في أصول البيعة بالمغرب**، عصور جديدة، المجلد7، العدد 26، أفريل 2016م، ص 17

أكرمهم الله بتقواه – فأدوا حق هجرتهم البرة ما قلدوه، ونالوا من خير الزيارة والبيعة ما اعتمدوه، ثمّ انصرفوا مبرورين مسرورين، بما ألقوه من بركة هذا الأمر الكريم ووجدوه، وقام عذركم – وفقكم الله – على ساقه فقبل، ومثّل ولاؤكم نائبا عن الوصول فوصل"،[1] ونجد صدى الوفد القرطبي المبايع في رسالة ثانية مؤرخة في 02 صفر 544هـ / جوان 1149م، موجهة إلى مشايخ وأعيان قرطبة وفي مقدمتهم العلماء الفقهاء، وتضمنت ما يفيد أنّ أهل قرطبة، كانوا قد أرسلوا كتاب بيعتهم مع ثلاثة الشيوخ – المذكورين سابقا – الذين " ألفوا بالحضرة عصا تسيارهم، ونالوا من الزيارة المبرورة والبيعة الكريمة، منتهى طلبهم واختيارهم ".[2]

ومما يلفت الانتباه أن مبايعة عبد المؤمن بن علي قطعت الطريق أمام الطامعين في الحكم، وهذا ما أكده ابن أبي زرع قائلا " وقيل لما مات المهدي، تشوَّفَ كل واحدٍ من العشرة إلى الخلافة بعده، وكانوا من قبائل شتى، وأحبت كل قبيلة من قبائل الموحدين أن يكون الخليفة منها، وأن لا يلي عليها أحد من غيرها، فتنافسوا في ذلك، وتحاسدوا، فاجتمع العشرة والخمسون، وتآمروا بينهم، وخافوا النّفاق، وأن تفسد كلمتهم، ويتفرق جمعهم، فاتّفقوا على خلافة عبد المؤمن بن علي، لكونه غريبًا بينهم، ليس منهم، مع ما كانوا يرون من ميل المهدي إليه، وثباته عليه فبايعوه ".[3]

وفي سنة 555هـ/ 1160م، عبر عبد المؤمن بن علي إلى الجزيرة الخضراء للجهاد، ومكث مدة بجبل طارق، فأقدمت عليه وفود أندلسية من مالقة، وغرناطة، ورُندة، وقرطبة، وإشبيلية، وما والى هذه البلاد وانظم إليها،[4] ومعهم كبراءهم وشيوخهم وطلبتهم، لأجل تجديد البيعة له، فدخلوا عليه على ترتيب وتأديب، فتقدّمَ والي إشبيلية أبو محمد بن عبد الله بن أبي حفص بن علي، رفقة قاضيها أبي بكر الغافقي، ومن بعده قاضي قرطبة، والخطيب أبو الحسن بن الاشبيلي، وأبو محمد بن جبل، وأبو محمد المالقي، وخطب كل واحد منهم خطبة على انفراد في حق البيعة ولزومها، وربط الشرع لعهودها ورسومها، ثمّ أذن لهم الخليفة عبد المؤمن بن علي القرب منه، لتقبيل يده، كدليل على الايمان والأمانة، ولزوم الوفاء بالعهد والطاعة والديانة،[5] ثم للشعراء الحاضرين في مجلسه، أمثال محمد بن حبُّوس الفاسي (ت570هـ/ 1174م)، بالانشاد وتنظيم

[1] بروفنسال، رسائل موحدية، ص4، بولطيف، المرجع السّابق، ص 167

[2] بروفنسال، المرجع السابق، ص 16، بولطيف، فقهاء المالكية، ص 168

[3] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص184

[4] عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق ص282

[5] ابن صاحب الصلاة، المصدر السّابق، ص94

أشعار كإشهاد لهذه البيعة.[1]

و في نفس السيّاق، كان الخلفاء الموحدون يختارون من الأبناء الأصلح والتّقي، مراعين شرطي الكفاية والصلاح، ويتم إسقاطها إذا غاب هذين الشرطين، لذلك لم يتردّد الخليفة عبد المؤمن بن علي في خلع ابنه محمّد من ولاية العهد الّتي ولاّه إيّاها سابقًا، لما لاحظ علامات السكر عليه.[2]

ولما تولى أبو يوسف يعقوب الحكم ستة 580هـ/ 1183م، أرسل له الفقيه ابن مغاور كتاب البيعة في جمادى الثاني 580هـ/ 1183م، نيابة عن أهل شاطبة، ومما جاء فيها " .. ولما كمُل الأمر العظيم، وأُبرم العقد العظيم الكريم، أجمع الملأ من أهل شاطبة وأعمالها إجماعا شرعيا، التزموه حتما مقضيا على ما أجمع الملأ الأفخم، والجمع الأعظم عليه، وانقادوا طائعين متبرعين مغتبطين مرتبطين به .. وبايعوا الخليفة الامام أمير المؤمنين على ما بايعه عليه الجمع الأعظم بيعة رضوان..".[3]

والجدير بالذّكر أنّ البيعة لولي العهد، كانت تتّجه نحو ترسيخها في الأبناء، مما أجبر المعرفي على التّسليم وتقبل الواقع،[4] كلُّ ذلك لأجل تحقيق الغاية من البيعة، وهو الحفاظ على جماعة المسلمين ودرء الفتنة، والحرص على طاعة ولي الأمر، وتجنُّب عصيانه، بِغض النّظر عن عدله أو جُوره، بناء على الحديث الذي رواه حذيفة بن اليمان إذ أوصاه الرّسول صلى الله عليه وسلم بلزوم جماعة المسلمين وإمامهم عند حدوث الفتن.[5]

حاول المعرفي التّأثير في السياسة العملية، وسعى إلى إثبات معرفته بها، حتَّى لا يظهر بعيدا عنها، فيتقلّص نفوذه داخل الدّولة، وظلّ رافعًا شعاره الأساسي، على أنّه الوحيد الشّاهد على مدى شرعية الحكم،[6] وكانت البيعة في حياة الحاكم القائم بأمور الدولة، على أن تتم البيعة الثانية بعد وفاته، وبما أنّ المصلحة تقتضي طاعة السُّلطان، فقد كان للفقهاء والعلماء دور بارز فيها، كونهم الفئة التي يثقُ فيها المجتَمَع الأندَلُسي، معتبرًا إيّاها القائمة على الشّريعة الاسلامية والمدافعة عنها.

---

[1] عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص282

[2] ابن عذارى المراكشي، المصدر السّابق، قسم الموحدين، ص78، شقيق محمّد، المرجع السّابق، ص15.

[3] بن شريفة محمد، **ابن مغاور الشاطبي – حياته وأثاره**، در وتح: محمد بن شريفة، ط1، د ط، 1994م، ص134، 138، انظر الملحق رقم 5.

[4] بولطيف، فقهاء المالكية، ص 368

[5] البخاري، صحيح البخاري، ص1753

[6] أومليل علي، **السُّلطة الثقافية والسُّلطة السياسية**، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1996م، 131

2.1- تولي الخطّط السياسية: نذكر منها:

- خطة الحسبة:

هي وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الّذي هو فرض عين على القائم بأمور المسلمين، يُعيّن لذلك من يراه أهلا له، فيتعيّن فرضه عليه، ويتخذ الأعوان على ذلك، ويبحث عن المنكرات، ويُعزّر ويُؤدب على قدرها، ويحمل النّاس على المصالح العامة في المدينة[1]، فهي إلزام الحقوق والمعونة على استيفائها.[2]

وأكّد القُرطبي أنّ الحسبة من واجب أولي الأمر، في قوله " إنّ الأمر بالمعروف لا يليق بكلّ أحد، وإنّما يقوم به السُّلطان، إذ كانت إقامة الحدود إليه، والتّعزير موكل إلى رأيّه، والحبس والإطلاق له، والنّفي والتغريب، فيُنصب في كل بلدة رجلا صالحًا قويًا أمينًا، ويأمر بذلك، ويُمضي الحدود على وجهها من غير زيادة،[3] قال الله تعالى { الّذِينَ إن مكّنّاهم في الأرض أقاموا الصّلاة وآتوُا الزّكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور (41)}،[4] وقال أيضا {والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون (81)}،[5] وقال تعالى { ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر (104)}،[6] وهذا دليل على وجوبها على ذوي السُّلطان، وأصبحت فرض عين عليهم، لأنهم أقدر من غيرهم، وعليهم من الوجوب بحكم ولايتهم (الاستطاعة والقدرة) ما ليس على غيرهم،[7]

والمحتسب صاحب سلطة رسمية على غيره، يلجأ النّاس إليه، وعليه البحث عن المنكرات، والاستعانة بالأعوان، يجتهد في أحكامه حسب العرف وليس حسب الشرع، وله مرتب، وله سلطة العقوبة على أصحاب

---

[1] ابن خلدون، العبر، ج1، صص 280، 281

[2] محمد بن محمد بن أحمد القرشي، **معالم القربة في أحكام الحسبة**، تح: محمد محمود شعبان وصديق أحمد عيسى المطيعي، ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1976م، ص54

[3] القرطبي، المصدر السّابق، ج5، ص 73

[4] سورة الحج، الآية 41

[5] سورة التوبة، الآية 81

[6] سورة آل عمرن، الآية 104

[7] عبد الخالق فريد، **الحسبة في الإسلام على ذوي الجاه السلطان**، ط1، دار الشروق، القاهرة، مصر، 2011م، ص76

المنكر،[1] ويجب على المحتسب القائم على خطة الحسبة، أن يكون فقيها وعارفا بأحكام الشريعة، ليعلم ما يأمر به، وينهى عنه، فإنّ الحسن ما حسّنه الشّرع، والقبيح ما قبّحه كذلك، ولا مدخل للعقول في معرفة المعروف والمنكر إلاّ بكتاب الله عزّ وجلّ، وعليه أن يريد الثواب والأجر من هذا العمل، ومرضاة مولاه.[2]

واهتم الأندلسيون بالاحتساب، وأدخلوه في أجهزة الدولة، وهذا ما أكّده المقرّي في كتابه نفح الطّيب " وأما خُطَّةُ الاحتساب، فإنّها موضوعة عندهم في أهل العلم والفطن، وكأنّ صاحبها قاض،[3] وقد أتيحت للمحتسب حضور مجالس الأمراء والولاة، يأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، ملتزما بلين القول، والبشاشة، كما يعظهم، ويذكرهم، ما جاءت به الشريعة الاسلامية، ويأمرهم بالإحسان إلى الرعية والشفقة عليها.[4]

وتمتّعت خطة الحسبة بمكانة مرموقة عند الموحدين،[5] وقد أدرك الخلفاء أهميتها وفعاليتها في الحفاظ على النّظام العام، فألحقت بالجهاز الاداري للدّولة، وأمروا ولاة الأقاليم والقضاة أن يسندوها لمن يستحقها، ويرضون دينه وأمانته، ويتحققون ثقته وصيانته.[6]

والملاحظ أنّ خطّة الحسبة وسيطة بين خطّة القضاء وخطّة المظالم، لاشتراكها وتجاذبها معهما في عدّة أمور، فهي تجمع بين نظر شرعي وزجرٍ سُلطانين موقوفة على هيئة متوليها، ومدى صرامته وحزمه في ضمان حقوق الأفراد.[7]

– خطة القضاء:

القضاء فريضة محكَّمة، وسُنَّة متَّبعة، وهو من الوظائف المدرجة في الجانب السياسي، مهمته الفصل

---

[1] أحمد صبحي منصور، **الحسبة دراسة أصولية تاريخية**، ط1، مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية، 1995م، ص 19

[2] عبد الرحمان نصر الشيرزي، **نهاية الرتبة في طلب الحسبة**، إش: مصطفى محمود زيادة، مطبعة الجنة للتأليف والنشر والترجمة، القاهرة، 1946م، ص 6، 7

[3] المقري، نفح، ج1، 218

[4] الشيرزي، المصدر السّابق، ص 115

[5] بولطيف، فقهاء المالكية، ص 269

[6] عزاوي، المرجع السّابق، ص67

[7] السّقطي، المصدر السّابق، ص2

بين في الخصومات والنزاعات القائمة، حسمًا للتّداعي، وقطعا للتّنازع، بناء على الكتاب والسنة الشريفة،[1] أو هو الدخول بين الخالق والخلق ليُؤدي فيهم أوامره وأحكامه، ويمنع نواهيه، اقتداء بالكتاب والسنة،[2] لذا عُدّ من أعظم الخطط قدرا عند الخاصة والعامة، لتعلقها بأمور الدين،[3] وأعلاها ذكرا، وأجلها خطرا، عند أهل المغرب والأندلس،[4] يعيش تحت لوائها آمنا كل من الغني والفقير، والكبير والصّغير، والمرأة والرّجل، والقوي والضعيف، والمسلم والكتابي.[5]

وعلى هذا الأساس، رأى الحكام أنَّ القضاء لا يصلح له، إلاّ أهل البيوتات الشريفة المعروفون بالعدالة والفهم الثاقب، والعقل الرّاجح، والعلم الغزير البارع، وأن يكون عالما باختلاف العلماء، وما مضى عليه عمل السّلف الصالح، وقورا، معروفا بالزُّهد، نزيهًا عما في أيدي النّاس، قليل الحاجة إليهم،[6] ومن واجبه أن يُشرّف منزلة القاضي، ويُقوي سُلطانه، ويُنفذّ حُكمه في نفسه وولده وأهله، وفي جميع أهل مملكته، اقتداء بالخلفاء، والسلف الصالح، لأنّ سلطانه من سلطانهم.[7]

أولى الحكام الموحدون أهمية كبيرة للقضاء منذ البداية، وجعلوا منه قاعدة أساسية في بناء الدولة، وتنظيم المجتمع، فكان عبد المومن بن علي، يختار ويُعيّن كبار العلماء في هذا المنصب المعروفين بالورع والتقوى، وإقامة العدل، ومحاربة الظلم، دون مراعاة للعصبية القبلية عكس الوزارة والجيش، واتّضح ذلك من خلال الرّسائل الّتي بعث بها إلى الأمراء والولاة سواء بالمغرب أو الأندلس.

وممّن تولي منصب القضاء، نذكر الفقيه أبو محمد أحمد بن علي (ت547هـ/ 1152م)، قضاء

---

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 275، محمد بن محمد بن عرنوس، **تاريخ القضاء في الاسلام**، المطبعة المصرية الأهلية الحديثة، القاهرة، دت، ص10

[2] الونشريسي، كتاب الولايات، ص38

[3] المقري، نفح، ج1، ص217

[4] الونشريسي، المصدر السابق، ص38، بولطيف، المرجع السّابق، ص239

[5] مصطفى الشّكعة، **المغرب والأندلس، آفاق إسلامية وحضارة إنسانية ومباحث أدبية**، ط1، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1978م، ص67

[6] أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي الأندلسي (ت 474هـ/ 1081م)، **فصول الأحكام وبيان ما مضى عليه العمل عند الفقهاء والحكام**، تح: محمد أبو الأجفان، ط1، دار بن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2002م، ص 112، 113

[7] الباجي، المصدر السّابق، ص108

بلنسية مرتين، لمدة 15 سنة، فكان سيرته حميدة، ومرضي الطريقة،[1] و تولى أبي العباس أحمد بن محمد (ت 554هـ/ 1159م) المعروف بابن الحلال، قضاء أوريولة، واستُعفي منه، تم عيّنه الأمير محمد بن سعد، لقضاء مرسية، فاشتهرت سيرته، وارتقى، وارتفعت منزلته، ولقب بقاضي قضاة الشرق،[2] وعيّن الأمير أبو محمد بن عيّاض الفقيه أبا القاسم خلف بن محمد (ت557هـ/ 1162م) قضاء مرسية، ثمّ نقل إلى موطنه أوريولة ليتولى قضاءها مرتين ولمدة طويلة، الأولى سنة 540هـ،، والثانية بعد وفاة ابن الحلال، وقد حُمدت سيرته أثناء توليه لهذا المنصب، ووُصف بالقاضي العادل، والصارم في أحكامه، مهيبا ووقورا، ويرجع ذلك إلى اتّصافه باليقظة والتّحفظ، والورع والتّقوى.[3]

و وُليَّ أبا بكر يحي بن محمد (ت567هـ/ 1171م) قضاء أندة من كور بلنسية، وقضاء ألش من كور مرسية، فحُمدت سيرته،[4] و وُليّ أبا القاسم أحمد بن محمد (ت 588هـ/ 1192م) قضاء إشبيلية مرتين، وكان حسن السّيرة في أحكامه، شديد البأس على أهل الشّر والدّعارة،[5] واستقضي أبا جعفر بن أحمد بن عبد الغفور (ت 590هـ/ 1194م)، في غير موضع من جهات شاطبة،[6] ووُليّ أبا العباس أحمد بن أحمد (ت605هـ/ 1208م) قضاء بعض الكور من شريس، من طرف القاضي أبا حفص بن عمر،[7] ووُليّ أبا القاسم أحمد بن عبد الودود (ت608هـ/ 1211م)، قضاء المنكب،[8] وتولى الفقيه أبا بكر يحي بن محمد بن عبد الجبار (ت590هـ/ 1194م) قضاء مالقة، وكان جزلاً في أحكامه.[9]

وحوت كُتب الطّبقات والتّراجم الكثير من أسماء الفقهاء الّذين تولّوا منصب القضاء عهد الموحدين، من بينهم ابن رشد الحفيد (ت595م/ 1198م)، إذ تولى قضاء اشبيلية ستة 565هـ/ 1169م،[10] ثمّ

---

[1] ابن الأبار، التّكملة، ج1، ص53

[2] نفسه، ص60

[3] ابن الأبار، التّكملة، ج1، ص247

[4] نفسه، ج4، ص175

[5] نفسه، ج1، ص 78

[6] نفسه، ص79

[7] نفسه، ص 87

[8] نفسه، ص88

[9] ابن الأبار، المصدر السّابق، ج4، 184

[10] عمر فروخ، المرجع السّابق، ص647

قضاء قرطبة بعد محمد بن مغيث، فكان عدلا في أحكامه، فحُمدت سيرته، ونال به وجاهة عند الحكام، ومكانة محترمة بين سكان الأندلس، وأهل قرطبة خاصةً،[1] وتولَّى أبو العباس يحي بن عبد الرحمان (ت598هـ / 1201م) قضاء مدن، جيان ومرسية وغرناطة وقرطبة، وعُرف بالجزالة والعدالة، والايثار بالحق والصدع فيه،[2] ووُليّ أبا العباس أحمد بن محمد (ت616هـ/ 1219م)، القضاء بجهات عدة من مرسية، ثم وُلي قضاء دانية مرتين،[3] ووُليّ الفقيه أبو عبد الله ابن المناصف (ت 620هـ/ 1223م) قضاء بلنسية ثمّ مرسية، " وكان ذا سيرة عادلة، وأبهة وشارة جميلة، جامد اليد، صلبا في الحق، وكانت فيه حدّة مفرطة، وغلظة في تأديته"،[4] وتولى أبو سليمان داوود الآندي (ت621/ 1224م) قضاء مدن أندلسية مثل ألمرية والجزيرة الخضراء، وبلنسية أواخر سنة 608هـ/ 1211م، و في سنة 611هـ/ 1214م تولى قضاء مالقة غاية وفاته، وعرف بالنزاهة والتواضع والعدل، فشكرت أحواله، " وكان إذا حضر خصوم، ظهر منه التواضع، ووطأة الأكناف، وتبيين المراشد، والصبر على المداراة والملاطفة، وتحبيب الحق، وتكريه الباطل ..، وقد أوجبت الأحكام عنده الحدود على رجل، فهاله الأمر، وذرفت عيناه "،[5] وتولى أبو بكر يحي بن أحمد (ت627هـ/ 1232م) القضاء لمدة طويلة بالجزيرة الخضراء، وشريس، وجيان.[6]

والجدير بالذّكر أنّ السياسي استعان بالفقهاء الأكفاء، والمنحدرين من أسر عريقة، توارثت العلم أبًا عن جد، وهي سياسة رشيدة وحكيمة لتحقيق العدالة، وتطبيق تعاليم الاسلام، وقد أُعطيت لهم صلاحيات واسعة، ومُنحت لهم رتبة عالية في الدّولة، فهم يستمدون سلطتهم من الدّولة نفسها، ممّا جعل الفقيه يُقبل على هذا المنصب معتبرا إياها من أفضل أعمال البرّ، وأعلى درجات الأجر، امتثالا لقوله تعالى { سمَّاعُون للكذب أكَّالُون للسحت، فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئا، وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط، إنّ الله يحب المقسطين (41)}،[7] ولا شك أنّ تولي الفقيه للقضاء ونفاذ

[1] ابن الأبار، المصدر السّابق ج2، ص74، ابن عبد الملك، المصدر السّابق، المجلّد 4، ص26

[2] ابن الأبار، المصدر السّابق، ج4، ص185

[3] نفسه، ص93

[4] نفسه، ج2، ص121

[5] ابن الخطيب، الاحاطة، ج1، ص 503 -506

[6] ابن الأبار، المصدر السّابق، ج4، ص190

[7] سورة المائدة، الآية 41

حكمه أدى إلى انتشار العدل والقيم الحميدة، ومشورة الأمراء والولاة لهم، والرجوع إليهم.

– خطّة الشُّورَى:

رأى السياسي أنَّ المشاورة فرض وواجب، وحق لازم للمَلك الّذي يستعين به العقول، وهي أعظم المراتب، وأولى الأحوال بأن يجعل لها الآراء القوية والنابهة، ويستعان فيها بالأذهان العارفة النّابهة، وكثيرا ما لجأ الحاكم إلى أهل المعرفة لأجل توطيد ملكه وتحصينه، ومعالجة ما يخطر عليه من أراء.[1]

وجعل الموحدين من خطّة الشُّورى منصبًا هامًا في جهاز الدّولة، ومنحوه لمن له دراية ومعرفة تامّة بالفقه، نذكر على سبيل المثال الفقيه أبو محمد عاشر بن محمد (ت567هـ/ 1171م) الّذي نال حظوة وجاه عند أبو زكرياء بن غانية في شرق الأندلس، فولاّه هذا المنصب،[2] وتولى أبو العبّاس أحمد بن خليل السّكوني (ت581 هـ/ 1185م) الّذي ينحدر من بيت الشّورى هذا المنصب، وقد وصفه أبوبكر ابن الجّد بالمشاور في المراسلات الّتي تقع بينهما، وشهد له أنّه أهل لها.[3]

وعموما، وبحكم تولي المعرفي – الفقيه السياسي – للمناصب السياسية، لا يجد حجةً غير استناده على المفاهيم السُّلطانية، الّتي تُوجب طاعة السُّلطان، اعتبارا لما ينطوي عليه عمله، من تداخل المضرة والمنفعة، وهكذا كل جسيم من أمور الدنيا، يكون ضرره خاصًا ونفعه عامًا، فهو نعمة، وأصبح عمله يواكب التنظير للواقع السياسي، قصد استيعابه وتوجيهه، فهو موقف سياسي يحكمه منطق الضرورة، وفكرة المقاصد، وميزان الترجيح بين المصالح والمفاسد[4]، كما تبيّن أنّ صاحب السُّلطة المعرفية كرّس وجوده السياسي باسم رقابة الشّريعة الاسلامية على الحاكم،[5] فتولى المناصب السياسية والادارية كالقضاء والشُّورى والحسبة ، والّتي لم يطلبها، ورافِضًا لها، بل فُرضت عليه في معظمها بعد إلحاح الحاكم عليه.

---

[1] الثعالبي، المصدر السّابق، صص 47، 48

[2] ابن الأبّار، المصدر السّابق، ج4، صص 44، 45

[3] ابن عبد الملك، المصدر السّابق، المجلّد 1، ص299

[4] هشام المتوكل، **الفقيه والسُّلطان وفق الاصول النظرية السنية**، مجلة الحضارة الاسلامية، المجلد 20، العدد الأول، ماي 2019م، صص 330، 331

[5] أومليل، المرجع السّابق، ص23

2- الجانب العسكري:

تنفيذًا لأحكامِ الشريعةِ الاسلامية، لم تتخلّ السُّلطة المعرفية عن مسؤوليتها الأساسية، ومن بينها حثّ الأفراد على الجهاد، وتعبئة النّفوس، وتوحيد الصفوف، باعتبار الأندلس منطقة ثغور، وظلّ دعم المعرفي للسياسي مستمرا في فترة الموحدين، والوقوف بجانبه، لأجل حماية دار المسلمين والدّفاع عنها، فكانت الرّابطة الدّينية – الجهاد – أقوى.

1.2- الدّعوة إلى الجهاد:

الأندلس متاخمة للنّصارى، فهي دار جهاد، مما فرضَ على الحاكم الموحدي التَّحَالف والاتّحاد مع المعرفي والاعتماد عليه، متجاوزين الخلافات بينهما، وفي هذا السيّاق لا يوجد شيء أكبر من دعم الحاكم وتأييده ومؤازرته، والتّخلي عن ملذّات الدُّنيا، لأجل إقامة الدّين ونُصرته، لقوله تعالى { ..وتعاونوا على البرّ والتّقوى ولا تعاونوا على الإثمِ والعُدوانِ واتّقُوا الله إنّ اللهَ شديدُ العقابِ (6)}،[1] ولقوله أيضا{ إنّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموَالَهُم بأنّ لهم الجنّة يُقَاتِلُونَ في سَبِيلِ الله فيَقتُلون ويُقتلونَ وَعدًا عليه حَقًّ في التَّوراةِ والإنجِيلِ والقُرآن ومَن أَوفَى بِعَهدِهِ مِنَ اللهِ فَاستَبشِرُوا بِبَيعِكُم الّذي بَايَعتُم بَهِ وَذَلِكَ هُوَ الفَوزُ العَظِيمُ (111)}[2]

- الخطب:

نقلت الكثير من المصادر خطبًا مؤثّرةً، قبل وأثناء المعارك الّتي خاضها المسلمون مع الممالك النّصرانية، فكانت مزيجًا بين اللّسان العربي والبربري، وعادةً ما يُلقيها شيخ فصيح زاهد ورع،[3] وارتأيت أن أذكر نماذج لذلك، وفي موقعة السبيكة سنة (557هـ/ 1162م)، الّتي دارت بين الجيش الموحدي والنّصارى المتحالفين مع ابن مردنيش، قام الشيخ الفقيه أبو يعقوب القادم من مالقة، بجمع المحاربين ووعظهم، وذكّرهم بما لهم من الأجر والثّواب عند الله تعالى في جهاد الكفار، وأنّ لهم الجنّة إذا صدقوا، ووفوا بما بايعوا ونطقوا به، فكانت هذه الخطبة بليغة، فجدّدوا النيّة في الجهاد.[4]

---

[1] سورة المائدة، الآية 6

[2] سورة التوبة ،الآية 111

[3] توفيق مزاري التّنظيمات العسكرية، المرجع السّابق، ص122

[4] ابن أبي زرع، المصدر السّابق، ص 131، 133

وفي سنة 566هـ/ 1170هـ، وأثناء عبور الخليفة أبو يعقوب يوسف إلى الجزيرة الخضراء لغرض الجهاد، دعا الفيلسوف أبو بكر بن طفيل العرب للجهاد والغزو مع الخليفة، واصفًا إيّاهُم بالشّجاعة والشّهامة والزّعامة، وأنّهم السّيف الماضي في نصرة الدّين وحمايته،[1] واستطاع التأثير فيهم، فانظموا إلى الجيش الموحدي، وحملوا راية الجهاد.

ويجب أن نُنوّه بدور الشُّعراء في هذا الباب، إذ كثيرًا ما كانُوا يكتُبُون أشعارًا الهدف منها التّحريض على الجهاد، وتحفيز النُّفوس لذلك، كالشّاعر أبو جعفر أحمد بن عبد الرّحمان (ت574هـ/ 1178م) الّذي مدح الخليفة أبو يعقوب يوسف بقصيدة طويلةٍ، ويصِفُ فيها حال الأندلس، ويبعثُ فيها على الجِهادِ:

ويَغزُو أبُو يعقوبَ في شنت ياقبٍ يُعيدُ عَميدَ الكَافرِينَ عميدا
ويُلقي على إفرنجِهِم عبءَ كلكلٍ فيَترُكُهُم فوقَ الصَّعيدِ هُجُودا
يُغادرهم جرحًا وقتلاً مبرّحًا رُكُوعًا على وجه الفلا وسُجُودا
ويَفتَكُّ من أَيدي الطُّغاةِ نواعمًا تبدّلنَ من نَظمِ الحجُولِ قُيُودا[2]

ولما كانت موقعة وبذة سنة 567هـ/1171م، اصطحب الخليفة أبو يعقوب يوسف (ت580هـ/ 1184م) معه كبار فقهاء الأندلس، منهم أبو بكر ابن الجد، وأبو محمد المالقي، والقضاة مثل أبي محمّد ابن الصفار، وأبي موسى عيسى بن عمران، وابن رُشد الحفيد، لأجل تعبئة النُّفُوس، وتثبيت الصُّفُوف، ورفع معنويات المحاربين.[3]

وتذكر المصادر أنّ الخليفة أبو يوسف يعقوب (ت 595هـ/ 1198م)، بات اللّيلة الّتي سبقت موقعة الأرك[4] سنة 591هـ/ 1195م، ساجدًا راكعًا متبتلاً، يدعُو ربَّه، ويرجُو النُّصرةَ، وبينما هو على تلك الحال، حتَّى غلبته نفسه فنام، فرأى رؤية أثلجت صدره، وأفرحته كثيرًا، مفادها " بينما أنا راكع في مصلاي، إذ

[1] ابن صاحب الصلاة، المصدر السّابق، ص324، عبد الباقي السيد، دراسات أندلسية، ص146
[2] ابن عبد الملك، المصدر السّابق، المجلّد 1، 380
[3] ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص405
[4] هي حصن منيع بمقربة من قلعة رياح، أول حصون أذفونش بالأندلس، وهناك كانت وقيعة الأرك على صاحب قشتالة، وجموع النصارى على يد المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي ملك المغرب في سنة إحدى وتسعين وخمسمائة، انظر: الحميري، المصدر السّابق، ص27

غلبتني عيناي، فرأيت في نومي، كأنّ بابا قد فُتح من السماء، ونزل منه فارس على فرس أبيض، حسن الوجه والرائحة، وبيده راية خضراء منشورة، قد سدت الأفق من عظمها، فسلّم علي، فقلت له: من أنت يرحمك الله؟، فقال: أنا ملك من ملائكة السّماء السّابعة، جئت لأبشرك بالفتح من ربّ العالمين لك ولعصابتك المجاهدين الذين أتوا تحت رايتك في الشّهادة راغبين، ولثواب الله تعالى طالبين "، فنادى في الفقهاء وأشياخ الموحدين فأتوه، وقص له الرؤية، وأمرهم باذاعة ونشر الخبر في صفوف المحاربين، فارتفعت معنوياتهم، وقويت شوكتهم، فازدادوا شوقًا للشّهادة. [1]

وفي نفس السيّاق — معركة الأرك – واصلت أسرة ابن رشد دعمها للسُّلطة السياسيّة، حيث قام ابن رشد الحفيد (ت595هـ/1198م) بإلقاء خطبة شهيرة بالجامع الكبير بقرطبة، يدعو فيها النّاس لمواجهة حملة ألفونسو الثّامن ملك قشتالة، ويحرضُّهم على الجهاد في سبيل الله، مبيّنًا فضله من كتاب الله تعالى والسُنّة النّبوية، وعلى إثرها تمكّن من التأثير في نفوس النّاس، وجنّد الكثير منهم في الجيش الموحدي لمواجهة النّصارى،[2] وهذا ما أكّده أبو القاسم بنُ الطيلسان[3] في قوله " سمعت كلامه بالمسجد الجامع من قرطبة، وهو يحض النّاس على الجهاد والغزو في سبيل الله، ويُورد ما جاء في فضله من كتاب الله تعالى وسنة رسوله، بلسان طلق وإيراد مستحسن "، وأردف قائلا " وخرجنا معه يوم ورود الخبر بهزيمة الروم على حصن الأركة صحبة علامات الطاغية أذفونش، فلما اجتمعنا مع الواصلين به، وشاهدنا عندهم علامات العُداة منكوسة، سجد القاضي شكرًا، وسجدنا جميعنا عند سجوده شكرًا لله تعالى".[4]

وبعيدًا عن مسرح المعركة (الأرك)، ظلّ المتصوّف محي الدّين ابن عربي (ت638هـ/1240م) المتواجد بفاس، يشحذُ الهمم ويستعطف العامّة لتأيّيد الخليفة المنصور في جهاده، ولما سُئِلَ عن نتيجة المعركة، أجاب بكلّ يقين وثقة بأنّ النّصر سيكون حليف المسلمين، فالثّقة بالله تعالى وقوة البلاغة كان لها الأثر في تقوية الحماس وزيادة الدعم للموحدين، ولما تحقّق النّصر للمسلمين، احتفل الخليفة المنصور، واستدعى

[1] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 224، 225

[2] عبد الباقي السيد، دراسات أندلسية، ص326

[3] هو القاسم بن محمد بن أحمد بن سليمان الأوسي الأنصاري، تصدر للإقراء والاسماع، وكانت معرفته للقراءات والعربية، متقدما في صناعة الحديث معنيا بروايته وتقييده، ضابطا متقنا، مشاركا في فنون، التنبكتي، المصدر السّابق، ص 361، ابن عبد الملك، المصدر السّابق، المجلّد 4، ص25

[4] نفسه، ص24

ابن عربي للحضور بالأندلس.[1]

ولما التقى الجمعان في موقعة الأرك، و في أرض المعركة، تقدّم الوزير أبي يحي بن أبي محمّد، وألقى خطبة نيابة عن الخليفة الموحدي، ليتقدم بعده القاضي أبو علي بن حجاج، وخطب الجميع بخطبة بليغة في التّحريض على الجهاد وفضله، وأطال الكلام في ذلك، منبّها على مكانه وقدره، فما افترق المستمعون حتَّى خلُصت لله ضمائرهم وسرائرهم، وتنوّرت بصائرهم، وقويّت أنفسهم وعزائمهم، وازدادت نجدتهم وإقدامهم، ليأمرهم الوزير بحمل الأسلحة، والاستعداد لملاقاة العدو، فكانوا رهن إشارته،[2] فانتصر المسلمون في المعركة، والّتي ناهزت موقعة الزّلاقة.

وربط أهل المعرفة الانتصار في المعركة بالأحداث الاسلامية السّابقة، مثل ما فعل الشّاعر أبو العباس الجراوي الّذي شبّهَ هزيمة الصّليبيين في معركة الأرك بهزيمة الكفار في معركة بدر، واعتبر كلاهما انتصار للإسلام،[3] إذ قال:

لقد أورد الأدفونش شيعته الردى وساقهم جَهلاً إلى البَطشةِ الكُبرِى
حكى فعل إبليس بأصحابه الألى تبرّأَ منهم حينَ أوردهم بَدرا[4]

ولا شّك أنّ هذه الخطب المؤثّرة، قد ساهمت بدور فعّال في شحذ الهمم، ورفع حماس الجند قبل وأثناء المعارك، والّتي نتج عنها الانتصار، ورفع راية الاسلام، وكسر شوكة النّصارى.

– التّأليف:

لم يقتصر دعم المعرفي للحاكم على الخطب فقط في ما يخص الجهاد، بل تعدّاه ليشمل التأليف. – **كتاب الجهاد:** ألّفه الخليفة أبو يعقوب يوسف، وألحقه بكتاب أعز ما يُطلب لابن تومرت،[5] والَّذي يحتوي

[1] عبد الباقي السيّد، الظاهرية والمالكية، ص98

[2] ابن عذارى، المصدر السّابق، قسم الموحدين، ص219

[3] شفيق محمد عبد الرحمن الرقب، **شعر الجهاد في عصر الموحدين**، نشر وتوزيع مكتبة الأقصى، عمان، الأردن، 1984م، ص60

[4] ابن عذارى، المصدر السّابق، قسم الموحدين، ص222.

[5] خالد بن ناصر بن سعيد آل حسين العبدلي الغامدي، **الصراع العقائدي في الأندلس خلال ثمانية قرون بين المسلمين والنّصارى**، ط1، مكتبة الكوثر للنشر والتوزيع، المملكة العربية السّعودية، 1429هـ/ 2008م، ص 540

على أحاديث كثيرة، كلها تتناول فضل الجهاد في سبيل الله، ومحاسنه، وبذل المال في ذلك.[1]

– **كتاب الغزوات**: أمر الخليفة الموحدي أبو يعقوب يوسف الفقيه ابن حبيش أبو القاسم عبد الرحمان (ت 584هـ/ 1188م) بالتأليف في الجهاد، فصنّف كتابه " الغزوات الضامنة الكاملة والفتوح الجامعة الحافلة الكائنة في أيام الخلفاء الأول الثلاثة "،[2] والّذي ضمّنه غزوات الخلفاء الراشدين الثّلاث الأوائل، لأجل بعث الهمم وتقوية العزائم في صفوف المجاهدين، والاقتداء بسيرتهم،[3] وعسى أن يتذكر المسلمون ماضيهم فيُنقذون حاضرهم.

– **التّرغيب في الجهاد**: وهو مصنّف ألّفه أبو عبد الله التّجيبي (ت610هـ/ 1211م) الّذي ضمّنه خمسين بابا في مجلد واحد.[4]

– **الانجاد في الجهاد**: ألّفه القاضي أبو عبد الله محمّد بن عيسى– ابن المناصف– (620هـ/ 1223م)،[5] ليشد به أزر المجاهدين ويُعلمهم أحكام الجهاد والرّباط في سبيل الله،[6] وأشاد به معاصروه، باعتباره كتاب مفيد تضمّن فقه الجهاد، دوّنه صاحبه عندما كان قاضيًا على بلنسية، بطلب من أميرها محمّد بن عمر بن عبد المؤمن الّذي كان واليًا أيّام الخليفة النّاصر.[7]

– **كتاب الجهاد**: صنّفَه الصُّوفي محي الدّين ابن عربي (ت638هـ/ 1240م) حثّ فيه النّاس على الجهاد، والتّطوع في صفوف الجيش الموحدي، لأجل مواجهة الممالك النّصرانية، واستطاع من خلال مؤلفه التّأثير على أتباعه من الصّوفية وغيرهم.[8]

– وفي نفس السيّاق، أدرك أهل المعرفة أنّ الخيل إحدى العناصر الهامة في الجيش الاسلامي، فكانت الحاجة

---

[1] عنان، المرجع السّابق، العصر الثالث، القسم الأوّل، ص 137

[2] أبي القاسم عبد الرحمان بن محمد بن حبيش (ت 584هـ/ 1188م)، **كتاب الغزوات**، تح: أحمد غنيم، ط1، مطبعة حسّان، القاهرة، 1983م، ص1

[3] الغامدي، المرجع السّابق، ص540

[4] نفسه، ص543

[5] ابن عبد الملك، المصدر السّابق، المجلد 5، ص242، ابن الأبار، التكملة، ج2، ص120، الغلبزوري، المدرسة الظاهرية، ص 179، عبد الباقي السيّد، دراسات أندلسية، ص 146

[6] الغامدي، المرجع السّابق، ص543

[7] بولطيف، فقهاء المالكية، ص 226

[8] عبد الباقي السيّد، الظاهرية والمالكية، صص98، 99

ملحة عليها، وشعر البعض منهم أنّ التّأليف عنها، يُعتبر من المعارف الّتي ينبغي الاهتمام بها، فألّف أبو بكر المرخي (ت615هـ/ 1218م) مصنّفه سمّاه " **بُغية المرتبط ودُرّة الملتقط** ".[1]

وبناء على ما سبق ذكره، يتّضح أنّ العلم سلاح ماضٍ في المعركة، والمعرفي قائم عليه بذاته، ومُعتنٍ به، يُلهبُ به الحماس، ويشحذُ به السّلاح، كما بيّن مدى التّوافق والتّلاحم القائم بين المعرفي والسياسي في الدّعوة إلى الجهاد، يرجع بالأساس إلى الرّابط الدّيني، بدء من بعض الحكام الّذين اجتمعت فيهم السُّلطتين المعرفية والسياسيّة، وكذا تجاوب المعرفي وتفاعله مع السياسي، للعمل وفق هدف مشترك متمثّل في الدّفاع عن دار الاسلام والذّود عنها، وكثيرا ما تُوجت الرؤية الموحدة بتحقيق الهدف.

2.2- المشاركة في المعارك ونيل الشهادة:

لبَّى أهل المعرفة نداء الجهاد في فترة الموحدين، ولم يتأخّروا عن ذلك، وسار كلّ منهم على نفس النّهج الّذي اتّبعه في عهد المرابطين وممن سبقهم بالأندلس، وواصل المشاركة في المعارك، فهو يتحمل المسؤولية مع الحاكم ويقتسمها معه، بل يشترك معه في الرئاسة، كما كان عليه الأمر عند كثير من ملوك الاسلام.[2]

وفي جمادى 542هـ، تمكّن النّصارى من دخول مدينة ألمرية، واقتحموها بالقوّة، بعد مقاومة شديدة من سكانها، واستشهد فيها الكثير، من بينهم الامام الرشاطي أبُو محمد عبد الله بن علي،[3] واستشهد الفقيه أبي عمر بن أحمد بن عبد الملك في 11شعبان 549هـ، بمدينة لبلة، أثناء دخول النصارى للمدينة، والتغلب عليها، رغم استماتة سكانها في الدّفاع عنها،[4] وفي غزوة شنترين سنة 580هـ/ 1184م، التي شارك فيها أبو المكارم هبة الله بن الحسين المصري (ت586هـ/ 1184م)، والقاضي أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد عبد الرّحمان المالكي، وابن زهر، وابن طفيل، والقاضي أبو الحسن المالكي علي بن عبد الله بن عبد الرحمان.[5]

و في موقعة العقاب سنة 609هـ/1212م، الّتي تعدّ بداية النّهاية للموحدين بالأندلس، استشهد

---

[1] محمّد بن إبراهيم، المرجع السّابق، ص 255، 256

[2] بولطيف، فقهاء المالكية، ص224

[3] المقري، نفح، ج4، ص462

[4] ابن الأبار، التكملة، ج1، ص55

[5] عبد الباقي السيّد، دراسات أندلسية، ص147

فيها الآلاف من خيرة المحاربين المسلمين، والعشرات من أمجاد البربر،[1] والكثير من أهل المعرفة، كالفقيه القاضي إسحاق بن إبراهيم بن يغمور الفاسي[2]، وأبو عمر بن عات[3]، والصوفي أيُّوب بن عبد الله بن أحمد،[4] والمتصوف أبا عمر أحمد بن هارون،[5] والمجاهد الزّاهد أبو الصبر أيوب بن عبد الله،[6] وأبو عبد الله محمد بن إبراهيم الحضرمي،[7] محمّد بن حسن بن محمّد بن يوسف بن خلف الأنصاري الملقب بابن صاحب الصلاة،[8] والمحدّث أبو عبد الله محمّد بن حمّاد العجلاني[9]

واشتهر المحدّث أبو عبد الله محمد بن عبد النور بالمعرفة والعناية بالرّواية، وكثيرًا ما كان يحضر الغزوات، ويُبلي فيها البلاء الحسن، آخرها كائنة قصر أبي دانس غرب الأندلس سنة 614هـ/ 1217م، الّتي استشهد فيها.[10]

وظلَّ المحدّث أبو الرّبيع سليمان بن سالم الكلاّعي يحضر الغزوات، ويباشر القتال بنفسه، ويُبلي في المعارك بلاء حسنا، وشارك في موقعة أنيشة سنة 634هـ/ 1236م، وحرّض المسلمين على القتال، وقد اختلوا على قتال عدوهم، ورغبهم في مقاومته، ولم يزل متقدما أمام الصفوف، زحفا إلى الكفار، مقبلا على

---

[1] عبد الواحد المراكشي، وثائق، ص 150

[2] سمع بسبتة من أبي محمد بن عبيد الله الحجري، وتفقه بمرسية عند أبي عبد الله بن عبد الرحيم، و ولي قضاء فاس وسبتة، وكان بصيرا بمذهب مالك، ينظر: الذهبي، تاريخ الاسلام، ج13، ص 211، عبد الواحد المراكشي، نفس المصدر، ص 222

[3] هو أبو عمر بن عات أحمد بن هارون بن أحمد النُّقري الشاطبي الحافظ، سمع أباه العلاّمة أبا محمد وابن هُذيل، ولما حجّ سمع من السلفي، وكان عجبا في سرد المتون، ومعرفة الرجال والأدب، وكان زاهدا سلفيا متعففا، أنظر: الذهبي ، العبر، ج3، ص150، ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السّابق، المجلّد 1، ص 738

[4] الذهبي، تاريخ الاسلام، ج13، ص ص 211، 212

[5] ابن الأبار، المصدر السّابق، ج1، ص90

[6] ابن الأبار، المصدر السّابق، ج1، ص167

[7] ابن الأبّار، المصدر السّابق، ج2، ص100، الذّهبي، المصدر السّابق، ج13، ص 222

[8] هو محمد بن حسن بن محمد بن يوسف بن خلف الأنصاري، من أهل مالقة، يعرف بابن صاحب الصلاة، وبابن الحاج، ويكنى أبا عبد الله، سمع أبا عبد الله بن الفخار، وأبا محمد عبد الحق وغيرهما، انظر: ابن الأبار، المصدر السّابق، ج2، ص99

[9] ابن عبد الملك، المصدر السّابق، المجلّد 5، ص174

[10] ابن عبد الملك، المصدر السّابق، المجلّد 4، ص449، ابن الأبار، التكملة، ج2، ص108، الرّعيني، المصدر السّابق، ص18

العدو غير مدبر، ينادي على المنهزمين، قائلا: أعن الجنة تفرون؟ حتى استشهد صابرا محتسبا لله تعالى،[1] وقد رثاه ابن الأبّار مع من استشهد معه في قصيدة، جاء في مطلعها:

وعوجا عليها مأربا وحفاوة	مصارع غُصّت بالطّلى والجماجم
نحيّي وجوهًا في الجنانِ وجيهةً	بما لَقيت حمرًا وجوهَ الملاحِمِ
وأجساد إيمان كساها نجيعها	مجاسدَ من حوكِ الظّبا واللّهاذِمِ
مكرّمة حتّى عن الّدفن في الثّرى	وما يكرم الرحمن غيَر الأكارِمِ
همُ القومُ راحوا للشّهادة فاغتدوا	وما لهم في فوزهم من مقاوم
مضوا في سبيل الله قدما كأنّما	يطيرون من إقدامهم بقوادم

ربط ابن الأبّار استشهاد الكثير من المسلمين – خاصة ذوو المعرفة – بمعانٍ دينية، مستوحاة من العقيدة الاسلامية، كما صوّر الرّوح الجهادية الّتي ملأت قلوب المجاهدين، الّتي دفعت بهم إلى طلب الشّهادة في سبيل الله تعالى.[2]

والجدير بالذّكر، أن أهل المعرفة من علماء وفقهاء وغيرهم، كانوا في مقدّمة الجيش، ومداومين على الجهاد، طالبين للشّهادة، ضاربين مثالاً للتّضحية في سبيل الله، ودفاعًا عن البيضة، فاقتدت بهم العامة والجند.

3.2– حماية البيضة:

بعد موقعة حصن العقاب سنة 609هـ/ 1212م، والّتي تعدُّ بداية النّهاية للموحدين بالأندلس، أصبح الحكام عاجزين عن حماية مدنها، وكذا شعبها، فتطلّع سكان المدن إلى أهل المعرفة، للتّجمع حولهم، والأخذ برأيهم، في ظلّ غياب سلطة مركزية قوية تحميهم.

وعلى هذا النَّحو، وبعد ما سيطر عليها ابن هود، واعتقل الموحدين المتواجدين بها، وعيّن أخاه أبا النّجا الملقب بعماد الدولة واليًا عليها، لجأ سكان إشبيلية، خاصةً البُيُوتات الشّريفة الّتي لم تخضع للحاكم، وأجبرته على خروج المدينة سنة 626هـ/ 1228م، وقامت بمبايعة أبو مروان الباجي (ت 634هـ/1236م)

[1] ابن الأبار، الحلة، ج1، ص19، المقري، نفح، ج4، ص 473، 475

[2] شفيق محمد، المرجع السّابق، ص62

سنة 630هـ/ 1232م.[1]

وفي إطار عملية الاسترداد، تساقطت المدن الأندلسية واحدةً تلو الأخرى، وتمكّن النّصارى من هزم زيان بن مردنيش في موقعة حصن آنيشة في 20 ذي الحجة 634هـ، والّتي استشهد فيها كبار العلماء والفقهاء من بينهم المحدّث أبو الربيع الكلاّعي (ت634هـ/ 1236م)، وقاموا بفرض حصار على مدينة بلنسية سنة 635هـ/ 1237م، ليضطر ابن مردنيش إلى إرسال وفد من بلنسية، يقوده المحدّث والمؤرخ ابن الأبار، إلى سلطان تونس أبي زكريا يحي، لطلب النّجدة، وحماية ما تبقى من بلاد الأندلس، واستطاع ابن الأبار تأدية المهمة، وإقناع سلطان تونس،[2] الذي أنشده بقصيدة جاء في مطلعها:

أدرك بخيلك خيل الله أندلسا إنّ السّبيل إلى منجاتها درسا

وهب لها من عزيز النّصر ما التمست فلم يزل منك عز النّصر ملتمسا

وحاشا مما تعانيه حُشاشتها فطالما ذاقت البلوى صبا مسا [3]

لم يتأخّر السُّلطان في تلبية النّداء، وجهّز أسطولاً بحريًا على الفور، وأرسله إلى مدينة بلنسية، ليصطدم بقوة النّصارى، وحصانة ميناء المدينة، ليضطر إلى التّراجع من ميناء دانية، مما سهّل على النَّصارى دخولها يوم 17 صفر 636هـ/ 1238م، ويشهد المؤرّخ والمحدّث ابن الأبّار حادثة سقوطها، وبكى عليها بدمع غزير، وكتب بألم قائلا:" أين بلنسية ومغانيها، وأغاريد ورقها وأغانيها، أين حلّى رصافتها وجسرها، أين أفياؤها تُندى غضارة، وذكاؤها تبدو من خضارة، ..فأية حيلة لا حيلة في صرفها مع صرف الزمان، وهل كانت حتى بانت إلاّ رونق الحق، وبشاشة الأمان"[4].

وما يُستنتج من المثالين السّابقين، أنّه كلما اختل موضع السياسي، وتراجعت هيبته، ارتفع أهل المعرفة، وازدادت هيبتهم، فكانوا معقد الآمال للبلاد والعباد معا، فلم يبخلوا بذلك، وبذلوا قصارى جهدهم لتحقيق ذلك، بل التّضحية بأنفسهم.

---

[1] محمد بن شريفة، **أبو مروان الباجي ورحلته إلى المشرق الإسلامي (564هـ – 634هـ)**، مطبعة فضاة، المحمدية، المغرب، 2000م، ص 24، ابن عذارى، المصدر السّابق، قسم الموحدين، ص 278، 303.

[2] ابن الأبار أبو عبد الله محمّد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ت 658هـ/ 1259م)، **إعتاب الكتاب**، ط1، تح وتع: صالح الأشتر، مطبوعات مجمّع اللغة العربية، دمشق، 1961م، ص10

[3] المقري، نفح، ج3، ص 303، المقري، أزهار الرياض، ج2، ص207

[4] الحميري، المصدر السّابق، ص 100

4.2- المرابطة في الثُّغور:

الرّباط هو الاقامة في الثّغر للذّود عنه، والجهاد في سبيل الله تعالى، وقد جعل مسلمي الأندلس الأربطة قاعدة عسكرية أمامية لصدّ هجمات الممالك النّصرانية، كما استغلوها كقاعدة دينية يتعبّد فيها الناس، ويتعلّمون فيها أمور دينهم، وغالبًا ما كانت مقصدًا للزُّهاد، فالرّباط منشأة حربية دينية اختص بها المسلمون دون غيرهم، تتكون عناصرها الأساسية من سور حصين، وحجرات للمقيمين، ومخازن للأسلحة والمؤن، وأبراج للمراقبة.[1]

والأندلس متاخمة للنّصارى، وفي احتكاك مباشر ومستمر معهم، فهي دارُ جهادٍ، وموطنُ رباطٍ، فقد كانت سواحلها وثغورها تزخر بالرّباطات الكثيرة الّتي وُصفت بأنها مراكز دفاعية على شكل قلاع أو مدنا بأكملها، كما لم تكن مكانا للإيواء والكسل، أو لاستقبال المنقطعين عن العمل، بل مكان جمع بين وظائف متنوعة، أو انشغالات أملاها الوضع القائم، كالجهاد والدّين والزُّهد والتّعليم.

ومن الأربطة المتواجدة بالأندلس، نذكر منها رابطة روطة، ورباط طليطلة الّذي سيطر عليه النّصارى بعد سقوط المدينة، ورباط بطليوس، ورباط شنترين، ورباط ريحانة من عمل شلب، وظلّ أغلبها في يد الموحدين بعد دخولهم للأندلس.[2]

وكان أهل المعرفة شديدي الحماس للرّباط والجهاد على غرار الأندلسيين، وممن رابط في الثغور أبو الوليد محمد بن عمر بن المنذر الذي تملّك معارف فقهية وأدبية، الذي انزوى وتزهّد، ورابط برباط ريحانة الواقعة على ساحل البحر، وتصدق بماله.[3]

واستنتاجًا، فقد تمكّن السيّاسي من احتواء أهل المعرفة، وضمّ أغلبهم إلى صفّه، فكانوا بمثابة السنّد الّذي اعتمد عليه في إضفاء الصّبغة الرّسميّة للبيعة، وتولي مختلف الخُطّط في الدّولة، واستثمر معارفه في المجال

---

[1] محمد بركات البتيلي، **الزُّهاد والمتّصوفة في بلاد المغرب والأندلس حتى القرن 5هـ**، دار النهضة العربية، القاهرة، 1966م، ص66

[2] محمد الأمين بلغيث، **الحياة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الاسلامي، إشراف عبد الحميد حاجيات، المجلد1، قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، السنة الجامعية 2002م/ 2003م، ص145.

[3] ابن الأبّار، الحلة، ج2، ص202

العسكري، كالدّعوة إلى الجهاد والتّحريض عليه من خلال إلقاء الخطب وتأليف الكتب، إضافةً إلى حماية الأندلس، والمشاركة في المعارك، ونيل الشّهادة، مقابل ذلك جنّد المعرفي نفسه، وأراد إثبات سلطته، والتّعبير عن شخصيته، والحفاظ على المجتمع وخصائصه، والدّفاع عن الوطن ووحدته، من خلال تواجده في مختلف أجهزة الدّولة، وفرض نفوذه من الدّاخل، فانتظم تحت لواء السياسي، فاحتوى كلاهما الآخر.

ثانيا– معارضة المعرفي للسياسي:

في الوقت الّذِي ساهم فيه المعرفي في البناء السياسي بالأندلس، وتكريس وجوده في أجهزة الدولة، والّذي أدّى بالضّرورة إلى الحفاظ على وحدتهم الدّينية (المذهبية) الّتي اعتبروها جزءً هامًا من وحدتهم السياسية، ظلّ البعض الآخر مراقبًا منتقدًا للموحدين، رافضًا لحكمهم، بل يترّقب تطوّر الأوضاع لأجل إقامة نظام جديد، مستغلاً نفوذهُ الاجتماعي، وضعف سلطة السياسي في دولته القائمة، معتبرًا نفسه منقذًا ومصلحًا، كل ذلك من أجل تنفيذ طموحه، ظاهره معرفي اجتماعي، وباطنه مشروع سياسي، ومن مظاهر ذلك:

1– المعارضة السلمية:

1.1– نقد نظام الحكم:

عارض بعض أهل المعرفة تواجد الموحدين بالأندلس منذ البداية بالطريقة السلمية، من بينهم الفقيه والأديب **أبو طالب عبد الجبار** الشّقُوري الملّقب بالمتّنبي، وألّف قصيدةً غداة سُقوط دولة المرابطين، مادحًا لخُلفائها، ناقمًا على الموحدين، قائلاً:

ثُمَّ وُلِيَّ عليُ بن يُوسُفَ مُقتَديًا حُكمَ أَبيهِ يَقتَفِي
وبَعدَ ذَاكَ اللّيثِ تَاشفين غُصب ظُلمًا مُلكُهُ المكينُ
وَأتَت الفتَنُ وَالأَرزَاءُ واستَحكَمَت فِي أَهلهَا الأَهوَاءُ
واللّه بِالمرصَادِ من ورَائِهِم وهُوَ المرجَى لِدِفَاعِ دَائِهِمُ[1]

وعارض الفقيه المالكي والقاضي **أبو بكر بن العربي** (ت543هـ/ 1148م)، الّذي دعا النّاس البقاء تحت حكم المرابطين ومساندتهم، ومقاومة الموحدين، وأصدر فتوى جاءت في مؤلفه " عارضة الأحوذي في شرح سنن الترمذي "، بأنّ المرابطين قاموا بدعوة الحق، ونُصرة الدّين، وهم حُماة المسلمين المدافعين عنهم، والمجاهدون دونهم، ولو لم يكن للمرابطين فضيلة، ولا تقدم ولا وسيلة إلاّ واقعة الزلاّقة، لكان ذلك من أعظم فخرهم، وأربح تجارتهم،[2] ووصل به الأمر إلى تحريضِ النّاس على التّصدي للموحدين، وعدم السّماح لهم

[1] مجهول، الحلل الموشية، صص141، 142، ابن سعيد، المغرب، ج2، ص 371، 372
[2] مجهول، المصدر السّابق، ص 140

بدخول إشبيلية، ودفع بابنه عبد الله ليكون في صُفوفِ المدافعين عنها،[1] لكن ابن العربي سُرعان ما أبدى طاعته للموحدين بعد دخول مدينة مراكش، وهزيمة المرابطين، وكان ضمن الوفد الاشبيلي المبايع لهم – تم ذكره سابقا – بل أوّلهم في سنة 541هـ/ 1146م.[2]

ويبدو أنّ التّشجيع الرّسمي الّتي حظيت بها الظاهرية، دفع بالقاضي أبو بكر ابن العربي إلى انتقادهم والتشنيع بهم، ونعتهم بالضلال في قوله: " أُمّة سخيفة، تسوّرت على مرتبة ليست لها، وتكلمت بكلام لم تفهمه،...، و في حين عودي من الرّحلة، ألفيت حضرتي منهم طافحة، ونار ضلالهم لافحة، فقاسيتهم مع غير أقران، و في عدم أنصار إلى حُسّاد يطؤون عقبي، تارة تذهب لهم نفسي، وأخرى ينكشر لهم ضرسي، وأنا ما بين إعراض عنهم أو تشغيب بهم، "، وصحَّ أنّه قال: " عليكم بسُنّتي وسنّة الخلفاء "[3]، كما أكّد أنَّ المشتغلون بالإسلام قليلون، وأعداء الاسلام والمقصرون فيه كثيرون، وممن كادّه أهل الظّاهر، وهم طائفتان، إحداهما المتّبعون للظّاهر في العقائد والأصول، والأخرى المتّبعون في الأصول، وكلاهما في الأصل خبيثة، وما تفرّع عنهما خبيثُ مثلهما.[4]

وسار على منواله تلميذه الفقيه المالكي **القاضي عيّاض** (ت 544هـ/ 1159م) بعد فشل ثورته، وإظهار البيعة للموحدين، إلاّ أنّه ظلّ – على ما يبدو – يُبطن نقده لهم، وذلك من خلال مصنّفاته الدينية ردا على المهدي ابن تومرت، الذّي ادّعى العصمة، فانتقده القاضي عيّاض في كتابه الشفا، الذيّ بيّن فيه أن العصمة للأنبياء فقط.[5]

وعارض الفيلسوف **أبو بكر بن طفيل** (**ت581هـ/ 1185م**) حكم الموحدين الّذي عبّر عن موقفه السيّاسي بالرّمز في مؤلفه " حيّ ابن يقظان "، الّتي تُوشي بتحيُّزه للعامّة، رغم خدمته في بلاط

---

[1] ابن عذارى، المصدر السّابق، قسم الموحدين، ص36، عبد الباقي السيد، دراسات أندلسية، ص 144، علام، الدولة الموحدية، ص 182

[2] عبد الباقي السيّد، المرجع السّابق، ص254، ابن عذارى، المصدر السابق، قسم الموحدين، ص36

[3] الذّهبي، سير، ج18، ص 188، 189، عبد الباقي السيّد، المرجع السّابق، ص309، انظر الملحق رقم6.

[4] ابن العربي، العواصم، ص208، توفيق بن أحمد الغلبزوري الادريسي، **المدرسة الظاهرية بالمغرب والأندلس**، ط1، دار ابن حزم للنشر والتّوزيع، الرياض، 2006م، ص860.

[5] أبي الفضل عيّاض بن موسى بن عيّاض اليّحصُبي (ت 544هـ/ 1149م)، **الشّفا بتعريف حقوق المصطفى**، تق وتح: عامر الجزّار، د ط، ج1، دار الحديث، القاهرة، 2004م، ص397

الموحدين، زيادة على ذلك تأويله لبعض آيات القرآن الكريم الخاصّة بالحكم، جاءت مغايّرة لمفهوم الفقهاء، ومن ثمّ فإنّ عموم فلسفته تقوم على وجود أبعاد اجتماعية وانتقادات سياسية لنظام الموحدين.[1]

ورغم أنَّ **ابن رشد الحفيد** (**ت595هـ/ 1198م**) ينحدر من أسرة عريقة، حافظت على علاقتها الطيّبة مع الحكام المرابطين والموحدين، وممّن كان له الفضل في المحافظة عليها لفترة طويلة، قام بانتقاد الفكر السياسي والسُّلطوي للموحدين،[2] ولم يعترف بمشروعية النُّظم المتغلبة، وندّد بالنّعرات العصبية، والنّزاعات العرقية والطّائفية، وانتقد بشدّة فقهاء السّلطة لالتزامهم الصّمت، والخنوع للحُكام، وتبرير ما يصدر عنهم من أفعال،[3] كما أدان الدولة كلّها، وما آلت إليه من فساد واستبداد، مشهرًا بانحرافها عن المبادئ والمقاصد الّتي أعلنتها في بداية قيامها، والّتي التمست الشّرعية منها، ولم يستثنِ أحدًا من أهلها، إلاّ من كانت به فضيلة الشريعة الاسلامية، وهم فيهم قليل،[4] ولم يكتف ابن رشد الحفيد بهذا، بل سعى إلى التّحريض على الثورة ضد الخليفة المنصور الموحدي (ت595هـ / 1198م)، بمباركة جهود أبي يحي أخ المنصور والي قُرطبة، مادحًا إيّاه في خاتمة مؤلفه " الضروري قائلا: " أدام الله عزّكم، وأطال بقاءكم...، أعانكم الله على ما أنتم بصددّه، وأبعد عنكم كل مثبط بمشيئته وفضله".[5]

واعترض الصوفي **محي الدين بن عربي** (ت 638هـ/ 1240م) على الحكم الموحدي، في رسالة بعث بها إلى صديقه في الطريقة أبي محمد عبد العزيز بن أبي بكر القُرشي المهدوي،[6] سنة 597هـ/1200م،[7] وصف فيها العلماء بالسُّوء، يطلبون ما يأكلون، والأمراء بالظلم والجور يحكمون بما لا يعلمون، عظمت الدُّنيا في قلوبهم، فلا يرون فوقها مطلبًا، وصغُر الحق في أنفسهم فأعجلوا عنه هربا،[8] ويتبين من الرسالة أنّ النّقد كان

---

[1] عبد الباقي السيّد، المرجع السّابق، ص253

[2] نفسه، ص327

[3] عبد الباقي السيّد، الظاهرية والمالكية، ص 127

[4] محمد عابد الجابري، **ابن رشد سيرة وفكر**، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1998م، ص 67

[5] ابن رشد الحفيد (ت595هـ/ 1198م)، **الضروري في السيّاسة**، ترج :أحمد شحلان، تق: محمد عابد الجابري، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1998م، ص 207، 208

[6] محي الدين ابن عربي (ت 638هـ/ 1240م)، **شرح رسالة روح القدس في محاسبة النفس**، جمع وتأليف: محمود محمد الغراب، ط2، مطبعة نضر، دمشق، 1985م، ص9

[7] عبد الباقي، الظاهرية والمالكية، ص 129

[8] ابن عربي، المصدر السّابق، ص13

موجهًا للأمير النّاصر وولاته،[1] كما اعترض على مهدية ابن تومرت وعصمته، رغم قوله بضرورة خروج المهدي المنتظر، إذ كان يراه لم يظهر بعد، وهو الأمر الّذي لقى قبولا واستجابة عند تلاميذه والظاهرية معا.

ووجّه الفقيه المالكي عبد الرّحيم بن عبد الرّحمان ابن الفرس نقدًا لنظام الحكم الموحدّي في عهد الخليفة النّاصر بن المنصور (ت611هـ / 1214م)، إلاّ أنّ انتقاده تحوّل من صراع فكري ومعرفي إلى صراع سياسي، ودعا لنفسه بالخلافة وتولي الحكم، لكن الخليفة النّاصر قضى على ثورته.[2]

وانتقد جماعة من المالكية عصمة المهدي، وقالوا أنّها مقتصرة على الأنبياء فقط، منهم عبد الرحيم ابن الملجوم الفاسي (ت 603هـ/ 1206م)، وابن داوود، وابن أبي معيشة، وابن المغيلي، ورأى فقهاء آخرون أنّ مقاطعة الموحدين وعدم الدُّعاء لهم على المنابر أحسن رد على قولهم بعصمة المهدي.[3]

وفي هذا الإطار يجب أن نُنوه أنّ أهل المعرفة من متصوفة وفقهاء – قبل دخول الموحدين – ذات آراء ومعارف مختلفة، فأغلبهم كان من أنصار الالتزام بالكتاب والسنة، زاهدين في الدُّنيا، مُسَالمين للحاكم، رافضين للفتنة، ولم يكن استعمال القوّة، والخروج عن الحاكم ديدنهم، مدركين نتيجة الاقبال على ذلك، وما يترتب عنه من عنفٍ وسفكٍ للدماءِ، وهتكٍ للأعراضِ، وهلاكٍ للحرثِ والنسلِ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من خَرجَ منَ الطَّاعةِ، وفارقَ الجماعة، فمات، ماتَ ميّتة جَاهليَةٌ، ومَن قاتلَ تحتَ راية عمية، يغضِبُ لعَصبةٍ، أو يدعُو إلَى عَصبة، أو يَنصُرُ عَصَبةً، فَقُتل، فَقَتلةٌ جاهِليةٌ، ومَن خرجَ عَن أمتّي يضربُ برّها وفاجرها، ولا يتحاشَى من مُؤمنهَا، ولا يفي لذِي عَهدٍ عهَدهُ، فليسَ منّي، ولستُ منهُ "،[4] وتوجهوا إلى نقد الحاكم وتوجيهه وتقيّيده بالكتاب والسنّة.

2.1– الإعراض عن الخطط الإدارية السيّاسية:

– القضاء:

أعطى حكام الدّولة الموحدية صلاحيات واسعة لقاضي الجماعة وقضاة الأقاليم، واستقلالية كاملة في

[1] عبد الباقي السيّد، المرجع السّابق، ص129

[2] عبد الباقي السيّد، دراسات أندلسية، ص255

[3] نفسه، ص 116

[4] مسلم، صحيح مسلم، رقم1848، ص772.

الأحكام، وحريّة التّصرف، مع واجب التّقيد بالشّريعة الاسلامية، فعرفت الخطّة حضور كبير للفقهاء،[1] إلاّ أنّ الكثير منهم رفض هذه الحُطّة، وبالغ في التّرهيب والتّحذير منها، وشدّد في كراهية السّعي فيها، ورغب في الاعراض عنها، حتّى تقرر في أذهان الكثير منهم، أنّ من وُليّ القضاء قد سهُل عليه دينه، وألقى بيده إلى التّهلكة، ورغب عمّا هو الأفضل، وساد اعتقادهم فيه[2].

استدعى الحكام الموحدين الفقهاء للاستعانة بهم في الحكم، لما لهذه الفئة من ملكة في المعارف الدّينية، والقدرة على تطبيق الشريعة الاسلامية، وتأثيرها في المجتمع، ففي الوقت الّذي اعتبر فيه بعض الفقهاء تولي خطّة القضاء مصدرًا للرّزق والتّكسب، فقد عزفت فئة كثيرة منهم، ولم تستجب له أبدًا، ويرجع ذلك إلى اقتدائهم بالإمام مالك بن أنس الّذي كان يرفض الوظائف، والاقتصار على العلم والتعليم، فكان أوّل من التزم بذلك الفقيه زياد بن عبد الرحمان بن زياد اللخمي (ت204هـ/ 819م)، رائد المذهب المالكي بالأندلس، ومن بعده ابن حزم، واستمرّ هذا الرّفض في زمن المرابطين والموحدين لأسباب عدّة،[3] من بينها تجرّد الفقيه أحد أقطاب المعرفة من مهامه الأساسية، وفقدان هيبته، وتراجع ملكة النّقد والتّقويم والمراقبة لديه.[4]

وقد حوت كتب التّراجم والطّبقات أسماء الكثير من العلماء الفقهاء الرّافضين لخطة القضاء، وكان ممن دعي للقضاء، ولم يتولاه أبدا في حياته، نذكر على سبيل المثال، الفقيه أبو بكر عبد الرحمان بن أحمد بن إبراهيم ين أبي ليلى الأنصاري (ت 566هـ/ 1170م).[5]

ورفض الفقيه المتّصوف ابن المجاهد محمد بن أحمد (ت574هـ/ 1178م) ولاية القضاء بشريس عندما عُرض عليه ذلك، وظلّ نافرًا منها، ممتنعًا، متمسّكًا برأيّه، حتّى استجاب له الخليفة أبو يعقوب يوسف وأعفاه منها، وأسعفه على ذلك عملاً على مساعدته، ووقوفًا عند مرضاته، وعرض عليه مالاً كهبة، فرفضه ولم

---

[1] بولطيف، فقهاء المالكية، ص292

[2] برهان الدين أبي الوفاء إبراهيم، **تبصرة الحكام في أصول الاقضية ومنتهج الأحكام**، تع: جمال مرعشلي، ج1، دار الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، 2003م، ص10

[3] محمد عبد الوهاب خلاف، **تاريخ القضاء في الأندلس من الفتح الاسلامي إلى نهاية ق 5هـ/ 11م**، ط1، المؤسسة العربية الحديثة، مصر، 1992م، ص309

[4] بولطيف، فقهاء المالكية، ص287

[5] قاسم مخلوف، المرجع السّابق، ج1، ص215

يقبله،[1] وكان لابن المجاهد نفور شديد عن السلاطين، رغم رغبتهم فيه، لصلاحه وورعه وزهده، ووصل به الأمر إلى احتقار مجالس الحكام والحطّ من قيمتها، من خلال الدّخول على مجالسهم برجله اليسرى، والخروج منها برجله اليمنى، وهذا ما أكدة التّنبكتي " هذا ابن مجاهد، لا مطمع لأحد فيه، أما رأيتموه، حين دخل علينا، قدّم رجله اليسرى، فلمّا خرج قدّم رجله اليُمنى.[2]

ويرجع سبب إعراضهم إلى دوافع شخصية، من بينها الخوف من الله تعالى، والجور في الأحكام من غير علمٍ، واتباع الهوى فيه، والوقوع في ظلم الرعيّة، وبالتّالي يسهل عليه دينه، ويقع في التّهلكة،[3] فيُؤذي نفسه وغيره، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " مَن وُلِيَّ القَضَاءَ أَو جُعِلَ قَاضِيًا بَينَ النَّاسِ، فَقَد ذُبِحَ بِغيرِ سِكِينٍ "،[4] والانقباض عن السُّلطان، والخوف منه، والاكتواء بنار غضبه.

ويجب أن نشير أنّ هناك فئة أخرى من الفقهاء من تولت القضاء لفترة معينة، ثمّ أعرضت عنه نهائيا، أو قام الحاكم بفصلها لأسباب معيّنة، ورأت فيه أنّه أفضل أنواع البرّ، وأعلى درجات الأجر، وابتغاء محبّة الله عزّ وجل، لقوله تعالى { ..وَإِن حَكَمتَ فَاحكُم بَينَهُم بِالقِسطِ إِنَّ اللهَ يُحِبُ المقسِطِينَ (46)}،[5] ومن أمثال هؤلاء أبي بكر يحي بن أحمد (ت627هـ/ 1229م) الّذي اعتزل القضاء بعد توليها مدة طويلة، ليلجأ إلى التّعليم بقيّة حياته.[6]

بناء على ما سبق، فقد آثر الكثير من فقهاء المالكية والمتصوّفة البقاء بعيدًا عن السّلطة الموحدية، ولم يقتنعوا بغيرهم ممّن جانب الحاكم، ولعلّ ذلك يرجع إلى مذهب الظَّاهر الّذي التزم به الموحدون، مما جعل الرّفض مستمرًا، بل والصّراع قائمًا، كلُّ ذلك أدّى إلى المواجهة بينهما، والعزوف عن تقلّد الخطّط الادارية والسياسية، أولها خطّة القضاء.

---

[1] ابن عبد الملك، المصدر السّابق، المجلّد 3، ص 564

[2] التنبكتي، المصدر السّابق، ص 376، 377

[3] الونشريسي، كتاب الولايات، ص40

[4] محمّد بن عيسى بن سورة التّرمذي، **سنن التّرمذي (الجامع الكبير)**، تح ودر: مركز البحوث وتقنية المعلومات، ط2، المجلّد 2، دار التّأصيل، القاهرة، مصر، 2016م، رقم 1382، ص434.

[5] المائدة، الاية 46

[6] ابن الأبار، التكملة، ج4، ص190

2- المعارضة العنيفة (الثورات):

اعتبر البعض من أهل المعرفة بالأندلس أنّ الخروج على الحاكم، واللُّجُوء إلى العمل المسلّح، مغامرة غير مضمونة، فسلكوا أسلوب المهادنة، وساهموا في البناء السياسي كما ذكر سابقا ،[1] بينما اعتبره آخرون واجب، بسبب الاقصاء والتّهميش، ولا بد من التّوجه نحو تغيير الأوضاع، فنظموا أنفسهم، وأعلنوا ثورات عنيفة ضد الحاكم الّذي صار هيكلاً بلا رُوح، وأخرجوا من كان عندهم من الوُلاة، واستبّد كل منهم بضبط بلده،[2] وبلغ عدد الثّورات أكثر من خمس وأربعين، منها اثنى عشر بالأندلس، أحصاها وعدّها البيدق في كتابه " أخبار المهدي ".[3]

1.2- ثورة المريدين:

يبدو أنّ المهدي بن تومرت (ت524هـ/ 1130م) الّذي باشر دعوته ببلاد المغرب بداية من سنة 514هـ/ 1122م، قد وصل صداها إلى الأندلس، وفتحت عيون الطامحين لتملّك السُّلطة، والرافضين لسلطة المرابطين القائمة، والنّاقمين عليها، ورأوا في ذلك فرصة لتحقيق الحلم الذي راودهم.

وتأتِ ثورة المتصوف أبو القاسم ابن قسّي (ت 546هـ / 1151م) في مقدمة هذه الثّورات، والّتي خرجت من رحم التّصوف، الّذي انتشر في معظم المدن الأندلسية في القرن الخامس الهجري، وأصبحت الفِرق الصوفية تشكل حزاما يمتد من شرقها إلى غربها، فبرزت مدرسة ألمرية بالشّرق، ومدرسة قرطبة في الوسط، ومدرسة شلب وما جاورها في الغرب[4].

ويعد أبو القاسم أحمد بن قسّي أحد صوفية الغرب،[5] عالمِا مُتضلعًا في معارف عدّة خاصة التّصوف وعلم الكلام، إضافة إلى الشّعر،[6] وقد أدّت تنقلاته بين المدن الأندلسية إلى انتشار الفكر الصوفي، فأُعجبَ به الكثير، واتّبعوا نهجه (المريدين)، وغدوا رهن أمره وإشارته، فتطّبعوا بأخلاقه، وأشربوا معارفه، وساعده في

[1] بولطيف، فقهاء المالكية، ص132.
[2] عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص277
[3] البيدق، المصدر السابق، ص 82 - 89
[4] دندش، المرجع السّابق، ص50 - 54
[5] ابن الأبار، التكملة، ج1، ص235
[6] عنان، المرجع السّابق، العصر الثالث، القسم الأول، ص330

ذلك تلميذه محمد بن يحي الشلطيشي،[1] المعروف بابن القابلة، وسمّاه المصطفى، وجعله كاتبا له، مطلعا على أسراره،[2] وأسّس ابن قسّي رابطة بقرية جلة من قرى شلب، ودرّس بها كتب الغزالي الممنوعة، والّتي طالما تصدى لها الحاكم المرابطي، ومن ورائه فقهاء النفوذ، وظل يعقد مجالس العلم في إشبيلية مع أوائل 539هـ/1144م،[3] وفي شلب ولبلة وغيرهما، "وكثر خوضهم في الكتب الصوفية، وموضوعات الغلاة الباطنية، والكلف برسائل إخوان الصفا، وغير ذلك "[4].

ولما شعر ابن قسّي أنّ الفرصة قد حانت لإعلان وتنفيذ مشروعه السياسي الخفي، مستغلاً الفراغ السياسي والضعف العسكري للمرابطين بالأندلس، وانشغالهم بالموحدين بالمغرب من جهة، ووفاة أقطاب الصوفية بالأندلس أمثال أبو الحكم بن برجان (ت 536هـ/ 1142م)، وأبو العباس بن العريف (ت 536هـ/ 1142م)، وأبو بكر الميورقي من جهة أخرى، فوجد أمامه الطريق مفتوحا لإعلان ثورته ضدّ الحاكم المرابطي، متّخذًا من التّصوف عقيدة دينية، وبديلاً لسُلطة الفقيه، آملاً في الانتقال من ثنائية الفقه والدّولة إلى ثنائية التّصوف والدّولة، في إطار الصراع بين السّلطة المعرفية والسُّلطة السيّاسيّة، بل بين الفقه والتّصوف حول السُّلطة المعرفية نفسها.[5]

وفي نفس السيّاق، أمر ابن قسّي مساعده الشلطيشي أن يتوجه إلى قلعة ميرتلة المنيعة رفقة المريدين للهجوم عليها، فدخلها رفقة سبعين رجلا، بعدما قتل بواب القلعة، وأعلن التمرد على المرابطين، والولاء لابن قسي ودعوته، ثمّ لحق به ابن قسي على رأس جمع كبير من المريدين، رافعين شعار التهليل والتكبير، ولقب نفسه بالامام، وادّعى المهدوية، مخرقة وتمويها للعامة،[6] فاستمال قلوبهم واتّخذ من حصن مارتلة مقرا لدعوته

---

[1] أشباخ، المرجع السّابق، ج2، ص216

[2] ابن الأبار، الحلة، ج2، ص198

[3] أشباخ، المرجع السّابق، ج2، ص216

[4] لسان الدّين ابن الخطيب السّلماني (ت 776هـ/ 1374م)، **أعمال الأعلام في من بُويِّع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام**، تح وتع: ليفي بروفنسال، ط2، دار المكشوف، بيروت، لبنان، 1956م، ص 249

[5] زاير أبو الدهاج، **العقيدة والدّولة في المغرب الوسيط – فلسفة السُّلطة وحركة التّاريخ–**، إش: بوعرفة عبد القادر، رسالة دكتوراه، قسم الفلسفة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران، 2012م/ 2013م، ص226

[6] ابن الأبار، الحلة، ج2، ص 197، 198

وتنفيذ مشروعه الذي طالما حلم به.[1]

من خلال ما سبق اتّضح أنّ ابن قسي قد تأثر على غرار بعض الصوفية بالمهدوية الّتي أعطى رأيه فيها في كتابه " خلع النّعلين "، وجعلها مبدأ له، وانساق وراءها ليُطورها، ويجعل منها مشروعا سياسيا، لعله يحقق مبتغاه، مثل ما فعل المهدي بن تومرت بالمغرب والقادم نحوه، والمنافس له في نفس الوقت، وهذا ما أكده عبد الواحد المراكشي " فعبروا به إلى العدوة، فأتوا به عبد المؤمن رحمه الله، فقال: بلغني أنكّ ادّعيت الهداية؟ فكان من جوابه أن قال: أليس الفجر فجران. كاذب وصادق؟ فأنا كنت الفجر الكاذب، فضحك الخليفة عبد المؤمن، وعفا عنه".[2]

والملاحظ أنّ هذه الثوّرة كانت أواخر فترة المرابطين، واستمرت إلى غاية دخول الموحدين، وما إن شعر ابن قسّي بضعفه وقلة أنصاره، أعلن طاعته للموحدين في ربيع 540هـ/ 1146م، وبعث رسوله أبي بكر بن حبيس إلى عبد المؤمن فلقيه بتلمسان، وقدّم له كتاب صاحبه، لكنّ هذا الأخير لم يرد عليه، فانتقل ابن قسّي بنفسه، فقبل الخليفة الموحدي ولاءه، وعفى عنه، وأرسله مع الجيش الموحدي إلى الجزيرة الخضراء في محرّم 541هـ/ 1147م، وعيّنه واليا على شلب.[3]

ويبدو أنّ حبَ السُّلطة والولع بها، جعل ابن قسّي يغتنم كل فرصة متاحة، فعقد تحالفًا مع ألفونسو هنريكير ملك البرتغال،[4] ووعده هذ الأخير بتقديم العون والمساعدة، وأرسل له هدية تأكيدا لصداقته،[5] فأثار هذا التّصرف غضب سكان شلب، واعتبروه بمثابة تحالف مع العدو على الأخ، فأعلنوا الولاء للموحدين،[6] ودبروا مؤامرة قتله بقيادة ابن المنذر الأعمى حليفه السّابق، في جمادى الأولى 546هـ الموافق ل سبتمبر 1151م،[7] لتنتهي بذلك ثورة قادها أحد رجال المعرفة الصوفية.

واتّسمت ثورة المريدين باعتبارها فرقة صوفية في الظّاهر، وأداة سياسية في الباطن، تحوّل من خلالها

---

[1] ابن الأبار، المصدر السّابق، ج2، ص198، ابن الخطيب لسان الدين، أعمال، ص249

[2] عبد الواحد المراكشي، المصدر السّابق،، ص 281

[3] ابن الأبار، المصدر السّابق، ج2، ص 199، ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 312

[4] ابن الخطيب، المصدر السّابق، ج2، 228

[5] دندش، المرجع السّابق، ص 117

[6] ابن الأبار، الحلة، ج2، ص200

[7] دندش، المرجع السابق، ص 117، عنان، المرجع السّابق، العصر الثالث، القسم الأوّل، ص 330.

التّصوُّف من ممارسة روحية إلى طموحٍ جماعي للوُصول إلى سلطة الحكم، واستغلها قائدها الّذي لم يُسعفه الحظ في تحقيق مطامحه، رغم امتلاكه لسُّلطة معرفية (صوفية)، واتّضح أنّه رجل دنيا لا رجل دين، وقائد ثورة لا متصوف حقيقي بكل ما تحمله الكلمة من معنى، رغم تأليفه في هذا المجال، وكثرة أتباعه ومريديه.[1]

2.2 – ثورة القاضي عيّاض (ت544هـ/ 1149م):

بايع أهل سبتة الموحدين بقيادة قاضيهم عيّاض، والاعتصام بحبلهم المتين، فعيّنه عبد المؤمن بن علي واليا عليها، وصرف أمور بلده إليه، وخاطبه بالتّنويه، وحظي عنده، وشكر بداره وسبقه،[2] لكن القاضي عيّاض سرعان ما أفتى بفساد الحكم الموحدي وبُطلانه، وصرّح أنّ الموحدين لا حق لهم في الامامة،[3] فثار عليهم، وتحالف مع بقايا المرابطين من المالكية، وقام أتباعه بقتل الموحدين وعمالهم المتواجدين بالمدينة، وأحرقوهم بالنّار، فأُجبر القاضي عيّاض على نكث البيعة، والخروج عن الطاعة، وركب البحر، ودخل الأندلس، والتقى بيحي بن علي بن غانية المسوفي بالجزيرة الخضراء، فبايعه، وطلب منه أن يُعيّنَ واليًا من قبله على سبتة، فأرسل معه يحي بن أبي بكر الصحراوي، وكان فارسًا شُجاعًا، معتصمًا بفاس أيام حصار عبد المؤمن لها، فدخل سبتة واليًا عليها، قائمًا بأمرها كولاية مرابطية، فبايعه سكانها، وتجندوا وراءه، وتصدّى الصّحراوي للجيش الموحدي الّذي أراد دخول المدينة فهزمه، لكن عبد المؤمن بن علي نظّم جيشه ورتّب صفوفه، وقام بحملة ثانية على المدينة سنة 542هـ/ 1147م، فدخلها، واستأصل شأفتهم، وأجبر الصّحراوي والقاضي عيّاض على الدخول في طاعته، بعد استعطافهما إيّاه، فبايعاه من جديد مع أهل سبتة.[4]

والملاحظ أنّ قيام عيّاض بهذه الثورة دليل على رفضه الامامة والمهدية الّتي دعا إليها الموحدون، والحفاظ على عقيدة أهل بلده،[5] ويجب التّنويه أنَّ ثورة القاضي عيّاض، رغم ظهورها على أرض المغرب، ومبايعته لابن غانية الموالي للمرابطين، مما أدى إلى قيام تحالف بينهما لفترة وإن كانت قصيرة، مما يوحي أنّ عيّاض مازال وفيا للمرابطين سياسيًا، معاديا للموحدين دينيًّا، مما أثّر لاحقًا على مجرى الأحداث بالأندلس، إلى غاية رجوع عيّاض إلى حضرة الموحدين، ومبايعته لهم من جديد، وإقامته الجبرية بمراكش إلى غاية وفاته سنة

---

[1] عنان، المرجع السّابق، ص101

[2] محمد عيّاض، المصدر السابق،، ص11

[3] عبد الباقي السيّد، الظاهرية والمالكية، ص85

[4] ابن خلدون، المصدر السابق،ج6، ص311، ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص191، الشكعة، المرجع السّابق، ص166

[5] الشّكعة، المرجع السّابق، ص168

544هـ/ 1149م.

3.2- ثورة مدينة لبلة:

لم تتوقف ثورات الأندلسيين ضد الموحدين، إذ سرعان ما حدثت ثورة في مدينة لبلة عام 549هـ/ 1159م)،[1] بقيادة علي الوهيبي أحد ثوار الغرب،[2] ومن ورائه المالكية أمثال المحدّث أبو الحكم ابن بطال، والفقيه أبو عامر ابن الجد،[3] الّذي هاجم المدينة ليلا، وأخذها أهلها على غرة، وقتل الكثير منهم، فلجأ السُّكان إلى التّحصن بقصبة الموحدين، فحاصرها الثائر الوهيبي.[4]

ولما وصلت أخبار الثورة إلى أسماع الخليفة عبد المؤمن بن علي، أرسل قائده ووالي قرطبة وإشبيلية يحي بن يومر،[5] الّذي خرج فورا على رأس الجيش الموحدي، وقام بضرب حصار شديد عليها، انتهي بدخولها عنوة، وفرار الثائر علي الوهيبي، فخرج النّاس في اليوم الموالي معتذرين طائعين، فلم يقبل منهم ذلك، واعتبرهم جميعا مشاركين في الثّورة.[6]

ونتج عن هذه الثورة قتل ثمانية آلاف شخص من لبلة، من بينها المحدث والفقيه السابقين، وأربعة آلاف من أحوازها، ثم بيعت نساؤهم وأبناؤهم، وسُلبت أموالهم وأمتعتهم،[7] وكان وراء هذا الفعل أبو الغمر بن عزون الذي أشار على الوالي بارتكاب هذا كله.[8]

لم يُسر عبد المؤمن بن علي بالأفعال التي ارتكبها يحي بن يُومر الوالي الموحدي، فأرسل في طلبه، وأمر أبو محمد عبد الله بن أبي حفص والي إشبيلية بالقبض عليه، وإحضاره إلى حضرته، فتمّ له ذلك،[9] ودخل أبو الغمر بن عزون إلى مراكش مكبلا، في يوم عيد الفطر، وأمر الخليفة بسجنه، وبعد فترة أطلق سراحه،

---

[1] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 195

[2] عنان، دولة الاسلام، ص 340

[3] عبد الباقي السيد، دراسات أندلسية، ص137، ابن أبي رزع، المصدر السابق، ص195

[4] عنان، المرجع السابق، ص340

[5] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 195

[6] عنان، المرجع السابق، ص340

[7] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 195، عبد الباقي السيّد، دراسات أندلسية، ص 137

[8] عنان، المرجع السابق، ص 340، عبد الباقي السيّد، المرجع السّابق، ص 137

[9] ابن خلدون، العبر، ج6، ص 316

وعفى عنه،[1] لتنتهي بذلك ثورة قادها المالكية ضدّ الموحدين.

4.2- ثورة علي الجزيري:

ظهرت سنة 586هـ/ 1190م، في عهد المنصور الموحدي (ت 595هـ/ 1198م)،[2] قادها عالم أندلسي، أصله من الجزيرة الخضراء، اسمه أبو عبد الله محمد بن عبد الله الجزيري، المتشبع بالمعارف والعلوم المتنوعة، لم يرض بالواقع، وما وصلت إليه الدولة الموحدية من الأبهة والترف والفخفخة، ومخالفتها لتعاليم ومبادئ ابن تومرت، فتطلّع إلى الاصلاح، وإحياء السنن المهجورة، وبث دعوة المهدي بين الناس بذكاء وفطنة، فاكتست ثورته شعارات دينية إصلاحية، معارضا بذلك المذهب الظاهري، حتى ذاع صيته في الأصقاع.[3]

وصلت أخبار الجزيري إلى الخليفة المنصور، فأمر بملاحقته والقبض عليه، فاضطر الجزيري إلى التّخفي عن الأنظار، ونشر دعوته سرا، ومتنقلا بين مراكش وفاس.[4]

فرّ الجزيري بنفسه إلى الأندلس، لنشر تعاليمه ومعارفه، فازداد أتباعه، ليُقبض عليه في مدينة مالقة، ومعه جماعة من أتباعه، و وضع في سجن إشبيلية، ليفر منه بمساعدة الوالي قاضي المدينة، بعد أن رشاه، مما أثار غضب الخليفة، الذي أمر بجلد القاضي حتى الموت، وقتل جميع المسجونين، وعددهم تسعة وتسعون. وبعد بث العيون، وملاحقات سرية، قُبض على الجزيري في نواحي مرسية، وأُخذ إلى إشبيلية، ووصل إلى مجلس الموحدين، فنفَى ما كان منه، فأمر الخليفة بتعذيبه حتى الموت، ثمّ صلبه.[5]

5.2- ثورة محمّد بن يوسف بن هود:

رغم أنّها ثورة قادها أحد الجند، وجب تناولها لما لها من أثر بالغ في زوال حكم الموحدين بالأندلس، وهي ثورة قادها محمّد بن يُوسف بن هود بمدينة مرسيّة سنة 626هـ/ 1229م، ضدّ الخليفة المأمون الموحدي (626هـ- 630هـ/ 1229م- 1232م)، الّذي تسّمى باسم المتوكّل بالله، وأعلن البيعة للعباسيّين، ودعا

[1] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 195

[2] عبد الباقي السيد، المرجع السّابق، ص138

[3] عنان، المرجع السّابق، ص180

[4] ابن عذارى، المصدر السّابق، قسم الموحدين، ص 207، عبد الباقي السيد، المرجع السّابق، ص138

[5] عنان، المرجع السّابق، ص 179

إلى تحرير الأندلس من الموحدين الكفار، وإقامة الشّريعة الاسلامية، وفرض الضرائب الشّرعيّة فقط، فكثر جمعه، ودانت له مدن أندلسية، مثل جيان وماردة وبطليوس وإشبيلية وغرناطة ومالقة وألمرية وشاطبة وجزيرة شقر، وشملت وسط الأندلس وغربها، وأصبحت البلاد تتطلّع إليه، لعلّه يكون حاميها وقائدها، وجامع كلمتها في ظلّ غياب دولة الموحدين، والضعف الّذي حلّ بها، لتدخل الأندلس في مرحلة الفوضى والاضطرابات.[1]

وعمومًا، فإنَّ الثورات الّتي قادها أهل المعرفة من فقهاء وعلماء ومتصوفة، تدخل في إطار الصراع على السُّلطة والنُّفوذ، مستغلين الواقع الاجتماعي المضطرب، المتمثل في تزايد ثقل وطأة الحكام على الرعيّة وتسخيرها، واستغلال الدولة لما تعتبره القبائل ملكا لها من جهة، ووجود جو فكري وذهني ومعرفي، قائم على انتظار التّغيّير السياسي باستمرار من جهة أخرى.[2]

وما يُلاحظ أنّ معظم الثَّورات استمدت مرجعيتها من نفس المرجعية الّتي اعتمد عليها ابن تومرت، حيث تبنَّى قادتها المرجعية المهدوية الّتي قام عليها المذهب الموحدي نفسه، وتجذرها في منطقة الغرب الاسلامي قبل قيام دولة الموحدين، حتّى أنّ حركة ابن تومرت نفسها تأثّرت بها، وكان نجاحه من الأسباب الّتي دفعت بالمغامرين الآخرين إلى تجربة نفس المنهج.[3]

أثبتت الثورات – السَّالفة الذكر – المنتشرة في جميع أنحاء الأندلس، والّتي قادها أهل المعرفة، على اختلاف مشاربهم (فقهاء ومتصوفة)، تدّلُ قصر نظرهم، وبُعدهم عن التّفكير القومي الجماعي، مساهمين في زيادة الجرح الأندلسي، غير مدركين لأفعالهم الّتي طغت عليها الأنانية أحيانًا، والبعد عن الحكمة أحيانًا أخرى، واجتهادهم في تدمير دولة السياسي القائم على أمرهم، فكانت هذه الثورات بمثابة انتحار جماعي لا مبرر له، في وقت كان لا بُد من توحيد الكلمة والصّف الدّاخلي للتّصدي لكُلّ ما هو خارجي.[4]

وإن كان الغرض ليس استعراض للثّورات القائمة ضدّ الدولة الموحدية، بقدر ما هو إبراز مدى تأثير السّلطة المعرفية في الأوضاع الدّاخلية، وتعطيل أمور الخليفة القائم بأمور المسلمين، كما أكدّت هذه الثّورات

[1] عنان، المرجع السّابق، ص290- 293، عبد الباقي السيّد، الظاهرية والمالكية، ص92، 93، أشباخ، المرجع السّابق، ج2، صص161، 162

[2] إسكان، الدولة والمجتمع، ص312، 313

[3] إسكان، المرجع السّابق، ص319

[4] عبد الواحد المراكشي، وثائق، ص226

جميعها عدم حنكة المعرفي سياسيا، وافتقاره لمخطط منظّم ومهيكل لتنفيذ مشروعه، وتحقيق رغبته، بدليل أنّه كلَّما فشلَ أو تعثرَ في هدفهِ، فرَّ وتركَ أمرَ البلادِ مجهولاً، ليأتِ محلهُ آخر، مستغلاً الفراغ يُريد السُّلطة، لكن جرأة العامة وتمرُّدها على المعرفي، بيّنَ أن حكمها لا يكون إلاّ لسياسي محنك يملك وسائل القوة والاكراه.

ثالثا– موقف السياسي من المعرفي:

رغم تشجيع حكام الموحدين للمعرفة، وإعطائها الحريّة، خاصة العقلية منها، والمعاملة الحسنة لأهل المعرفة، والهدف من ذلك السّعي إلى تأصيلها بالطرق المختلفة، كي لا يقعوا ما وقع فيه المرابطون سابقًا، إلاّ أنّ هذه العلاقة كان يشوبها نوع من الحذر والحيطة والتّوتر، حيث تُورد الكثير من المصادر مواطن الخلاف بينهما، بسبب تضارب المصالح، أو تفوق أحدهما على الآخر، أو لاعتبارات أخرى، لذا حاول السياسي الحدّ من نفوذ المعرفي، الّذي رأى فيه خطرًا على هياكله، وعلى النّظام العام والنّسيج الاجتماعي، فاتّخذ منه موقفًا حازمًا، وتصدّى له، مستعملاً وسائل الاكراه والقوّة المتاحة له، واتبّع سياسة المواجهة المباشرة مع المناهضين له، والقائمة على السّجن والتّعذيب، أو النّفي (الابعاد)، أو الملاحقة والقتل، وحتىّ إحراق الكتب.

1– السّجن والتّعذيب:

السّجن قديم، وهو نوع من العقاب المخيف الّذي يخشاه كل إنسان، ومن خلاله يفقد الفرد حريته وكرامته، فهو الحبس والاعتقال، ونقيض التخلية، و يندرج ضمن عقوبات التعزير، والهدف منه التّأديب على ذنوبٍ لم تُشرّع فيها الحدود، فالحبس عقوبة تعزيرية يعود تقديرها إلى من يتولى أمور المسلمين[1].

نجا المتصوّف ابن قسّي من غضب السُّلطان الموحدي عبد المؤمن بن علي، أثناء قدومه مع الوفد الأندلسي لتأدية البيعة، فسأله السُّلطان عن سبب إقدامه على الثّورة بالأندلس، فقال له: بلغني أنّك ادّعيت الهداية؟، فأجابه ابن قسّي بذَكاءٍ قائلاً: أليس الفجر فجران، كاذب وصادق؟، فأنا كنت الفجر الكاذب، فضحك عبد المؤمن، وعفى عنه، وسمح له بالرجوع إلى الأندلس.[2]

وممّن تعرّض للسّجن وامتُحن فيه، نذكر الفقيه أبي محمد عبد الله بن عيسى (ت551هـ/ 1156م) أثناء توليته لقضاء شلب من أمرائها، لالتزامه العدل في أحكامه، وإظهاره للحق، فتعرض للسجن في إشبيلية، ومكث به مدة طويلة، إلى أن تمّ تسريحه.[3]

---

[1] عبد الكريم بصديق، **ظاهرة القطيعة والتباعد بين السلطة السياسية والعلماء في المغرب الاسلامي**، المجلة التاريخية الجزائرية (ق7-9هـ/13-15م)، المجلد5، العدد1، 2021م، ص177

[2] عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص281

[3] التنبكتي، المصدر السّابق، ص209

أما الفقيه أبو بكر بن الجد الفهري (ت586هـ/ 1190م) فقد تمّ تكبيل يديه بالحديد، من طرف قائد الجند أبو زكريا بن يومور الهرغي، وأدخله السّجن أثناء ثورة بمدينته لبلة، إلاّ أنّ عبد المؤمن أمر بتسريحه لما علم بذلك،[1] كما حمّل إلى سجن سبتة، شيخ المالكية وكبار المتعصّبين للمذهب، الفقيه أبي الحسن ابن زرقون (ت 621هـ/ 1224م)،[2] وهو مصّفد بالحديد، ثُمَّ أُحضِرَ في مكان جرت فيه العادة بضرب رقاب أهل الظُّلمِ والعُدوان، ثمّ عُفِيَ عنه، وأُطلِقَ سراحه.[3]

وقام الوالي محمد بن سعد بن مردنيش باعتقال الفقيه أبا العباس أحمد بن محمد (ت554هـ/ 1159م) ووضعه في سجن أندة، الذي مكث به عدة أشهر، ليتم قتله بها ليلا سنة 554هـ. [4]

2- النّفي:

كثيرا ما كان الحاكم الموحدي ما يستدعي أهل المعرفة من فقهاء وقضاة وغيرهما، إلى حضرته بمراكش، وبقدر ما كان هذا الاستدعاء يهدف إلى الاستفادة من المعارف الّتي بحوزتهم – ظاهريا –، فقد كان بمثابة إبعاد ونفي عن موطنهم الأصلي الأندلس – باطنيا – والحد من نفوذهم، ووضعهم تحت الرقابة وبالقرب منه، ومن أمثلة ذلك، ما حدث للفقيه أبو العبّاس أحمد بن محمّد بن هذّيل الأنصاري (ت559هـ/ 1164م) تعرّض للظلم، والذي قدم خدمات كثيرة للدولة من خلال تولي عدّة خطط، كالقضاء والشورى والمواريث، وامتُحن من الأمير محمد بن سعد والي بلنسية، ونفاه إلى جزيرة شقر، وضُيّق عليه، وضُرب إلى أن توفي بها[5].

وواصل هذا الأمير إحراجه لأهل المعرفة، والتّضييق عليهم، فلجأ إلى تغريب الفقيه أبا العباس أحمد بن محمد المعروف بابن الحلاّل (ت 554هـ/ 1159م) إلى مدينة أندة من أعمال بلنسية، بعدما صادر جميع أمواله،[6] ولم يسلم الفقيه أبي جعفر أحمد بن ثابت (ت563هـ/ 1168م)، من بطش الوالي أيضا، فتم نفيه

---

[1] ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ص272، ابن عبد الملك، المصدر السّابق، المجلّد 1، صص368، 369

[2] ابن الأبّار، التّكملة، ج2، ص124

[3] أبو الخطّاب عمر بن حسن ابن دحيّة (ت633هـ/ 1235م)، **المطرب من أشعار أهل المغرب**، تح: إبراهيم الأبياري، دار العلم للطباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، 1955م، ص221، 222

[4] نفسه، ج1، ص60

[5] نفسه، ص62

[6] ابن الأبار، المصدر السّابق، ج1، ص60

من بلده وادي آش إلى مرسية ، والإقامة بها إلى غاية وفاته.[1].

أمّا **ابن رشد الحفيد** (ت 595هـ/ 1198م)، سيّد المعرفة الفلسفية في وقته، الّتي لقيت دعمًا رسميًا من السُّلطة السياسية، فلم يَدّخِر جُهدًا للنيل من مكانة وهيبة الفقهاء واتّهامهم بالحسد والتّقليد وضّيق النّظرة المعرفية، والمتاجرة بالدّين، والبهتان والمغالطات في معارفهم الدّينيّة،[2] فقد ظلّ الناقمون الحاسدون من أهل قُرطبة يترصدون زلاته، الّتي وصفها قائلا: " أعظم ما طرأ عليّ في النكبة، أنّي دخلت أنا وولدي عبد الله مسجدًا بقرطبة، وقد حانت صلاة العصر، فثار بعض سفلة العامة، فأخرجونا منه "،[3] فوجدوا مبتغاهم في مؤلفاته، وتحججوا عليه بالخروج عن الشريعة، وإيثاره فيها لحُكم الطبيعة، وحشروا منها ألفاظا عديدة، وفصولا ربما كانت غير سديدة، فجُمعت في أوراق، وقيل إنّ بعضها أُلف بخط يده، ورفعوها إلى الخليفة المنصور الموحدي (ت 595هـ/ 1198م) سنة 591هـ، [4] خاصة بما يتعلق بالفلسفة، متهمين إيّاه بالكفر والزندقة، فلجأ هذا الأخير إلى الاستماع لهم، والأخذ برأيهم، إرضاءً لهم، وقام **بنفيه** من قرطبة إلى أليسانة جنوب غرناطة،[5] ولا يُمكن إغفال اتّهام ابن رشد الحفيد للحكم الموحدي، قائلا: " في بلادنا قرطبة بعد سنة 500هـ/ 1106م، كان الحكم جماعيا، ولكن الحال انقلب بعد سنة 540هـ/ 1145م، إلى الطُغيان "، وقال " إنّ الحكم الجماعي يتحوّل إلى طُغيان، كما يحدث الآن في مدينتنا هذه." ويعني قرطبة،[6] فأدّى كل ذلك إلى حدوث فجوة بين الفلاسفة والحكام الموحدين، استغلها الفقهاء من أجل استرجاع ما ضاع منهم، والقرب من الحاكم ونيل رضاه، وتهميش غيره المعرفي والاساءة إليه.

واتّسَعَ اضطهاد المعرفة الفلسفية ليشمل مجموعة من الأعيان المنشغلين بالفلسفة وعلوم الأوائل، إلى أماكن أخرى، ومن هؤلاء أبو جعفر الذهبي، ومحمد بن إبراهيم قاضي بجاية، وأبو الربيع الكفيف، وأبو العباس القرابي.[7]

---

[1] ابن الأبار، المصدر السّابق، ج1، ص65

[2]عومري، جدل السّلطة العلمية، ص51

[3]ابن عبد الملك، المصدر السّابق، المجلّد 4، ص27

[4]ابن عذارى، المصدر السّابق، قسم الموحدين، ص 226

[5]أبي الوليد بن رشد، ص12، الرّصاع، المصدر السّابق، ص139

[6]عبد الباقي، الظاهرية والمالكية، ص 404

[7]عبد الرحمان التليلي، **ابن رشد في المصادر العربية**، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002م، ص121

ويبدو أنّ ظاهرة الملاحقة والتّضييق اتّسع ليشمل مشاهير العصر، فقد ساهم الرّحالة الشّهير ابن جبير (ت614هـ/ 1217م) في تأليب العامة على ابن رشد الحفيد، ومدح الخليفة المنصور على ما فعله به، فقال: أطلعك الله سرّ قومٍ، شَقُّوا العصا بالنّفاقِ شَقًّا،[1] وامتدح جدّهُ ابن رشد الحفيد بالصلاح والتَّقوَى وصحة الدّين، في حين هجاه في نكبته، فقال:

لم تلزم الرّشد يا ابن رشد لما علا في الزّمان جدّك
وكنت في الدّين ذا رياءٍ ما هكذا كان فيه جدّك[2]

ويبدو أنّ ابن جبير استعمل الشّعر كسلاحٍ ضدّ الفلاسفة، فواصل انتقاده لهم، قائلاً:

لأشياع الفلاسفة اعتقاد يرون عن الشّرع انحلالا
أباحوا كل محظور حرام وردُّوه لأنفسهم حلالا
وما انتسبوا إلى الاسلام إلاّ لصون دمائهم أن لا تُسَالا
فيأتُونَ المناكرَ في نَشَاطٍ ويأتُونَ الصّلاة وهم كُسالى[3]

ولا يمكن أن ننسى النّكبة الّتي تعرض لها المحدّث والمؤرخ **ابن الأبار** (ت658هـ/ 1259م) الأندلسي أثناء إقامته واستقراره بتونس، إذ خدم ثلاث حكام حفصيين ، وأسندت إليه خطّة الكتابة، ولمكانته المرموقة، كثُر حساده الّذين لا يفتؤون يكيدون له، وفي مقدمتهم الوزير ابن أبي الحسن، وقد تمكّن هذا الأخير من أن يُوغر صدر الخليفة المستنصر بالله الحفصي على ابن الأبّار ويُحرّضه عليه، فقام بنفيّه إلى بجاية سنة 655هـ/ 1256م، ليبتعد عن الحاكم بشكلٍ نهائيّ، ويُقبل على التّأليف بقيّة حياته.[4]

3- الملاحقة:

وممن تمّ ملاحقته في فترة الموحدين الفقيه المالكي أبو الوليد القُرطُبي (ت551هـ/ 1156م)، المتّفنّن

[1] عبد الباقي السيّد، دراسات أندلسية، ص353.

[2] عباس محمود العقاد، **ابن رشد**، ط6، دار المعارف، القاهرة، دت، ص19، ابن عبد الملك، المصدر السّابق، المجلّد 4، ص31

[3] ابن عبد الملك، المصدر السّابق، المجلّد 3، ص517

[4] ابن الأبار، إعتاب، صص16، 17، المقري، أزهار الرياض، ج2، ص206

في المعارف كلّها، ففر بنفسه خوفًا من بطش عبد المؤمن بن علي، فاتّجه إلى مصر، واستقرّ بالإسكندرية، ثُمّ الصعيد، وبعدها مكة المكرمة الّتي لم يطل يستقرها طويلاً، ولم تطمئن نفسه بها، خوفًا من حجّ الخليفة إليها، أو تصله أخباره، مما دفع به إلى التّوجه إلى اليمن فدخلها، فأدركته المنية بزُبيد إحدى مدن اليمن.[1]

ولم يسلم الولي الزّاهد أبو إسحاق إبراهيم بن محمد (ت 616هـ/ 1219م) الّذي ذاع صيته، وانتشرت أخباره بألمرية، وكثر أتباعه من العامة، من الملاحقة، فسعى به حساده من الفقهاء إلى السُّلطان الموحدي النّاصر (595هـ– 610هـ/ 1198م- 1213م)، يخوفونه من أبو إسحاق ويُحذرونه منه، وقد يقوم بثورة ضده متى أُتيح له ذلك، فأشاروا عليه بتغريبه، وإخراجه من المدينة، والذي أصبح ضروريا، فأخذ السُّلطان الأمر بجديّة، وكتب إلى عاملها يطلب منه إحضاره مكرمًا، فاستجاب العامل لأمر السُّلطان، وأبلغ الولي الزّاهد أبو إسحاق بأن السلطان يطلبه، فسمع مريدوه بالأمر فأشاروا عليه بعدم الذّهاب، فقال لهم: "لا يجوز مخالفة السلطان، وإني أرجو أن أموت غريبا"، وفعلا فقد ركب البحر ، ودخل على الخليفة المستنصر، فأكرمه، وهابه هيبة كبيرة، ووقّره، وقذف الله تعالى في إجلاله، وأشرب قلبه تعظيمه وإكباره، وندم على ما أقدم عليه، فعفى عنه، وطلب منه الدعاء، وأطلقه في غاية الاكرام، لكن الزّاهد أبو إسحاق ظلّ يلازم الدعاء ضد من وشى وسعى به، وكان يقول "كل من نال من عرضي ما نال، فإني أحلله من ذلك، وأغفر له، ما عدا من رماني بالقيام على السُّلطان، فإني لا أغفر له حتى أُخاصمه بين يدي الله تعالى في ما رماني به من البدعة الشنعاء والمعصية الكبرى "، وأصابت دعوته الفقيهين عثمان بن جامع، وعلي بن أبي بكر ، فماتا على أسوأ حال.[2]

4– القتل:

أمام إصرار المعرفي على ممارسة مهامه السياسية بدقة وحزم، وتأدية واجباته الاجتماعية باحترام، مكنته من تبوأ مكانة مرموقة ومحترمة، جعل الخلفاء والولاة ومنافسيه وأصحاب النُّفُوذ، وحتَّى العامة، تتعقبه وتترصده، بل تفكر في اضطهاده وقتله، وافتعلوا أسبابا متعدّدة للظّفر بمبتغاهم.

و في ظل مناخ سياسي مضطرب ومقلق، يوحي بزوال النّظام المرابطي القائم، وبداية نظام جديد

[1] المقري، نفح، ج2، ص 240

[2] التنبكتي، المصدر السّابق، ص37، السّملالي، المصدر السّابق، ص 103، 104

يقوده الموحدون، لم تخلو حوادث القتل من السّعاية والوشاية، وكذا الحسد عند أصحاب النّفوذ والمقربين من السُّلطان، فاستغلوا ذلك، ضد كل من يرونه منافسا لهم، نتج عنه تعرُّض الكثير من أهل المعرفة لنهاية مأساوية ومؤلمة بالأندلس.

ولم يسلم الفقيه المخضرم **أبوبكر بن العربي** (ت 543هـ / 1148م) في أواخر عمره من الحاكم في عصره، أولها أثناء قدوم وفد إشبيلية الذي يقوده بنفسه إلى مراكش سنة 542هـ/ 1147م، وتقديم البيعة –كما سبق ذكره –، والذي رأى في ذلك فرصة سانحة لإثبات الولاء والطاعة للنظام الموحدي الجديد، ولم لا نيل الوجاهة والمكانة التي حظي بها سابقا، إلاّ أنّه وقع ما لم يكن في الحسبان، فسأله الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي (ت 558 هـ/ 1163م) عن المهدي، هل رآه أثناء رحلته المشرقية، أو لقيه في مجلس الإمام أبُو حامد الغزالي (ت505هـ/ 1111م) ببغداد أم لا؟، فقال له: لم ألتق به، وإنّما سمعتُ به، وكان الشيخ – الغزالي – يقول: لا بد من ظهوره، ولعل الخليفة عبد المؤمن بن علي كان ينتظر ردا ايجابيا وقويا من الفقيه ابن العربي، يؤكد من خلاله انتساب الامام المهدي للبيت الشريف، وصحة دعوته، لكن رده كان سلبيا، مما جعله يتعرض لفتن ومحن، محمولا عليه من سلطانه،[1] وثانيهما أنّ الموحدين لم ينسوا دور ابن العربي في التحريض ضدهم، أثناء محاصرة إشبيلية ودخولها، وثالثها هو انتقاده لداوود بن علي الظاهري، ولابن حزم، ووصفهما بالجهالة والسخافة، ووصفه للظاهرية بأنّها هدم للدين، وتبديعه وتجهيله للمنذر بن سعيد البلوطي،[2] كل هذا دفع بالموحدين إلى سجنه بمراكش لمدة سنة، ولم تشفع له خدماته الجليلة (البيعة للحاكم)، وظلّ مغربا عن وطنه، فتمّ تسميمه، فمرض وتوفي سنة 543هـ/ 1148م، ودفن بمقبرة فاس[3].

وعيّن الأمير محمد بن سعد بن مردنيش الفقيه أبو العباس أحمد بن محمد المعروف بابن الحلال (ت 554هـ/ 1159م)، لقضاء مرسية، فاشتهرت سيرته بين العامة فأحبته، وارتقى وارتفعت منزلته، ولقب بقاضي قضاة الشرق، وظل خادماً للدولة الموحدية، مخلصًا لها، ومتقبلا المهمات المسندة إليه، كل ذلك جلب له الشُّهرة والمكانة المرموقة، مما أثار غيرة الحاسدين الطامعين في الدُّنيا، أولهم الأمير نفسه الّذي ولاّه هذا

[1] أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهي المالقي الأندلسي، **تاريخ قضاة الأندلس**، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت، دت، ص 95، ابن عذارى، المصدر السّابق، قسم الموحدين، ص33

[2] عبد الباقي السيّد، دراسات أندلسية ص 144

[3] المقري، نفح، ج2، ص30

المنصب، فلجأ إلى القبض عليه، واعتقله شهورا في أندة، من ثغور بلنسية، إلى أن قتل ليلا في معتقله.[1]

وفي سنة567هـ/ 1171م، قام عمر بن سحنون والي باجة بقتل الفقيه أبو جعفر الأنصاري، ظلمًا وعدوانًا، وقتل معه جماعة من أهل البلد شهوةً وخذلانًا، وساعدهُ في ذلك وزيره، وقاضيه، وشهود السُّوء، وسَفلةَ القوم، في زمن طغى فيه الباطل على الحق، والظلم على العدل، واتهمه بالقيام على الامام الحاكم ومحاولة خلعه، والسيطرة على الملك، وعقد عقود زُورٍ، والّتي أرسل بها إلى الخليفة أبو يعقوب يوسف باشبيلية، فأحال هذا الأخير للفقيه أبو بكر بن الجد النّظر في الحادثة، وطلب منه التّحقيق فيها، وبعد تأدية الفقيه لمهمته بكل شفافية، توصل إلى تبرئة القاضي وأصحابه ممّا حملته تلك العقود المدلسة، ورغم الحقيقة المتوصل إليها، إلاّ أنّ الخليفة لم يقم بمعاقبة الوالي، أو اتّخاذ أيّ إجراء ضده[2].

ويبدو أنّ الولاة قد مُنحت لهم صلاحيات واسعة، فكانوا بمثابة مراقبين، وعيُون ساهرة تحمي الخليفة، ويترصدُونَ كل معرفي مخالف لهم، حيث لجأ محمد ابن سعد والي دانية، إلى قتل كبير فقهاء المدينة ومشاوريها ورأس مفتيها، **ابن عز النّاس**، في رمضان 566هـ/ 1170م، الّذي قتل ظلمًا، بعَد الوشاية والسّعاية من حاسديه ومنافسيه.[3]

وبرع **ابن حبيب القصري** في علم الفلسفة، فراقبه حسادهُ، ولاحقتهُ الأَلسُن، فوصلَ خبرهُ للخليفة أبو العلاء إدريس المأمون (ت629هـ/ 1232م) الّذي لاحق الزّنادقة، وأظهر حقده عليهم، ورأى ضرورة تطهير الأرض منهم، فطلبه وقتله، ثمّ صَلَبَهُ.[4]

ولا يمكن أن ننسى النّكبة الّتي تعرّضَ لها المحدّث والمؤرخ والمحدّث **ابن الأبّار** الأندلسي، حيث قام هذا الأخير بعد نفيّه إلى بجاية، ظلّ يكاتب ويُراسل السُّلطان الحفصي المستنصر مستعطفًا إيّاه، إلى أن سمح له بدخول حضرته، والمقام عنده، لكن تعلُّق ابن الأبّار بالسُّلطة، وحبّه للجاه، جعله يرتكب أخطاء، عجّلت بنكبته، وهو تطفله على الحياة الشَّخصية للخليفة، إذ أنّه حضر يوما مجلس السّلطان، فسمعه يسأل الحضور عن مولد ولده الواثق، وفي اليوم التّالي قدم ابن الأبّار برقعة فيها تاريخ الولادة، فلما رآها المستنصر استشاط

[1] ابن الأبار، المعجم، ص48

[2] ابن عذارى، المصدر السّابق قسم الموحدين، ص 129، بولطيف، فقهاء المالكية، ص 296

[3] ابن الأبار، التكملة، ج3، ص 204، 205

[4] ابن سعيد، المغرب، ج1، ص296، المقرّي، نفح، ج3، ص186.

غضبا، ولا تزال وشايات الحسّاد توغر صدر السلطان، وتتّهم ابن الأبّار عنده، والتّحذير من خطره، ومكروه يأت منه يُصيب الدّولة، فأمر السلطان بالقبض عليه، وأمر بضربه بالسيّاط، فقُتل قعصًا بالرّماح، صبيحة الثلاثاء الحادي والعشرين من المحرم 658هـ/ 1260م.[1]

بناء على ما سبق، يُمكن القول أنّ بعض الحكام قام بالتّخلص من بعض الشّخصيات المعرفية المؤثّرة، والبارزة في المجتمع الأندلسي، والّتي صارت تُشكّل خطرًا على ملكهم، فقاموا بالحدّ من نفوذهَا والتّخلُص منها، وإفساح المجال لأعداءِ تلك الشّخصيات للحدّ من نفوذها، وإبعادهم عن السّاحة السياسية، وعزلهم عن المجتمع، والسُّكوت عن ما بدر منهم نحوهم.

5- إحراق الكتب:

لم تكن ظاهرة حرق الكتب غريبة في الأندلس، بل سبقتها أحداث مماثلة، كحرق كتب ابن حزم وأبو حامد الغزالي وغيرها، وقد أدرك الحكام الموحدين أنّ المعرفة التي يؤلفها أصحابها، وما حوته من أفكار ومفاهيم، قد تُشكّلُ خطرًا على وجودهم السياسي، والنّظام المعرفي القائم، لذا تمّ الوقوف ضد كل ما هو دخيل ومحاربته، ولا يتوافق مع تطلُّعاتهم، وقد نقلت المصادر أحداثًا متعدّدةً لإحراق الكتبِ بالأندلس عند الموحدين.

ومما يُلفت الانتباه أنَّ الموحدين قاموا بعملية إحراق الكتب على غرار المرابطين الّذين شنّوا حرباً ضدّ كتب أبو حامد الغزالي، إذ أمر الدّاعية المهدي ابن تومرت في إطار سياسته المناهضة للمرابطين على العمل بالحديث والأصلين (أصول الفقه، وأصول الدين) وألحّ على ذلك، وقام خليفته عبد المؤمن بن علي (ت 558 هـ/ 1163م)، بتجسيد فكرته،[2] إذ أمرَ بإحراق كتب الفروع، وردّ النّاس إلى قراءة الحديث، وكَتب بذلك إلى جميع طلبة المغرب والعدوة الأندلسية،[3] وإقدامه على ذلك لم يكن الهدف منه القضاء على المذهب المالكي في حدّ ذاته، بل كُرهه لعلم الفروع الّذي اعتبره نوع من المعرفة الفقهية الّتي تقتصر على الحدّ الأدنى من الفقه، يكفي لتصريف أمور الناس ومشاكلهم اليومية، واعتبر منتحلوه علماء وليسوا فقهاء، همُّهم الجاه وطلب الرّزق والاحتكاك بالسلطان.[4]

---

[1] ابن الأبار، إعتاب، ص17، 18

[2] ابن القطان، المصدر السّابق، ص90

[3] ابن أبي زرع، المصدر السّابق، ص 195

[4] عبد الواحد المراكشي، وثائق، ص114

وواصل حفيده الخليفة أبو يوسف يعقوب الموحدي (ت 595هـ/ 1198م) المتشدّد للمذهب الظّاهري معارضته للمالكية، وأجبر النّاس على العمل بالأثر، وأقبل على حرق الكثير من كتب الفروع، وشدّد على ذلك،[1] بعد أن يُجرّد ما فيها من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، والقرآن الكريم، كمدونة ابن سحنون، وكتاب ابن يُونس، ونوادر بن أبي زيد ومختصره، وكتاب التهذيب للبراذعي، وواضحة بن حبيب، فخافه الفقهاء،[2] أي الاعتماد على القرآن الكريم، والسنة النبوية، وإبعاد كتب الفقه التي اقتصرت على جمع أحاديث معينة، وجعلها بين النّاس للحفظ والدّراسة والعمل بها،[3] كلُّ ذلك للتَّمكين للمذهب الظّاهري، فوجد هذا العمل قبُولاً عند الخاصّة والعامة، وقد هجاه الفقيه الظّاهري أبو عبد الله محمّد بن عبد الله بن مروان التّلمساني (ت601هـ/1204م) بأبيات شعرية، قائلا:

أسيّدَنا يا ابنَ الامامين أَمرُكُم منَوط بأمر الله ما عنه مَعدِلُ
نُصِرتُم لأنَّ الحقَّ آنَ ظُهُوره ونَاصرُه في الله ما كانَ يُخذَلُ
أَزَلتُم على ما يَنفع النَّاس جهلها وعلّمتم في الدّين ما كان يُجهلُ
وأَوردتم السَّلسال من شفَّه الظَّمَأُ أوان جرى ذَاكَ الحديث المسلسلُ
قطعتُم فُرُوعًا قد أضرَّت بأَصلها ألا هكذَا من كان بالعدل يَشمل[4]

ويبدو أنّ الخليفة لم يلجأ إلى إزالة مذهب الامام مالك في حد ذاته، ومن الغرب الاسلامي مرةً واحدةً، لأنّه كان مالكيًا حقًا، بل أقدم على صرف النّاس عن حفظ مؤلفات بسيطة لا تتضمن إلاّ أحكامًا جامدة، ولم يرض عن كُتُبِ الفروع والمختصرات،[5] ويقول عبد الواحد المراكشي الّذي كان شاهدًا على عملية الاحراق:" لقد شهدتُ منها، وأنا يومئذ بفاس، يُؤتى منها بالأحمال، ويُطلق فيها النّار، وتقدّم إلى النّاس في ترك الاشتغال بعلم الرأي والخوض في شيء منه، وتوعد ذلك بالعقوبة الشّديدة، وأمر جماعة ممن كان عنده من العلماء المحدّثين بجمع أحاديث من المصنّفات العشر، .. فأجابوه إلى ذلك، وجمعوا ما أمرهم بجمعه "، ويذكر

[1] الذهبي، سير، ص 519، الذهبي، العبر، ج3، ص113
[2] عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص354، لخضر بولطيف، **الفقه والتاريخ في الغرب الاسلامي " مقاربات منهجية"**، ط1، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013م، ص180
[3] حسن علي، المرجع السّابق، ص486
[4] ابن سعيد، الغصون، ج1، صص30، 31
[5] عبد الواحد المراكشي، وثائق، ص220

أبو بكر بن الجد ما حدث له مع الخليفة أبو يعقوب في هذا الأمر، عندما دخل عليه أول مرة، فوجد بين يديه كتاب ابن يُونس، فقال له: " يا أبا بكر، أنا أنظر في هذه الآراء المتشعبة التي أُحدثت في دين الله .. "، فيقول أبو بكر حاولت اقناعه، وأبيّن ما أُشكل عليه، لكنّه قطع كلامي، وقال:" يا أبا بكر، ليس إلاّ هذا، وأشار إلى المصحف، أو هذا: وأشار إلى كتاب سنن أبي داوود، وكان عن يمينه، أو السيف،[1] وهذه الشهادات الحية، تنقل حقيقة ما أقدم الخليفة، والحملة القوية التي قادها ضد كتب الفروع، مع ضرورة الرجوع إلى الكتاب الكريم والسنة النبوية.

وفي نفس السيَّاق، طالت عملية إحراق الكتب أحد كبار فقهاء المالكية أبي الحسن بن زرقون (ت 621هـ/ 1224م)، صاحب كتاب " المعلّى في الرّد على المحلّى" ردا على ابن حزم "،[2] فأمر الخليفة المنصور بإحضار كُتبه الّتي ورثها عن والده الّتي كانت تساوي أموالا كبيرة في كلّ صنفٍ تشتمل عليه من الرّأي وفيه، وطُرحت في النّار فأُحرقت جميعها.[3]

ونالت **الكتب الفلسفية** نصيبها من الحرق على غرار كتب الفروع، إذ تصدّى الخليفة المنصور لابن رشد الحفيد (ت595هـ/ 1198م)، الّذي صار في نظره رمزًا للتيّار المعرفي المعارض له، وقيامه بتشجيع الفلسفة الّتي اعتبرها الفقهاء ضارّة غير نافعة، فَأَصدَرَ مرسومًا وجّهه إلى مراكش والحواضر الأندلسية، يحذر فيها ضعيفي النُفوس من النّاس الأخذ بالفلسفة، والّتي أصبحت تُشكل خطرًا على الدّين الاسلامي،[4] ويرجع سبب حرق كتبه إلى الحظوة الكبيرة الّتي نالها عند الخليفة، وأصبح سلطان العقول والأفكار، ولا رأي إلاّ رأيه، ولا قول إلاّ قوله، مما آثار حسد الفقهاء الناقمين عليه، وممن ينافسونه،[5] ويوازونه في البيت وشرف السلف، فقاموا بدسّ طلبة في مجالسه، يدرسون عنده، ويستميلونه، ويسألونه في الفلسفة، فيجيبهم بالشرح المستفيض، فدونوا ذلك، وقاموا بنقلها عنه، وكأنها من رأيّه، وأشهدوا على ذلك مائة من الحاضرين، وقام

[1] عبد الواحد المراكشي، المصدر السّابق، ص354، 355.

[2] ابن فرحون، المصدر السّابق، ج2، ص260، ابن الأبّار، التّكملة، ج2، ص124

[3] ابن دحيّة، المصدر السّابق، ص222

[4] عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص395، ابن عذارى، البيان، قسم الموحدين، ص226، ابن عبد الملك، المصدر السابق، المجلد 4، ص226.

[5] ابن رشد الحفيد، فصل المقال ص12

حساده برفع تلك الملخصات إلى الخليفة، وطالبوا بعقابه لانحلال عقيدته[1]، فاستدعاه بمحضر الكبار من قرطبة، فقال له: أخطك هذا؟ فأنكر ذلك، فقال: لعن الله كاتبه، وأمر الحاضرين بلعنه، فأمر بإخراجه من المدينة، ونفيّه، وإحراق كتبه، وجميع الكتب الفلسفية، وحظر الاشتغال بالفلسفة والعلوم جملة، ما عدا الطب وعلم النجوم والحساب.[2]

وكان للكاتب أبو عبد الله محمّد بن عيّاش التّجيبي دور هام في التّحريض على ابن رشد الحفيد وإحراق كُتُبِهِ، إذ وضّح للخليفة والعامّة فساد أفكاره الفلسفية، وحذّره منها، ومن أتباعه الّذين أصبحوا يُشكّلون خطرًا على العقيدة، وأمر بإحراق كتبه، قائلا: " ومن عُثر له على كتاب من كتبهم، فجزاؤه النّار الّتي بها يُعذَّبُ أربابهُ، وإليها يكونُ مآلُ مؤلِّفهِ وقارئهِ ومآبهِ، ومتى عُثر منهم على مُجرٍ في غُلوائهِ عم عن سبيل استقامته واهتدائه، فليُعَاجِل فيه بالتَّثقِيفِ والتَّعرِيفِ ".[3]

ومن ثمّ وُجّهت له تهمًا من خُصُومهِ ومنتقدُوه من الظّاهرية، وما تضمّنته كتبه من تناقضات، مثل قولهم أنّه أنكر أن يكون خبر الرّيح الّتي أهلكت قوم عادٍ صحيحا، في قوله " والله وجود قوم عاد ما كان حقا، فكيف سبب هلاكهم "، ونهوا النّاس عن الأخذ عنه، وجاهدوه بالمنافرة والمجاهرة، وأصدر الخليفة المنصور أمرًا بعِقَابهِ، وحرقِ كتبهِ.[4]

ويجب أن ننوّه أنّ ابن رشد الحفيد راهن على السّلطان، وقام بمخاطبته من أجل تنويره، باعتباره صاحب السّلطة السيّاسيّة، وإعطاء الصبغة الدّينية والسياسية للفلسفة فقط، وما النّكبة الّتي تعرض لها إلاّ سوى تعبير عن صدام فعلي بين منظومة فقهية تعتمد على النّص والأثر والتّضيّيق على الاجتهاد.[5]

والظَّاهرُ أنّ تعقُّب الكُتب، والقيام بإحراقها، لم تقتصر على الحكام والأمراء والكُتّاب فقط، بل تعدّى ملاحقتها من العلماء الكبار أنفسهم، أمثال الفقيه والمحدّث أبو الربيع بن سالم الكلاَّعي (ت 634هـ / 1237م) الّذي ظلّ يتبرّم من الكتاب ومنتقدًا له، وكان ينحي باللاّئمة على الامام الغزالي في اختيار عنوان

[1] العقاد، المرجع السّابق، ص23

[2] ماجد فخري، **ابن رشد فيلسوف قرطبة**، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1960م، ص 11

[3] ابن عبد الملك، المصدر السّابق، المجلّد 4، ص29، انظر الملحق رقم7

[4] عبد الباقي السيّد، الظاهرية والمالكية، ص400

[5] زاير أبو الدهاج، العقيدة والدّولة، ص242.

كتابه إحياء علوم الدين، حتّى وصل به الأمر إلى القول: " متّى ماتت العلوم حتّى يقوم بإحيائها، فهي مازالت حيّة، وسوف تبقى كذلك "،[1] إضافة إلى جميع المصنّفات الكلامية والفلسفية الّتي ترفضها السُّلطة المرابطية، ومن ورائها الفقهاء الأداة الفعالة من الداخل.

إضافةً إلى ما سبق، يبدو أنّ أهل المعرفة الأندلسيين، تمّ ملاحقتهم من الحكام غير الموحدين، ومثال ذلك ما تعرّض له ابن الأبّار من الخليفة الحفصي المستظهر بالله، إذ أمر هذا الأخير كاتبه أحمد ابراهيم الغسّاني بتفتيش كُتبه ودفاتره، فعثر فيها –كما يزعم – على رقعة فيها هجاء للسُّلطان، كقوله:

طغى بتونس خلف سمّوه ظلما خليفة

وعُثر في كتاب سمّاه كتاب التّاريخ، و في محتواه ما يُسيء للسُّلطان، فغضب المستنصر، وأمر بقتله، وإحراق مجلّدات كتبه، وأوراق سماعه، ودواوينه، فأُحرقت جميعها، وكانت نحوا من خمس وأربعين تأليفا.[2]

واستنتاجًا، إنَّ أهل المعرفة من حكام وفقهاء ومتصوفة وفلاسفة صاروا رمزًا، ومعقد الآمال في وحدة الأندلس، وبقاء الاسلام فيها، وفي بناء دولة الموحدين الجديدة، فنال كل منهم القيادة الفعلية، وكلما ازداد السُّلطان – السياسي – حاجةً له، ازداد رفعةً وقوةً، مما سمح له بفرض رأيّه من الدّاخل، لكن ذلك لم يمنع من حدوث تشنج في هذه العلاقة في بعض فتراتها من الطرفين معًا، وكثيرًا ما وجدَ أهلُ المعرفةِ صعوبةً في التَّواجدِ في حضرةِ السُّلطانِ – الحاكم – بل حتَّى في المحافظة عليها، فأصبحَ الخطرُ محدقاً بهم، من تقلبِ أهواءِ الحاكم من جهة، وأصحاب النُّفوذ من جهةٍ أخرى، فأثَّر ذلك عليه، وأَودَى بحياته، فالناَّجون قليلون، [3] كما أنَّ إشكالية السُّلطة السياسية وأهل المعرفة هي إشكالية حقيقة فرضت نفسها، وأثبتت حضورها عبر التّاريخ الاسلامي، لا سيما في الفترات الحرجة، أو ما يُسمّى بالفتنة أو الاضطرابات الدّاخلية، ونجح المالك الفعلي للسّلطة السيّاسية من إقناع العلماء و في مقدّمتهم الفقهاء، بخطورة الاشتغال بالسيّاسية الّتي تلسع كل من يقترب منها، حتّى وصل ببعض أهل المعرفة إلى ترك السيّاسة لأهلها، ولعنها في غالب الأحيان، لما ينجر عنها

[1] الفيومي، المرجع السّابق، ص170

[2] ابن الأبار، إعتاب، ص17، 18، المقري، أزهار الرياض، ج2، ص206، 207

[3] أومليل، المرجع السّابق، ص101

من مهلكة ومضرّة،[1] وتتقاطع إلى حدّ بعيد السياسة الّتي انتهجها السياسي ضد أهل المعرفة بالمشرق، مع نظيرتها بالغرب الاسلامي خاصة بالأندلس.

وختامًا، حاولت قدر الامكان إبراز التّأثير والتّأثر القائم بين السّلطة المعرفية والسّلطة السياسية، والتّأكيد على عُمق العلاقة بينهما، وإبراز مدى التّداخل الحاصل خلال فترة الموحدين، مؤكدًا على التّعاون والتّلاحم والبناء من جهة، والتّصادم والخلاف من جهة أخرى.

[1] عبد المجيد الصغير، **الفكر الأصولي وإشكالية السّلطة العلمية في الاسلام – قراءة في نشأة علم الأصول ومقاصد الشّريعة–**، ط1، دار المنتخب العربي للدّراسات والنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، 1994م، ص12

خاتمة:

من خلال هذه الدّراسة توصلت إلى جملة من النتائج الهامة.

1- برزت في عهد الموحدين معارف متنوعة، قادها أهل المعرفة من حكام وفقهاء ومتصوفة وفلاسفة، وسخّر كل منهم نفسه لذلك، واستغل وقته في طلب العلم والتّزود بالمعارف، وظلّ حريصًا على لقاء المشّايخ، وقراءة الكتب، ليجدَ نفسه مالكًا للمعرفة وقائدًا لها، فبادر إلى التّأليف والتّعليم، وإقامة المجالس والمناظرات العلمية، في المعارف المكتسبة والمتضلّع فيها، كالفقه والفلسفة والتّصوف وغيرها، فبرز أعلام في هذا المجال، أمثال محمّد المهدي ابن تومرت، أبو بكر بن العربي، والقاضي عيّاض، وأبو بكر ابن طفيل، وابن رشد الحفيد، ومحي الدّين ابن عربي وغيرهم، داعين إلى وضع منهج جديد قائم على الحريّة الفكرية والانفتاح والتّجديد والابداع، وكسر الجمود المعرفي، بينما لم يلجأ البعض منهم للتأليف، رغم غزارة علمه وتنوع معارفه، ومكانته السياسية والاجتماعية المرموقة، أمثال أبو الحسن ابن زرقون وغيره، والّذين ظلُّوا حريصين على تلقين معارفهم بين أبناء المجتمع.

2- برز المعرفي كمصلح اجتماعي في عهد الموحدين، وقائدًا لقاطرة التّغيّير والتّصدي للواقع المعاش، ويأت الحاكم الموحدي في المقدمة، والّذي عمل على إصلاح المجتمع، بصفته صاحب السُّلطة الشّرعية، بيده الأمر والنّهي، فقام بتغيّير ما به من منكرات، وسار على نهجه الفقهاء الّذين رأوا من واجبهم مساعدة الحاكم في مهامه، والتّصدي لكل ما يضرّ بالمجتمع من آفات سلبيّة، كالغناء، وتعاطي الخمر، والسّرقة، والزّنا، وممارسات أخرى، ومن جهة أخرى وأمام انحطاط الدّولة وضعفها، وتراجع هيبة الحاكم، جعل أهل المعرفة من فقهاء ومتصوفة، عاجزين أمام فساد اجتماعي استفحل وعمّ، والّذي كان سببًا، وبلا شك في تراجع دولة الموحدين بالأندلس وزوالها لاحقًا.

3- في عهد الموحدين (541هـ- 668هـ/ 1146- 1269م)، شهدت الأندلس بروز الكثير من الصالحين الّذين اتّخذوا من التّصوف، والزُّهد عن الدّنيا وطلب الآخرة منهجًا لحياتهم، جعلهم أكثر قُربًا من العامّة، والتّأثير فيها بالمعارف المكتسبة لديهم أوّلاً، وبالأعمال الخيرية الّتي تميّزوا بها عن غيرهم من جهة ثانية، كالوعظ والتّذكير والارشاد، وقضاء حوائج النّاس، والتّضامن مع الطبقة العامة من فقراء ومساكين ومحتاجين، وتقديم يد المساعدة لهم، فكثر أتباعهم أو مريديهم.

4- ساهم الحكام العلماء والفقهاء كسُلطة معرفية، في توحيد العدوتين المغربية والأندلسية في عهد الموحدين، والمساهمة في مشروع الجهاد ضد النّصارى، بل المشاركة فيه، وحماية الاندلس من السُّقوط في أيدي الممالك النّصرانية، وتأخير عملية الاسترداد لقرون.

5- حظيَّ أهل المعرفة باحترام وتقدير السياسي، ونال أغلبهم مكانة سياسية رفيعة، وسلطة وجاه كبيرين، وأعطيت لهم ولايات كالحسبة والقضاء والشورى والمظالم، ومنحت لهم صلاحيات واسعة لممارستها، فكانت هذه الفئة القوّة الّتي أقام عليها السياسي دولته.

6- في الوقت الّذي التزم فيه أهل المعرفة بخدمة السُّلطان الموحدي بالأندلس، واعتبروا ذلك من الواجبات لجأ بعضهم إلى معارضة الحاكم سلميًا، والقيّام بنقد نظام الحكم، والعزوف عن تولي الولايات الادارية للدولة كالقضاء والشُّورى وغيرهما، في حين لجأ البعض الآخر إلى التمرُّد وقيادة ثورات ضدّهم، كثورة ابن قسّي وثورة مدينة لبلة وغيرهما، والّتي شملت أغلب المدن، مستغلين نفوذهم الاجتماعي، ومناصبهم الدّينية والسياسية (القضاء، الحسبة) غطاء لذلك، فالتفَّ الشَّعبُ حولهم، لكنّهم فشلوا في تحقيق مبتغاهم، وهنا تنطبق مقولة ابن خلدون أنّ العلماء أبعد عن السياسة "، ويضيفُ قائلاً: " أنهم معتادون النّظر الفكري، والغوص على المعاني، فلا تزال أحكامهم وأنظارهم كلّها في الذّهن، ولا تصير إلى المطابقة، .. والسياسة يحتاج صاحبها إلى مراعاة ما في الخارج، وما يلحقها من الأحوال ويتبعها، فإنّها خفيّة "،[1] إضافة إلى عدم وجود منهج - ديني - واضح، وفقدانهم للعصبية القبلية، مما جعلها ثورات اعتباطية، ليس لديها قاعدة قوية وهدف واضح، بل قامت من أجل الفتنة فقط، والوصول إلى السُّلطة، كما أدَّى تعاون البعض من أهل المعرفة مع النّصارى والاحتماء بهم، جعل العامة تنفر منهم، وتنقم عليهم، وتنطوي تحت لواء الموحدين مقتنعةً، ومن ورائهم أهل المعرفة المعتدلين كابن العربي، وأبي بكر بن الجد وغيرهما، كل هذا أثبت تفوُّق السياسي على المعرفي.

7- إنَّ المشاركة الايجابية للمعرفي في النّظام الموحدي، استغلها أعداؤه للإساءة إليه، والاطاحة به، وظلّ السياسي (خلفاء وولاة) يُراقبُ أفعال المعرفي وسلوكاته، ويترصّد تحرّكاته و زلاّته، فكان ردّه قويًا نحوه، لما انتابه الخوف من استمرار نفوذه السيّاسي والاجتماعي المتّواصل، فلجأ إلى استعمال وسائل الاكراه المتاحة لديه، فقام بالتّضييق والملاحقة والنّفي والتّعذيب والسّجن والقتل، وقد أتيحت لولاة الأقاليم (نواب الخليفة)

[1] ابن خلدون، العبر، ج1، ص 745، 746

صلاحيات واسعة للقيام بذلك، الّذين لم يتوانوا في التّنفيذ، ورأوا في المعرفي– فقهاء وفلاسفة ومتصوّفة – منافسين لهم، وامتد نفوذه إلى إحراق الكتب الّتي أصبحت تُشكّل خطرًا على منهج النّظام القائم، وذلك بدعم ومساندة الفقهاء وغيرهم الموالون للحاكم الذّابون عن سياسيته.

8- كُتب التّاريخ ضربان، ضرب يُعتنى فيه بذكرِ الملوك والسّادات والحروب وبناء البلدان وفتحها والحوادث العامة، وضرب يُبيّن فيه أهل العلم والقضاة وفُضلاء الرُّؤساء وأهل المقامات الشّريفة المحمودة،[1] وعلى هذا الأساس حاولت إبراز الدّور الايجابي للمرحلة المدروسة، وأنّ المعرفة متكاملة، ولا يُمكن حصرها في فترة زمنية معيّنة، فهي أساس التّواصل بين الشُّعوب والدُّول في آنٍ واحدٍ، فالتّاريخ وسيلة للبناءِ وليس للهدمِ.

وختامًا، فالسّلطة المعرفية ببلاد الأندلس في عهد الموحدين لها وزنها الاجتماعي والسياسي والّتي لم تأت من العدم، أو وُجدت صدفة، بل نتيجة تراكمات معرفية سابقة، استطاع منتحلوها توظيفها في جميع مجالات الحياة، في حين تبقى السُّلطة المعرفية الّتي لا يُمكن حصرها زمنيًا بحاجةٍ إلى دراسةٍ أكثر تعمُّقًا، بل للمزيد من المسح خلال الفترة الوسيطية، مشرقًا ومغربًا وأندلسًا، من أجل رصد الأحداث وفهم التّحولات.

[1] الرّصاع، المصدر السّابق، ص ي ك

الملاحق

الملحق الأول: الحكام الموحدون

1- محمد بن تومرت المهدي (515هـ- 524هـ/ 1121م - 1130م)

2- عبد المؤمن بن علي (524هـ- 558هـ/ 1130م - 1163م)

3- أبو يعقوب يوسف (558هـ- 580هـ/ 1163م - 1184م)

4- أبو يوسف يعقوب المنصور (580هـ- 595هـ/ 1184م - 1198م)

5- أبو عبد الله محمد النّاصر (595هـ – 610هـ/ 1198م – 1213م)

6- يوسف المستنصر (611هـ – 619هـ/ 1214م – 1223م)

7- عبد الواحد المخلوع (620هـ – 621هـ/ 1223م – 1224م)

8- أبو محمد عبد الله العادل بن المنصور (621هـ – 624هـ/ 1224م – 1227م

9- أبو العلا إدريس المأمون بن المنصور (626هـ – 629هـ/ 1228م – 1232م)

10- أبو محمد عبد الواحد الرشيد بن المأمون (630هـ – 640هـ/ 1232م – 1242م)

11- أبو الحسن علي السعيد المعتضد بالله بن المأمون (640هـ – 646هـ/ 1242م – 1248م)

12- أبو حفص عمر المرتضي بن إسحاق بن المنصور (646هـ – 656هـ/ 1248م – 1266م)

13- أبو العلا إدريس الواثق أبو دبوس (656هـ – 668هـ/ 1266م- 1269م)

عبد الواحد المراكشي، وثائق المرابطين والموحدين، صص 67، 68

الملحق الثّاني: المناظرة التّي جمعت بين محمد المهدي ابن تومرت والفقهاء سنة 515هـ/ 1121م، بمراكش

كان ذلك في مجلس الخليفة المرابطي علي بن يوسف (ت 537هـ/ 1143م)، عندما استدعاه لمناظرة العلماء بمراكش، لأجل امتحان ما بحوزته من معارف، فاستجاب له، فقال الخليفة: " إنّما بعثت لكم لتختبروا أمره، فإن كان عالما اتبعناه، وإن كان جاهلا أدبناه، فأكثروا الكلام، وأخذوا في الملام، وكان المهدي عالما بالجدال، فقال لهم: قدّموا من تقوم به حُجتكم، وتأدّبُوا بأدب أهل العلم، وسلّموا عند شُروط المناظرة، واتركوا اللّجاج، وقدموا أحدكم ممن تثقون بمعرفته وتقدمه، وكان جُل من حضر ذلك المجلس من الفقهاء، أصحاب حديث وفروع، وليس فيهم من له معرفة بالأصول والجدل، فكان أوّل ما سألهم عنه، أن قال للذي تقدم للكلام: أيُّها الفقيه، أنت لسان الجماعة المتقدّم للكلام، فأخبرني: هل تنحصر طرق العلم أم لا ؟ فأجابه: هي تنحصر في الكتاب والسنّة، والمعاني الّتي بُنيت عليهما، فقال له المهدي: إنّما سألتك عن طرق العلم، هل تنحصر أم لا ؟، فلم تذكر إلاّ واحدة منها، ومن شرط الجواب أن يكون مطابقا للسؤال، فلم يفهم مقالته، وعجز عن الجواب، ثمّ سأله عن أصول الحق والباطل، ما هي ؟ فعاد إلى جوابه الأوّل، فلمّا رأى عجزه، وعجز أصحابه عن فهم السؤال وفحوى الخطاب، ولم تكن لهم معرفة بالجواب: شرع في تبيّين أصول الحق والباطل، فقال لهم: أمّا أصول الحق والباطل فهي أربعة: العلم والجهل والشك والظن، فالعلم أصل للهدى، والشك والجهل والظن أصل للظلال، ثمّ أخذ في تبيّين طرق العلم، فبهرهم بطريق أنوار العلم، وغلقت دونهم أبواب الفهم، وعجزوا عن جوابه، ولم يفهموا له معنى خطابه، فلما عرفوا باهر علمه، وإصابة معرفته، أخذتهم فضيحة العجز، وركنوا إلى ظلمة الجحد والانكار، فلبسوا عليه، وقالوا لأمير المسلمين علي بن يوسف: هذا رجل خارجي مسعور، أحمق، صاحب جدل، ولسان يُضل جهال النّاس، وإن بقي بالمدينة، يُفسد عقائد أهلها، وينشر لك عند النّاس، حتّى يرسخ ذلك في قلوب أكثر العامة، فأمره أمير المسلمين علي بالخروج من المدينة، فخرج منها ".

ابن أبي زرع، الأنيس، ص 176

الملحق الثالث: المرشدة

" اعلم أرشدنا الله وإيّاك، أنّه وجب على كل مكلف أن يعلم أنّ الله عزّ وجلّ واحد في ملكه، خلق العالم بأسره، العلوي والسُّفلي، والعرش والكرسي، والسّموات والأرض، وما فيهما وما بينهما، جميع الخلائق مقهورون بقُدرته، لا تتحرك ذرة إلاّ بإذنه، موجود قبل الحق، ليس له قبل ولا بعد، ولا فوق ولا تحت، ولا يمين ولا شمال، ولا أمام ولا خلف، ولا كل ولا بعض، لا يتخصص في الذّهن، ولا يتمثل في العين، لا يتصور في الوهم، ولا يتكيّف في العقل، لا تلحقه الأوهام والأفكار، ليس كمثله شيء وهو السّميع البصير، ليس معه مدبر في الخلق، ولا له شريك في الملك، حيّ قيّوم، لا تأخذُهُ سنة ولا نوم، عالم الغيب والشّهادة، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السّماء، يعلم ما في البرّ والبحر، وما تسقط من ورقة إلاّ يعلمها، ولا حبّة في ظلمات الأرض، ولا رطب ولا يابس إلاّ في كتاب مبين، أحاط بكلّ شيء علما، وأحصى كل شيء عددا، فعّال لما يُريد، قادر على ما يشاء، له الملك والغناء، وله العزّة والبقاء، وله الحُكم والقضاء، وله الأسماء الحسنى، لا دافع لما قضى، ولا مانع لما أعطى، لا يرجو ثوابا، ولا يخاف عقابا، ليس عليه حق، ولا عليه حكم، فكل نعمة منه فضل، وكل نقمه منه عدل، لا يُسأل عمّا يفعل وهم يُسألون، لا يُقال متى كان؟ ولا كيف كان؟ كان ولا مكان، كوّن المكان، ودبّر الزّمان، لا يتقيّد بالزمان، ولا يتخصص بالمكان، لا يلحقه وهم، ولا يُكيّفه عقل، ليس كمثله شيء وهو السّميع البصير ".

محمّد بن تومرت، أعزُّ ما يُطلب، تق وتح: عمار طالبي، ص226

الملحق الرابع: رؤية أبو بكر بن العربي ومنهجه في التعليم

" هذا الّذي قدمنا ذكره من فساد الزمان، وتغيُّر الأحوال، قد أنذر به المصطفى صلى الله عليه وسلم قبل وقوعه كما قدمنا، وأخبر أنّ الاسلام بدأ غريبا، وسيعود غريبا كما بدأ، وأنّ المنكر يصير معروفا، والمعروف منكرا، ومع هذا فإنّه قال:" لا تزال طائفة من أمتّي منصورين على الحق، لا يضرهم من خالفهم "، وتدعي كل طائفة ذلك، زُيّن لها عملها، وجاءها كتابها وأجلها، وعلى المرء أن يجتهد في ابراز الدليل، واظهار الحق، والهدى هدى الله، يهبه لمن يشاء، وإذا بان الدليل، يبقى خلق القبول، فلا أبين من أدلة الله تعالى، على يدي رسل الله، بآياته الطاهرة، ثمّ يبقى القبول على قوم كثير لم يرزقوه، والّذي يجب على الولي في الصبي المسلم، كان أبا أو وصيًّا، أو حاضنا، أو الامام، إذا عقل أن يُلقنه الايمان، ويُعلمه الكتابة والحساب، ويحفظه أشعار العرب العاربة، ويُعرفه العوامل في الاعراب، وشيئا من التّصريف، ثمّ يحفظه إذا استقل واشتد في العشر الثّاني كتاب الله، وهو أمر وسط بيننا وبين أهل المشرق، ثمّ يحفظه أصول سنن الرسول، وهي نحو من ألفي حديث في الأبواب، تضمنها البخاري ومسلم، هي عماد الدّين، ويأخذ هو بعد ذلك نفسه بعلوم القرآن، ومعاني كلماته، .. ولا يُفرط في علوم الفرائض، فأنّها أصل الدين، وهو أول ما يذهب من المسلمين، فبالسنة يفرضها، وبالحساب يقسمها، ولا يخل نفسه عن الأنساب، ولا عن شيء من أصول الطب، وليتخذ عبارة أصلا، ولا يقل متّى أحصل هذا؟، فإنّه ليس المطلوب منها الغاية، فإنّها لا تنالها الأفراد، وإنّما ينبغي لكل عاقل أن يتخصص بجزء منها، ولا يفرد نفسه ببعض العلوم، فيكون إنسانا في الّذي يعلم، بهيمة في ما لا يعلم، ولا سيما من أقام عمره حسابا أو نحويا، فقد هلك، فإنّه بمنزلة من أرد صنعة شيء، فحشد الآلة عمره، ثمّ مات، قبل عمل صنعته، ولا يُصغ إلى من يقول له: تكن مُقصرا في كل علم إذا فعلت هذا، والأولى بك أن تقف نفسك على علم واحد، فإنّه قول جاهل بالعلم، إذ أخذ المرء نفسه بهذا القانون الّذي رسمناه، سيعتمد على ما يراه أوكد، ويجعل الباقي تبعا ..."

أبو بكر بن العربي، العواصم من القواصم، تح: عمر طالبي، ص369، 370، 371

الملحق الخامس: بيعة الإمام الخليفة أمير المؤمنين أبي يوسف أيّدهم الله بنصره وأمدّهم بمعونته.

قال ابن مُغَاوِر عفا الله عنه: وكتبتُ عن أهل شاطبة عند مبايعتهم الإمام الخليفة أمير المومنين أبو يُوسف بن سيّدنا أمير المؤمنين بنِ الخليفة الأعظم سيّدنا ومولانا أمير المومنين أيّدهم الله بنصره وأمدّهم بمعونته ويُسره البيعة المكتُوبة في شهر جُمادى الآخرة عام ثمانين وخمس مائة، وهذا نصّها:

" بسم الله الرّحمن الرّحيم صلّى الله على محمّد وعلى آله الكرام.

الحمد لله الّذي أيّد فئةَ التّوحيد ونصرها، وقدّسها وطهّرها، ووفقّها لطاعته ويسّرها، ...ولما كمُلَ هذا الأمر العظيم، وأُبرِمَ هذا العقدُ الكَريمُ، أَجمَعَ الملأُ من أهلِ شاطبةَ وأعمالها إجماعًا شرعيًّا، التزموه حتمًا مقضِيًا على ما أجمعَ المِلأُ الأَفخمُ والجَمعُ الأَعظَمُ عليه، وانقادُوا طائعين متبرّعين مغتبِطِينَ مرتَبِطِينَ إليه، فركبوا سمتهم الأوضَح، ورأيهُم الأَنجَح الأَرجَح، سَنَنًا ومنهَاجًا، ودَخَلُوا طَاعَتَهُ المبَارَكَة السَّعِيدةَ الميمُونَةَ أَفوَاجًا، وبَايَعُوا الخَليفَةَ الإِمَام أَمير المومنين على ما بَايَعَهُ عَلَيهِ الجَمعُ الأَعظَمُ بَيعَةَ رِضوَانٍ، وَأَمنٍ وأَمَانٍ، بِنِيَّاتٍ خَالصَةٍ صَادقَةٍ، وآرَاءٍ مُتَوَافِقَةٍ مُتَنَاسِقَةٍ، على الإِيمَانِ والأَمَانَةِ، والعَدلِ والعِبَادَةِ والدّيَانَةِ، والسَّمعِ والطَّاعَةِ، في المنشَطِ والمكرِهِ، والعُسرِ واليُسرِ، وعلَى حُكمِ الكتَابِ والسُنّةِ والجَمَاعَةِ، لاَ يَلحَقُهَا بِحَولِ الله نَكَث ولاَ نَقض حتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ، بيعَة مُؤَكَدَة، وصَفقَةً رَابِحَةً نَاجِحَةً مُسَدّدَةً، بِصُدُورٍ مُنشَرِحَةٍ، وآمَالٍ مُنفَسِحَةٍ، أَعطَوا بِهَا صَفقَةَ أَيدِيهِم، وَثَوَّبُوا إِعلاَنًا بِهَا في نَادِيهِم وَوَادِيهِم، وَحَاضِرِهِم وَبَادِيهِم، والتَّوفيقُ بِمَشيئَةِ الله تَعَالَى يُنَاجِيهِم ويُنَادِيهِم، عَالمينَ عَارفينَ بِأَنَّ يَدُ الله فَوقَ أَيدِيهِم، وهوَ بِفَضلِه وكرمِهِ يُرشدهُم ويُسدّدهُم ويَهديهِم، وأَشهَدُوا على اعتقادهَا والتِزَامها، على أَتَمّ شُرُوطهَا وأَعمّ أَحكَامِهَا، – اعتباطًا وارتبَاطًا، وعَدلاً وقِسطًا –، الله الّذي لا إله إلاّ هو عَالِمُ الغيب والشَّهَادة، وكفى بالله شهيدًا مُبدئًا ومُعيدًا، عَليمًا عَزيزًا حَكيمًا { فَمَن نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفسِهِ وَمَن أَوفَى بِمَا عَاهَدَ اللَه عليهِ فَسَنُؤتِيهِ أَجرًا عَظِيمًا }، شَهِدَ بهذَا العَهدِ العَظِيمِ، والميثَاقِ الكَرِيمِ المِلأُ من شَاطِبَةَ وَعَمَلِهَا فِيمَن شَاهَدَهُ، وكَتَبَ بِهِ شَاهِد عَلى نَفسِهِ بِالوَفَاءِ في وقتِ كَذَا وكَذَا ".

بن شريفة محمد، ابن مغاور الشاطبي – حياته وأثاره، ط1، د ط، 1994م، ص134، 138

الملحق السّادس: نقد أبوبكر ابن العربي المذهب الظاهري وحكم الموحدين.

قال أبو بكر ابن العربي: " أُمّة سخيفة، تسوّرت على مرتبة ليست لها، وتكلمت بكلام لم تفهمه، تلّقوه من إخوانهم الخوارج، حين حكَّم علي – رضي الله عنه – يوم صفين، فقالت: لا حكم إلّا لله، وكان أوّل بدعة لقيت في رحلتي القول بالباطن، فلما عُدت، وجدت القول بالظاهر قد ملأ به المغرب سخيف من بادية إشبيلية يعرف بابن حزم، نشأ وتعلق بمذهب الشافعي، ثم انتسب إلى داود، ثم خلع الكلّ، واستقل بنفسه ، وزعم أنه إمام الأمة، يضع ويرفع، ويحكم ويشرع، يَنسب إلى دين الله ما ليس فيه، ويقول عن العلماء ما لم يقولوا، تنفيرا للقلوب منهم، وخرج عن طريق المشبّهة في ذات الله وصفاته، فجاء فيه بطوامّ، واتفق كونه بين قوم لا بصر لهم إلاّ بالمسائل، فإذا طالبهم بالدّليل كاعُوا، فيتضاحك مع أصحابه منهم، وعضدته الرئاسة بما كان عنده من أدب، وبشُبه كان يُوردها على الملوك، فكانوا يحملونه، ويَحمُونه، بما كان يُلقي إليهم من شبه البدع والشّرك، و في حين عودي من الرّحلة، ألفيت حضرتي منهم طافحة، ونار ضلالهم لافحة، فقاسيتهم مع غير أقران، و في عدم أنصار إلى حُسّاد يطؤون عقبي، تارة تذهب لهم نفسي، وأخرى ينكشر لهم ضرسي، وأنا ما بين إعراض عنهم أو تشغيب بهم، وقد جاءني رجل بجزء لابن حزم سمّاه نُكتُ الاسلام فيه دواهي، فجردت عليه نواهي، وجاءني آخر برسالة في الاعتقاد فنقضتها برسالة الغرة، والأمر أفحش من أن يُنقض، يقولون لا قول إلاّ ما قال الله، ولا نتبع إلاّ رسول الله، فإنّ الله لم يأمرر بالاقتداء بأحد، ولا بالاهتداء بهدي بشر ، فيجبوا أن يتحققوا أنّهم ليس لهم **دليل**، وإنّما هي سخافة في تهويل، فأُوصيكم بوصيتين: ألاّ تستدلوا عليهم، وأن تطالبوهم بالدّليل، فإنّ المبتدع إذا استدللت عليه، شغّب عليك، وإذا طالبته بالدّليل لم يجد إليه سبيلا، فأمّا قولهم: لا حكم إلاّ الله، فغير مسلَّم على الاطلاق، بل من حكم الله أن يجعل الحكم لغيره في ما قاله وأخبر به، صحَّ أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، قال: " وإذا حاصرت أهل حصن، فلا تُنزلهم على حكم الله، فإنّك لا تدري ما حكم الله، ولكن أنزلهم على حكمك "، وصحَّ أنّه قال: " عليكم بسُنّتي وسنّة الخلفاء "

الذّهبي، سير أعلام النّبلاء، ج18، ص 188، 189

الملحق السّابع: مكاتبة أبو عبد الله بن عيّاش للخليفة المنصور يحذّره من الفلاسفة

وكتب عن المنصور في هذه القضية، كاتبه أبو عبد الله بن عيّاش، كتابا إلى مراكش وغيرها، يقول في ما يخص حالهما منه: " وقد كان في سالف الدّهر قوم، خاضوا في بحور الأوهام، وأقرّ لهم عوامّهم بشُفوف عليهم في الأفهام، حيث لا داعي يدعو إلى الحيّ القيُّوم، ولا حاكم يفصل بين المشكوك فيه والمعلوم، فخلّدوا في العالم صحفا ما لها من خلاق، مسوّدة المعاني والأوراق، بُعدُها من الشريعة بعد المشرقين، وتباينها تباين الثّقلين، يُوهمون أنّ العقل ميزانها، والحق بُرهانها، وهم يتشعّبون في القضية الواحدة فرقا، ويسيرون فيها شواكل وطُرقا، ذلكم بأنّ الله خلقهم للنار، وبعمل أهل النّار يعملون { ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يُضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون }، النحل: الآية 25، ونشأ منهم في هذه السّمحة البيضاء شياطين إنس { يُخادعون الله والّذين آمنوا وما يخدعون إلاّ أنفسهم وما يشعرون } البقرة: 9 ، { يُوحي بعضهم إلى بعض زُخرُف القول غُرورا ولو شاء ربُّك ما فعلوه فذرهم وما يفترون }، الأنعام: 112، فكانوا عليها أضرّ من أهل الكتاب، وأبعد عن الرّجعة إلى الله والمآب، لأنّ الكتّابي يجتهد في ضلال، ويجدُّ في كلال، وهؤلاء جهودهم التّعطيل، وقُصاراهم التّمويه والتّخييل، دبّت عقاربهم في الآفاق بُرهة من الزّمان، إلى أن أطلعنا الله سبحانه منهم على رجال، كان الدّهر قد سالمهم على شدّة حروبهم، وأغفى عنهم سنين على كثرة ذنوبهم، وما أُملي لهم إلاّ ليزدادوا إثما، وما أُمهلوا إلاّ ليأخذهم الله الّذي لا إله إلاّ هو وسع كل شيء علما، ومازلنا – وصل الله كرامتكم – نُذكرهم على مقدار ظنّنا فيهم، وندعوهم على بصيرة إلى ما يُقربهم إلى الله سبحانه ويُدنيهم، فلما أراد الله فضيحة عمايتهم، وكشف غوايتهم، وُقف لبعضهم على **كتب** مسطورة في الضلاّل، موجبة أخذ كتاب صاحبها بالشّمال، ظاهرها موشّح بكتاب الله، وباطنها مصرّح بالإعراض عن الله، لُبّس فيها الإيمان بالظلم، وجيء منه بالحرب الزّبون في صورة السّلم، مزلة للأقدام، وسمٌّ يدبُّ في باطن الإسلام، أسياف أهل الصليب دونها مفلولة، وأيديهم عمّا يناله هؤلاء مغلولة، فإنّهم يُوافقون الأمّة في ظاهرهم وزيّهم ولسانهم، ويخالفونهم بباطنهم وغيّهم وبهتانهم، فلما وقفنا منهم على ما هو قذى في جفن الدّين، ونكتة سوداء في صفحة النُّور المبين، نبذناهم في الله نبذ النّواة، وأقصيناهم حيث يُقصى السُّفهاء من الغواة، وأبغضناهم في الله، كما أنّا نُحبُّ المؤمنين في الله، وقلنا: اللّهمَ إنَّ دينك هو الحقّ اليقين، وعبادك هم الموصوفون بالمتّقين، وهؤلاء قد صدفُوا عن آياتك، وعميت أبصارهم وبصائرهم عن بيّناتك، فباعد أسفارهم، وألحق بهم أشياعهم حيث كانوا وأنصارهم، ولم يكن بينهم إلاّ قليل وبين الالحام بالسيف في مجال ألسنتهم، والإيقاظ بحدّه من

غفلتهم وسنتهم، ولكنّهم وقفوا بموقف الخزي والهون، ثمّ طردوا من رحمة الله { ولو ردُّوا لعادوا لما نُهوا عنه وإنّهم لكاذبون }، الأنعام: 28، فاحذروا – وفقكم الله – هذه الشّرذمة على الإيمان، حذركم من السُّموم السّارية في الأبدان، ومن عُثر له على كتاب من كتبهم، فجزاؤه النّار التي بها يُعذب أربابه، وإليها يكون مآل مؤلفه وقارئه ومآبه، ومتى عُثر على مجر في غلوائه عم عن سبيل استقامته واهتدائه، فليُعاجل فيه بالتّثقيف والتّعريف { ولا تركنوا إلى الّذين ظلموا فتمسّكم النّار وما لكم من دون الله من أولياء ثمّ لا تُنصرون } هود: 113، { أولئك الّذين حبطت أعمالهم } آل عمران 22، { أولئك الّذين ليس لهم في الآخرة إلاّ النّار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون } هود: 16، والله تعالى يُطهّر من دنس الملحدين أصقاعكم، ويكتب في صحائف الأبرار تظافركم على الحق واجتماعكم، إنّه منعم كريم ".

ابن عبد الملك المراكشي، الذّيل والتّكملة، المجلّد 4، ص 27 – 29

قائمة

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

- المصادر:

1- ابن أبي أصيبعة (ت668هـ/ 1164م)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، مكتبة دار الحياة، بيروت، لبنان، دت.

2- ابن أبي زرع الفاسي (كان حيا 726هـ/ 1325م)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م

3- ابن الأبّار أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ت658هـ/ 1259 م)، التّكملة لكتاب الصّلة، تحقيق: عبد السّلام الهرّاس، دار الفكر للطباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، 1995م.

4-ـــــــــــــ، المعجم في أصحاب القاضي الصدفي، تحقيق: ابراهيم الأبياري، ط1، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1989م.

5- ـــــــــــــ، الحلّة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1985م

6- ـــــــــــــ، إعتاب الكتاب، ط1، تحقيق وتعليق: صالح الأشتر، مطبوعات مجمّع اللغة العربية، دمشق، 1961م.

7- ـــــــــــــ، تُحفة القادم، تعليق: إحسان عبّاس، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1982م

8- ابن الأثير عز الدين أبو الحسن علي (ت630هـ/ 1232م)، الكامل في التاريخ، مراجعة وتحقيق محمد يوسف الدقاق، ط4، المجلد التاسع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2002م

9- الأزدي أبو محمّد عبد الحق بن عبد الرّحمان بن عبد الله (ت 586هـ/ 1190م)، تلقين الوليد الصغير، تحقيق وتقديم: أبي الفضل بدر العمراني الطنجي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2002م

10- ـــــــــــــ، الأحكام الشّرعيّة الصُّغرى، مراجعة وتقديم: خالد بن علي بن محمّد العنبري، تحقيق: أم محمّد بنت أحمد الهليس، ط1، مكتبة العلم، جدّة، 1993م

11- ابن الإخوة محمد بن محمد بن أحمد القرشي (ت769هـ/ 1329م)، معالم القربة في أحكام الحسبة، تحقيق: محمد محمود شعبان وصديق أحمد عيسى المطيعي، ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1976م.

12- الباجي أبو الوليد سليمان ابن خلف الأندلسي (ت 474هـ/ 1081م)، كتاب الحدود في الأصول، تحقيق: نزيه حماد، ط1، مؤسسة الرّعيني للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1973م

13- ـــــــــــــ، فصول الأحكام وبيان ما مضى عليه العمل عند الفقهاء والحكام، تحقيق: محمد

أبو الأجفان، ط1، دار بن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2002م

14- ـــــــــــ ، كتاب المنهاج في ترتيب الحجاج، تحقيق: عبد المجيد تركي، ط3، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 2001م

15- البخاري أبي عبد الله محمد بن اسماعيل (ت256هـ/ 869م)، صحيح البخاري، ط1، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 2002م.

16- برهان الدّين أبي الوفاء إبراهيم، تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، تعليق: جمال مرعشلي، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، 2003م.

17- البسطامي علي بن محمد الدّين بن الشّاهِرودي (ت875هـ/ 1470م)، الحدود والأحكام الفقهية، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1991م.

18- ابن بشكوال أبي القاسم (ت578هـ/ 1182م)، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدّثيهم وفقهائهم وأدبائهم، تحقيق وتعليق: بشار عوّاد معروف، ط1، دار الغرب الاسلامي، تونس، 2010م

19- ـــــــــــــ، الصلة، تحقيق ابراهيم الأبياري، ط1، دار الكتاب المصري، القاهرة، ودار الكتاب اللبناني، بيروت، 1989م

20- البيدق أبو بكر بن علي الصنهاجي (ت القرن06هـ/ 12م)، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دط، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971م

21- التّجاني أبي محمّد عبد الله بن محمّد بن أحمد (ت717هـ/ 1317م)، رحلة التّجاني، تقديم: حسن حسني عبد الوهاب، دط، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1981م

22- التّرمذي محمّد بن عيسى بن سورة، سنن التّرمذي (الجامع الكبير)، تحقيق ودراسة: مركز البحوث وتقنية المعلومات، ط2، المجلّد 2، دار التّأصيل، القاهرة، مصر، 2016م.

23- ابن تومرت محمد المهدي (ت524هـ/ 1130م)، موطأ الامام المهدي، ولاية عموم القطر الجزائري، مطبعة فونتانة الشرقية، الجزائر، 1905م

24- ـــــــــــــ، أعز ما يطلب، تقديم وتحقيق عبد الغني أبو العزم، مؤسسة الغني للنشر، الرباط، المغرب، 1997م

25- ـــــــــــ، أعز ما يُطلب، تقديم وتحقيق: عمار طالبي، الطباعة الشّعبية للجيش، الجزائر، 2007م

26- التّنبكتي أحمد بابا أبو العباس(ت 1036م/ 1626م)، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة، ط2، منشورات دار الكتاب، طرابلس، 2000م

27- ابن تيمية ابن تقيّ الدّين أحمد الحرّاني، مجموع الفتاوي، اعتناء وتخريج: عامر الجزّار وأنور الباز، ط1، دار الوفاء، للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، 1997م

28- الثّعالبي أبي منصور عبد الملك (ت 429هـ/ 1037م)، آداب الملوك، إعداد وتقديم: عبد الحميد حمدان، ط1، عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة، 2007م

29- ابن جبير أبو الحسين محمّد بن أحمد الكناني الأندلسي الشّاطبي (ت614هـ/ 1217م)، رحلة ابن جبير، دط، دار صادر، بيروت، دت.

30- ابن الجدّ أبي بكر محمد بن عبد الله بن يحي الفهري اللّبلي الاشبيلي(ت586هـ/ 1190م)، أحكام الزّكاة، عناية: محمد شايب شريف، ط1، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 2011م

31- ابن جماعة بدر الدين (ت 733هـ/ 1332م)، تحرير الأحكام في تدبير أهل الاسلام، تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، تقديم: عبد الله زيدان آل محمود، ط1، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، 1985م

32- ابن الجوزي جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمان (ت597هـ/ 1200م)، تلبيس إبليس، دار القلم، بيروت، لبنان، دت.

33- الجويني أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، شفاء الغليل في بيان ما وقع في التّوراة والانجيل من التّبديل، تقديم وتحقيق وتعليق: أحمد حجازي السّقا، ط1، دار الشباب للطباعة، القاهرة، 1978م.

34- الجوهري أبو نصر اسماعيل بن حمّاد (ت393هـ/ 1002م)، الصّحاح، مراجعة: محمد محمد تامر وآخرون، دار الحديث، القاهرة، دط، 2009م

35- ابن حبيش أبي القاسم عبد الرحمان بن محمد (ت584هـ/ 1188م)، كتاب الغزوات، تحقيق: أحمد غنيم، ط1، مطبعة حسّان، القاهرة، 1983م.

36- الحميري محمد بن عبد المنعم (ت 727هـ/ 1327م)، الرّوض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عبّاس، ط1، مكتبة لبنان، بيروت، 1975م

37- الخطيب البغدادي أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت463هـ/ 1070م)، الرّحلة في طلب الحديث، تحقيق وتعليق: نور الدّين عتر، ط1، سلسلة روائع تراثنا الاسلامي، دمشق، 1975م

38- ابن الخطيب لسان الدين (ت776هـ/ 1374م)، الاحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عنان، المجلد 4، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1977م

39- ـــــــــــــ، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والدّيار، تحقيق ودراسة: محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، 2002م

40- ـــــــــــــ، أعمال الأعلام في من بُويِّع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام، تحقيق وتعليق: ليفي بروفنسال، ط2، دار المكشوف، بيروت، لبنان، 1956م

41- الخزرجي أحمد بن عبد الصمد (ت582هـ/ 1186م)، مقامع الصلبان، تحقيق وتقديم: عبد المجيد الشرفي، نشرية مركز الدّراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية

42- ابن خلدون عبد الرحمان (ت808هـ/ 1406م)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج4، تق: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت ، لبنان،2001م

43- ابن خلكان أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر (681هـ/ 1386م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، 1988م

44- ابن خير الاشبيلي (ت575هـ/ 1179م)، فهرست ابن خيّر الاشبيلي، تحقيق: بشار عوّاد معروف ومحمد بشار عواد، ط1، دار الغرب الاسلامي، تونس، 2009م

45- ابن دحيّة أبي الخطّاب عمر بن حسن (ت 633هـ/ 1235م)، المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دط، دار العلم للطباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، 1955م.

46- الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت748هـ/ 1347م)، سير أعلام النبلاء، ط1، مؤسسة الرّسالة، بيروت، لبنان، 1984م

47- ـــــــــــــ، تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق وضبط: بشار عواد معروف، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 2003م

48- ـــــــــــــ، الكبائر، عناية: محمّد بن الجميل، ط1، مطابع دار البيان الحديثة، القاهرة، 2001م

49-ـــــــــــــ، ذيول العبر في خبر من غبر، تحقيق وضبط: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1985م

50- ابن رشد الحفيد (ت595هـ/ 1198م)، الضروري في السيّاسة، ترجمة أحمد شحلان، تقديم محمد عابد الجابري، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1998م

51- ـــــــــــــ، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، تعليق وتحقيق وتخريج محمد صبحي حسن حلاّق، ط1، مكتبة بن تيمية، القاهرة، 1989م

52- ـــــــــــــ، الجامع المفيد في أسباب اختلاف الفقهاء عند الامام بن رشد الحفيد، جمع وتحقيق: عبد الكريم حامدي، المجلد الأول، ط1، دار بن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2009م

53- ـــــــــــــ، فصل المقال في ما بين الحكمة والشريعة من الاتّصال، دراسة وتحقيق: محمد عمارة، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1669م

54- ـــــــــــــ، تلخيص كتاب أرسطو طاليس في الجدل، تحقيق وتعليق محمد سليم سالم، دط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1980م

55- ـــــــــــــ، الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الأمّة، إشراف: محمد عابد الجابري، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1998م

56- ـــــــــــــ، تهافت التّهافت، شرح: محمد علي الجابري، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1998م

57- الرّصافي أبو عبدالله محمّد بن غالب البلنسي (ت572هـ/ 1176م)، ديوان الرّصافي البلنسي، جمع وتقديم: إحسان عبّاس، ط2، دار الشروق، بيروت، 1983م

58- الرّصاع أبو عبدالله محمّد الأنصاري (ت 894هـ/ 1488م)، فهرست الرّصاع، تحقيق وتعليق: محمّد العنّابي، ط1، المكتبة العتيقة، تونس، 1967م

59- الرُّعيني أبي الحسن علي بن محمد بن علي الاشبيلي(ت 666هـ/ 1267م)، برنامج شيوخ الرُّعيني، تحقيق: ابراهيم شبوح، دط، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، سوريا.

60- ابن الزُّبير أبي جعفر أحمد بن إبراهيم الغرناطي (ت708هـ/ 1308م)، صلة الصلة، تحقيق: عبد السّلام الهرّاس وسعيد أعراب، دط، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، 1994م

61- الزّركشي أبي عبد الله بن محمّد بن ابراهيم (كان حيًّا سنة 894هـ/ 1488م)، تاريخ الدّولتين الموحدية والحفصيّة، تحقيق وتعليق: محمّد ماضود، ط2، المكتبة العتيقة، تونس، 1966م

62- ابن سحنون محمّد (256هـ/ 870م)، كتاب آداب المعلمين، تحقيق: حسن حسني عبد الوهاب، ط2، الشركة التُّونسية لفنون الرّسم، تونس، 1972م

63- ابن سعيد أبي الحسن علي بن موسى (ت685هـ/ 1286م)، اختصار القدح المعلّى في التّاريخ

المحلّى، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دط، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1959م

64- ـــــــــــــــ، المغرب في حلى المغرب، تحقيق وتعليق شوقي ضيف، ط4، دار المعارف، القاهرة، 2009م

65- ـــــــــــــــ، المغرب في حلى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، ط4، دار المعارف، القاهرة، 1964م

66- ـــــــــــــــ، اختصار القدح المعلّى في التّاريخ المحلّى، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دط، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1959م

67- ـــــــــــــــ، الغصون اليَّانعة في محاسن شعراء المائة السّابعة، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دط، دار المعارف، مصر، 1945م

68- السّقطي محمّد بن أبي محمّد المالقي (ت 616هـ/ 1216م)، في آداب الحسبة، تحقيق: ليفي بروفنسال، دط، مطبعة أرنست لورو، باريس، 1931م

69- ابن سيّدة أبي الحسن علي بن اسماعيل (ت 458هـ/ 1065م)، المخصص، تقديم: ابراهيم خليل جفَّال، ط1، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، لبنان، 1996م

70- السيُّوطي جلال الدّين عبد الرحمان (ت911هـ/ 1505م)، بغية الوعاة في طبقات اللُّغويين والنُّحاة، ط1، تحقيق: محمّد أبو الفضل ابراهيم، مطبعة عيسى البابي وشركاه، القاهرة، 1964م.

71- ـــــــــــــــ، حسن المقصد في عمل المولد، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1985م

72- الشّاطبي أبي أسحاق إبراهيم بن موسى الأندلسي (ت790هـ/ 1388م)، فتاوى الامام الشّاطبي، تحقيق وتقديم: محمّد الأجفان، ط2، مطبعة الكواكب، تونس، 1985م

73- الشّيرزي عبد الرحمان نصر، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، إشراف: مصطف محمود زيادة، دط، مطبعة الجنة للتأليف والنشر والترجمة، القاهرة، 1946م

74- ابن صاحب الصلاة أبو مروان عبد الملك (ت594هـ/ 1198م)، المن بالامامة، تحقيق عبد الهادي التازي، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1964م

75- ابن صاعد الأندلسي (ت 462هـ/ 1069م)، طبقات الأمم، دط، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان، 1916م.

76- الصفدي صلاح الدّين خليل بن أيبك (ت764هـ/ 1362م)، الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد

الأرناؤوط وتركي مصطفى، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 2000م

77- الضَّبي أحمد بن يحي بن أحمد بن عُمير (ت599هـ/ 1203م)، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحقيق ابراهيم الأبياري، ط1، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1989م

78- ابن طفيل أبو بكر محمّد بن عبد الملك (ت 581هـ/ 1185م)، حي بن يقظان، تقديم وتعليق وشرح علي بوملحم، ط1، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1993م

79- ابن عبد ربه أحمد بن محمّد الأندلسي (ت368هـ/ 978م)، العقد الفريد، تحقيق: مفيد محمد فتيحة، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، 1983م

80- ابن عبد الملك أبي عبد الله محمّد بن محمّد الأنصاري الأوسي المراكشي (ت 703هـ/ 1303م)، الذّيل والتّكملة لكتابي الموصول والصّلة، تحقيق وتعليق: إحسان عبّاس وآخرون، ط1، دار الغرب الاسلامي، تونس، 2012م

81- عبد الواحد المراكشي (ت647هـ/ 1249م)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، دط، تحقيق: محمد سعيد العريان، القاهرة، 1962م

82- ـــــــــــــــ، وثائق المرابطين والموحدين، تحقيق: حسين مؤنس، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، 1997م

83- ابن عذارى المراكشي (ت 712هـ/ 1312م)، البيّان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ومراجعة: إحسان عباس، ط2، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1983م

84- ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب – قسم الموحدين-، تحقيق: محمّد إبراهيم الكتّاني وآخرون، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1985م

85- ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة: كولان وليفي بروفنسال، ط2، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1980م

86- ابن العربي أبي بكر (ت543هـ/ 1148م)، المسالك في شرح موطأ الامام مالك، تقديم: يوسف القرضاوي، قراءة وتعليق: محمد بن الحسين السليماني وعائشة بنت الحسين السليماني، ط1، المجلد 1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 2007م

87- ـــــــــــــــ، قانون التّأويل، دراسة وتحقيق: محمّد السُّليماني، ط1، مؤسسة القبلة للثقافة الاسلامية، جدّة، 1986م

88- ـــــــــــــ، أحكام القرآن، مراجعة وتعليق: محمد عبدالقادر عطا، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003م

89- ـــــــــــــ، العواصم من القواصم، تحقيق: عمار طالبي، دط، مكتبة دار التراث، القاهرة، 1994م

90- ـــــــــــــ، عارضة الأحوذي بشرح صحيح التّرمذي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، 1997م

91- ابن عربي محي الدّين (ت638هـ/ 1240م)، رسائل بن عربي، وضع حواشيه: محمد عبد الكريم النمري، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2001م

92- ـــــــــــــ، الفتوحات المكيّة، ضبط وتصحيح: أحمد شمس الدّين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1999م

93- ـــــــــــــ، شرح رسالة روح القدس في محاسبة النفس، جمع وتأليف: محمود محمد الغراب، ط2، مطبعة نضر، دمشق، 1985م

94- ـــــــــــــ، رسائل بن عربي، وضع حواشيه محمد عبد الكريم النمري، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2001م

95- ـــــــــــــ، فصوص الحكم، تعليق: أبو العلاء عفيفي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1946م

96- ابن عطيّة أبي محمّد عبد الحق (ت 542هـ/ 1147م)، المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، دط، دار ابن حزم، دت.

97- ابن العماد شهاب الدّين الحنبلي(ت1089هـ/ 1679م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق وتعليق: محمود الأرناؤوط، ط1، دار ابن كثير، بيروت، لبنان، 1986م

98- عيّاض القاضي، أبو الفضل عيَّاض بن موسى بن عيّاض القاضي (ت544هـ/ 1149م)، الغنية، تحقيق :ماهر زهير جرار، دط، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1982م

99- ـــــــــــــ، الشّفا بتعريف حقوق المصطفى، تقديم وتحقيق: عامر الجزّار، دط، ج1، دار الحديث، القاهرة، 2004م

100- ـــــــــــــ، مشارق الأنوار على صحاح الآثار، تحقيق: صالح أحمد الشّامي، ط2، دار القلم، دمشق، 2018م

101- عيّاض أبي عبد الله محمد (ت576هـ/ 1180م)، التّعريف بالقاضي عيّاض، تقديم وتحقيق: محمد

بن شريفة، دط، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية والثقافة، دت.

102- الغبريني أبو العباس أحمد (ت 714هـ/ 1314م)، عنوان الدراية في من عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق وتعليق: عادل نويهض، ط2، منشورات دار الأفاق، بيروت، لبنان، 1979م

103- الغزالي أبو حامد (ت505هـ/ 1111م)، تهافت الفلاسفة، تحقيق: سليمان دنيا، ط4، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1966م

104- الفارابي أبي نصر محمّد بن محمّد بن طرخان (ت 339هـ/ 940م)، كتاب الموسيقى الكبير، تحقيق: غطاس عبد الملك خشبة، مراجعة محمود أحمد الحفني، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، دت

105- ابن فارس أبو الحسن أحمد (ت395هـ/ 1004م)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1979م.

106- ابن فرحون المالكي (ت799هـ/ 1396م)، الدّيباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق وتعليق: محمّد الأحمدي أبو النّور، دار التراث للطباعة والنّشر، القاهرة، دت

107- الفراهيدي أبو عبد الرحمان الخليل بن أحمد (ت175هـ/ 791م)، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي، دط،، دت.

108- الفيروز أبادي مجد الدين محمد بن يعقوب (ت817هـ/ 1414م)، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف محمد نعيم العرقسوسي، ط6، مؤسسة الرسالة، دمشق، 1998م

109- القرافي أحمد بن إدريس(ت 684هـ/ 1285هـ)، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة، تقديم وتحقيق وتعليق: بكر زكي عوض، ط2، شركة سعد رأفت للطباعة، القاهرة، 1987م

110- القرشي محمد بن محمد بن أحمد، معالم القربة في أحكام الحسبة، تحقيق: محمد محمود شعبان وصديق أحمد عيسى المطيعي، ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1976م

111- القرطبي أبي عبد الله محمّد بن أحمد بن أبي بكر (ت671هـ/ 1272م)، الجامع لأحكام القرآن الكريم والمبيّن لما تضمّنه من السُّنة وأي الفُرقان، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التُّركي، ط1، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2006م

112- القشيري أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن (ت 465هـ/ 1072م)، الرّسالة القشيريّة، وضع حواشيه: خليل منصور، د ط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2001م

113- ابن القطان المراكشي (ت منتصف القرن 7هـ)، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، در

وتق وتح: محمد علي مكي، ط2، دار الغرب الاسلامي، القاهرة، 1990م

114- ابن قيم الجوزية أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت 751هـ/ 1350م)، مدارج السالكين بين منازل إيّاك نعبد وإيّاك نستعين، مراجعة: لجنة من العلماء، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، دت

115- ابن كثير عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ابن عمر القرشي الدّمشقي (ت 774هـ/ 1372م)، البداية والنهاية، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والاعلان، الجيزة، 1998م

116- ـــــــــــــــ، المصباح المنير في تهذيب تفسير بن كثير، إشراف صفي الرحمان المباركفوري، دط، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، 2013م

117- الكلاباذي أبي بكر محمد بن إسحاق (ت380هـ/ 990م)، التّعرف لأهل التصوف، تعليق: أحمد شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993م.

118- المجاري أبي عبد الله محمّد الأندلسي (ت862هـ/ 1457م)، برنامج المجاري، تحقيق: محمّد أبو الأجفان، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1982م.

119- مجهول، (ت ق8هـ/ 13م)، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق: سهيل زكار وعبد القادر زمامة،ط1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 1979م

120- المطرزي أبو الفتح ناصر الدين (ت610هـ/ 1213م)، المغرب في ترتيب المغرب، تحقيق: محمود فاخوري وعبد الحميد مختار، ط1، ج1، مكتبة أسامة بن زيد، حلب، 1979م

121- المغراوي أحمد بن أبي جمعة (ت 920هـ/ 1514م)، جامع جوامع الاختصار والتّبيان في ما يُعرض للمعلمين وآباء الصّبيان، تحقيق وتعليق: أحمد جلولي البدوي ورابح بونار، دط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دت

122- المقرّي شمس الدّين أحمد بن محمّد التّلمساني (ت1041هـ/ 1631م)، نفح الطّيب من غُصن الأندلس الرّطيب، تحقيق: إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، 1988م.

123- ـــــــــــــــ، أزهار الرّياض في أخبار عيّاض، تحقيق: مصطفى السّقا وآخرون، مطبعة لجنة التأليف والتّرجمة والنّشر، القاهرة، 1939م.

124- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمّد بن مكرم (ت711هـ/ 1311م)، لسان العرب، دط، دار صادر، بيروت، دت.

125- النّباهي أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن المالقي الأندلسي (ت في أواخر القرن 08هـ/ 14م)، تاريخ قضاة الأندلس، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت، 1983م.

126- النُّويري شهاب الدّين أحمد عبد الوهاب (ت733هـ/ 1332م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دت.

127- الهندي علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين (ت975هـ/ 1567م)، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ضبط: بكري حياني، تصحيح: صفوة السقا، ط5، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985م،

128- الوزان الحسن بن محمد الفاسي (كان حيًا سنة 957هـ/ 1550م)، وصف إفريقيا، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1983م

129- الونشريسي أبو العبّاس أحمد بن يحي التّلمساني (ت914هـ/ 1509م)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، إشراف محمّد حجّي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1981م

130- ـــــــــــــــ، كتاب الولايات ومناصب الحكومة الاسلامية والخطط الشرعية، نشر وتعليق: محمد الأمين بلغيث، معهد العلوم الاسلامية، جامعة الجزائر، 1985م.

131- ـــــــــــــــ، أسنى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه النّصارى ولم يُهاجر وما يترتب عليه من العقوبات والزّواجر، دط، تحقيق: حسين مؤنس، مكتبة الثّقافة الدّينيّة، بور سعيد، 1996م.

132- اليّافعي أبي محمد عبد الله (ت768هـ/ 1366م)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، وضع حواشيه: خليل المنصور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1997م.

الكتب المعرّبة:

1- أشباخ يوسف، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة وتعليق محمّد عبد الله عنّان، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1996م

2- بالانديه جورج، الأنثروبولوجيا السياسية، ترجمة علي المصري، ط2، مجد المؤسسة الجامعية للدّراسات والنّشر والتّوزيع، بيروت، 2007م.

3- بروفنسال ليفي، ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، المجلّد الثّاني، مطبعة المعهد العالمي الفرنسي للآثار الشّرقيّة، القاهرة، 1955م.

4- ـــــــــــــ، مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية، المطبعة الاقتصادية، الرباط، المغرب، 1941م.

5- دلوز جيل، المعرفة والسلطة، ترجمة سالم يفوت، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1987م

6- شاريل موريس، التّطور المعرفي عند جان بياجة، ط1، المؤسسة الجامعية للدّراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1986م.

7- غليون برهان، نقد السياسة – الدين والدّولة –، ط4، المركز الثّقافي العربي، الدّار البيضاء، المغرب، 2007م.

8- فوكو ميشال، المعرفة والسلطة، عبد العزيز العيادي، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1994.

9- كلافال بول، المكان والسلطة، ترجمة عبد الامير ابراهيم شمس الدين، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1990م.

10- كلاستر بيار و غُوشيه مارسيل، في أصل العنف والدّولة، تعريب وتقديم علي حرب، ط1، دار مدارك للنّشر، دبي، 2013م.

11- هابرماس يورغن، المعرفة والمصلحة، ترجمة حسن صقر، مراجعة ابراهيم الحيدري، ط1،بيروت، لبنان،2001م.

12- هويثي ميراندا أمبروسيو، التّاريخ السيّاسي للامبراطورية الموحدية، ترجمة عبد الواحد أكمير، ط1، مطبعة النّجاح، الدار البيضاء، 2004م.

– المراجع:

1- أبا الخيل محمّد بن إبراهيم بن صالح الحسين، جهود علماء الأندلس في الصّراع مع النّصارى خلال عصري المرابطين والموحدين (483هـ – 640هـ/ 1090م- 1242م)، ط1، دار أصداء المجتمع للنشر والتوزيع، السّعودية، 1998م

2- أبو أسامة شفيق عبد القادر محمّد لامّة، مجالس العلم والمناظرة بالمغرب والأندلس على عهد المرابطين والموحدين، ط1، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 2014م

3- الأشقر عمر سليمان عبد الله، مختارات من سير أعلام النبلاء وتاريخ الاسلام للذهبي، ط1، دار النّفائس للنشر والتّوزيع، الأردن، 2015م

4- أبو رميلة هشام، علاقات الموحدين بالممالك النّصرانية والدّول الاسلامية في الأندلس، ط1، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان الأردن، 1984م

5- أحمد صبحي منصور، الحسبة دراسة أصولية تاريخية، ط1، مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية، 1995م.

6- إسكان الحسين، الدولة والمجتمع في العصر الموحدي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2010م

7- أعراب سعيد، مع القاضي أبي بكر بن العربي، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1987م.

8- أومليل علي، السُّلطة الثقافية والسُّلطة السياسية، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1996م

9- البازعي سعد، مواجهات السلطة – قلق الهيمنة عبر الثقافات، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب،

10- البتيلي محمد بركات، الزُّهاد والمتصوّفة في بلاد المغرب والأندلس حتى القرن 5هـ، دار النهضة العربية، القاهرة، 1966م

11- بن شريفة محمد، ابن مغاور الشاطبي – حياته وأثاره، دراسة وتحقيق: محمد بن شريفة، ط1، د ط، 1994م،

12- بن شريفة محمد، أبو مروان الباجي ورحلته إلى المشرق الإسلامي (564هـ – 634هـ)، مطبعة قضاة، المحمدية، المغرب، 2000م

13- بن عرنوس محمد بن محمد، تاريخ القضاء في الاسلام، المطبعة المصرية الأهلية الحديثة، القاهرة، دت

14- بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان، بيروت، 1957م

15- بن قربة صالح، عبد المؤمن بن علي مؤسس دولة الموحدين، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1991م

16- بليل عبد الكريم، مختصر كتاب المفاهيم المفتاحية لنظرية المعرفة في القرآن الكريم، ط1، مركز معرفة الانسان للدراسات والأبحاث والنشر والتوزيع، عمان، الاردن، 2016م

17- بنسباع مصطفى، السُّلطة بين التّسنُّن والتّشيع والتّصوف ما بين عصري المرابطين والموحدين، ط1، مطابع الشويخ، تطوان، 1999م

18- بوتشيش إبراهيم القادري، تاريخ الغرب الاسلامي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1994م

19- ـــــــــــــ، مباحث في التّاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1987م

20- ـــــــــــــ، إضاءات حول تراث الغرب الاسلامي وتاريخه الاقتصادي والاجتماعي، ط1، دار الطّليعة للطّباعة والنّشر، بيروت، لبنان، 2002م

21- بولطيف لخضر، فقهاء المالكية والتجربة السياسية الموحدية في الغرب الإسلامي، ط1، المعهد العالي للفكر الإسلامي، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، 2009م

22- ـــــــــــــ، الفقه والتاريخ في الغرب الاسلامي " مقاربات منهجية"، ط1، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013م

23- التليلي عبد الرحمان، ابن رشد في المصادر العربية، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002م

24- الجابري محمد عابد، ابن رشد سيرة وفكر، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1998م

25- جريشة علي، أدب الحوار والمناظرة، ط1، دار الوفاء للطباعة والنشر والتّوزيع، المنصورة، مصر، 1989م

26- حركات إبراهيم، مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتّى القرن 9هـ/ 15م،ط1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 2000م

27- الحريري محمد عيسى، الدولة الرستمية بالمغرب الاسلامي، ط3، منشورات دار القلم، الكويت، 1987م

28- حسن علي حسن، الحضارة الاسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين، ط1، مكتبة الخانجي، مصر، 1980م

29- خلاف محمد عبد الوهاب، تاريخ القضاء في الأندلس من الفتح الاسلامي إلى نهاية ق 5هـ/ 11م، ط1، المؤسسة العربية الحديثة، مصر، 1992م

30- الدغيشي أحمد محمد حسين، نظرية المعرفة في القرآن الكريم وتضميناتها التربوية، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 2001م

31- دندش عصمت عبداللّطيف، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحّدين عصر الطوائف الثّاني 510هـ- 546هـ/ 1116م- 1151م، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1988م

32- ربحي مصطفى عليان، إدارة المعرفة، ط2، دار صفاء للنشر والتّوزيع، عمان، 2015م

33- زينون محمد محمد، المسلمون في المغرب والأندلس، دار الكتب، الاسكندرية، 1990م،

34- السّاحلي الحسين أكرّوم بن أحمد، أصول الاحتفال بالمولد النّبوي في المغرب، مراجعة الحسن مكراز، منشورات المجلس العلمي لأشتوكة آيت باها، آغادير، 1439هـ

35- سالم عبد العزيز، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، دار المعارف، لبنان، 1961م

36- ـــــــــــــ، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة، دار المعارف، بيروت، لبنان، 1961م

37- ـــــــــــــ، تاريخ المغرب في العصر الاسلامي، ط2، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، الاسكندرية، 1982

38- السّلاوي أبي العبّاس أحمد بن خالد النّاصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى – الدولتان المرابطية والموحدية، دار الكتاب، القاهرة، 1954م

39- ـــــــــــــ، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954م

40- السيّد أبو مصطفى كمال، تاريخ الأندلس الاقتصادي في عصر دولتي المرابطين والموحدين، مركز الاسكندرية للكتاب، الاسكندرية ، دت

41- ـــــــــــــ، دراسات أندلسية في التاريخ والحضارة، مركز الاسكندرية للكتاب، الاسكندرية، 1997م

42- شفيق محمد عبد الرحمن الرقب، شعر الجهاد في عصر الموحدين، نشر وتوزيع مكتبة الأقصى، عمان، الأردن، 1984م

43- الشّكعة مصطفى، المغرب والأندلس، آفاق إسلامية وحضارة إنسانية ومباحث أدبية، ط1، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1978م

44- الصغير عبد المجيد، الفكر الأصولي وإشكالية السّلطة العلمية في الاسلام – قراءة في نشأة علم الأصول ومقاصد الشّريعة-، ط1، دار المنتخب العربي للدّراسات والنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، 1994م

45- طالبي عمّار، أراء أبي بكر بن العربي الكلاميّة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دت

46- الطبيب عبد الرحمان، أبو عبيدة الخزرجي وجهوده في مجادلة النّصارى بالأندلس من خلال كتابه مقامع الصلبان، تقديم سعيد كفايتي، ط1، الحكمة للطباعة والنّشر والتوزيع، مصر، 2014م

47- العامري محمد بشير، دراسات حضارية في التاريخ الأندلسي، دار غيداء للنشر والتوزيع، الأردن، 2012م

48- العبادي أحمد مختار، صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، ط1، منشأة المعارف، الاسكندرية، 2000م

49- عبيدات محمّد وآخرون، منهجية البحث العلمي، دار وائل للطباعة والنشر، عمان، 1999م

50- عبيدات داوود عمر سلامة، الموحدون في الأندلس، دار الوضّاح للنشر والتّوزيع، عمان، الأردن، 2006م

51- عبد الباقي السيّد عبد الهادي، المالكية والظاهرية وأثرهما في المغرب والأندلس في عهد الموحدين، ط1، دار الآفاق العربية للنشر والتوزيع والطباعة، القاهرة، 2014م

52- ـــــــــــــ، دراسات أندلسية في الفكر والتّاريخ والمذهب،ط1، دار الآفاق العربية للنشر والتوزيع والطباعة، القاهرة، 2018م

53- عبد الحليم محمود، فلسفة بن طفيل ورسالته، ط2، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1999م

54- عبد الخالق فريد، الحسبة في الإسلام على ذوي الجاه السلطان، ط1، دار الشروق، القاهرة، مصر، 2011م

55- العدلولي محمد الادريسي، التّصوف الأندلسي، أسسه النظرية وأهم مدارسه، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2005م

56- العزاوي أحمد، رسائل موحدية، ط1، ق1، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بالقنيطرة، 1995م.

57- العقاد عباس محمود، ابن رشد، ط6، دار المعارف، القاهرة، دت

58- عمر موسى عز الدين، الموحدون في الغرب الاسلامي – تنظيماتهم ونُظُمهم ، دار الغرب الاسلامي، دت.

59- عنان محمد عبد الله، تاريخ الاسلام في الأندلس ، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1990م

60- علاّم عبد الله علي، الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1967م

61- الغامدي خالد بن ناصر بن سعيد آل حسين العبدلي، الصراع العقائدي في الأندلس خلال ثمانية قرون

بين المسلمين والنّصارى، ط1، مكتبة الكوثر للنشر والتوزيع، المملكة العربية السّعودية، 1429هـ/ 2008م

62- الغلبزوري توفيق بن أحمد الادريسي، المدرسة الظاهرية بالمغرب والأندلس، ط1، دار ابن حزم للنشر والتّوزيع، الرياض، 2006م

63- الفاسي عبد الرّحمان، خطّة الحسبة في النّظر والتّطبيق والتّدوين، ط1، دار الثّقافة، الدّار البيضاء، 1984م

64- فتحي ملكاوي وعزمي طه، العطاء الفكري لأبي الوليد بن رشد، ط1، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، الاردن، 1999م

65- فخري ماجد، ابن رشد فيلسوف قرطبة، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1960م

66- فروخ عمر، تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1972م

67- فوزي عيسى، الشّعر الأندلسي في عصر الموحدين، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، 2007م

68- فيلالي عبد العزيز، تلمسان في العهد الزياني، ج2، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، 2002م

69- الفيومي محمد إبراهيم، تاريخ الفلسفة الاسلامية في المغرب والأندلس، ط1، دار الجيل، بيروت، 1997م

70- الكركجي نغم عدنان أحمد، الأزمات الاقتصادية في الأندلس من الفتح حتّى سقوط غرناطة (92هـ – 798هـ/ 711م – 1492م)، دار الكتاب الثقافي للطباعة والنشر والتّوزيع، الأردن، 2018م

71- الكيالي عبد الوهاب وآخرون، موسوعة السياسة، ج3، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،

72- مؤنس حسين، شيوخ العصر في الأندلس، عربية للطباعة والنشر، مصر، 1986م

73- المبارك محمّد، الدّولة عند ابن تيمية، دار الفكر للطباعة والتّوزيع والنّشر، دمشق، 1961م

74- مثنى فليفل سليمان الفضلي، الحياة الاجتماعية في الأندلس خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين، ط1، دار مكتبة عدنان للطباعة والنشر والتوزيع، سورية، 2015م

75- محمد زيان عمر، البحث العلمي- مناهجه وتقنياته، مطبعة خالد حسن الطرابيشي، 1975م

76- محمد عادل عبد العزيز، التربية الاسلامية في المغرب- أصولها الشرقية وتأثيراتها الأندلسية، الهيئة المصرية

العامة للكتاب، مصر، 1987م

77- محمد يحي عبد المجيد، اليّهود في الأندلس، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنّشر، 1970م

78- مخلوف محمد بن محمد بن عمر بن قاسم، شجرة النور الزكيّة في طبقات المالكية، تعليق عبد المجيد خيالي، ط1، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2002م

79- مزاري عبد الصمد توفيق، التّنظيمات العسكرية المغربية في عهدي المرابطين والموحدين، منشورات دار الثّقافة حسن الحسني، المدية، الجزائر، 2009م.

80- ــــــــــــ، النشاط البحري بالغرب الاسلامي في عهدي المرابطين والموحدين، منشورات دار الثّقافة حسن الحسني، المدية، الجزائر، 2010م

81- مسعد محي محمد، كيفية كتابة الأبحاث والاعداد للمحاضرات، ط2، وطبعة الانتصار ، الاسكندرية، 2000م

82- مشهور حسن محمود سلمان، الامام القرطبي شيخ أئمة التّفسير، ط1، دار القلم، دمشق، 1993م

83- المغراوي محمد، الموحدون وأزمات المجتمع، ط1، جذور للنشر، الرباط، 2006م

84- مصطفى مسعد سامية، صور من المجتمع الأندلسي، ط1، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، 1998م

85- المنوني محمد، حضارة الموحدين، ط1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 1989م

86- المنوني محمد وآخرون، التّاريخ الأندلسي من خلال النّصوص، ط1، شركة النّشر والتّوزيع المدارس، الدار البيضاء، 1991م

87- ناصيف نصّار، منطق الفلسفة، ط2، دار أمواج للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2001م

88- النّاجي لمين، رحلات علماء المغربين-الملكية وآثارها العلمية من خلال القرنين 7هـ و8هـ ، ط1، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2016م

89- النّجار حسين فوزي، الاسلام والسياسة- بحث في أصول النّظرية السياسية ونظام الحكم في الاسلام، مطبوعات الشّعب، دمشق، 1969م

90- النّجار عبد المجيد، المهدي بن تومرت، ط1، دار الغرب الاسلامي، القاهرة، 1983م

91- النّجار عبد المجيد، تجربة الاصلاح في حركة المهدي بن تومرت، ط2، هيرندن، فيرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، 1995م

92- نوال عبد الرحمان الشوابكة، أدب الرحلات الاندلسية والمغربية حتى نهاية القرن 9هـ، تقديم صلاح جرار، ط1، دج، دار المأمون للنشر والتوزيع، عمان، الاردن،2008م

– المذكرات والاطروحات الجامعية:

1- بلغيث محمد الأمين، الحياة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الاسلامي، إشراف عبد الحميد حاجيات، المجلد1، قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، السنة الجامعية 2002م/ 2003م

2- بوداعة نجادي، تطور الحياة الفكرية ببلاد المغرب الاسلامي في عهد الدولة الموحدية، إشراف نصر الدين بن داود، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في تاريخ المغرب الاسلامي، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، 2018م/2019م

3- بوعقادة عبد القادر، الحركة الفقهية في المغرب الأوسط بين القرنين 7 و9هـ/ 13 و15م، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في تخصص التّاريخ الوسيط، إشراف لطيفة بشاري، جامعة الجزائر2، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، 2014م/ 2015م

4- بن بلقاسم نور الدّين، المجتمع الأندلسي في العهدين المرابطي والموحدي من نهاية القرن 5هـ/11م إلى بداية القرن 7هـ، إشراف جمعة شيخة، بحث لنيل شهادة دكتوراه الدولة في اللّغة والآداب العربية، كلية الآداب والفنون واللّسانيات، جامعة منوبة، 2004م/ 2005م

5- بن خيرة رقية، الآفات الاجتماعية في الأندلس ما بين القرنين الخامس والسّادس الهجريين (ق11-12هـ)- دراسة في ظاهرة الانحراف -، إشراف بوداود عبيد، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث، تخصص تاريخ الحوض الغربي للمتوسّط، قسم العلوم الانسانية، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر، 2016م/ 2017م

6- زاير أبو الدهاج، العقيدة والدّولة في المغرب الوسيط – فلسفة السُّلطة وحركة التّاريخ-، إشراف بوعرفة عبد القادر، رسالة دكتوراه، قسم الفلسفة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران، 2012م/ 2013م

7- بن منصور آمنة، المناظرة في الأندلس - دراسة في الأشكال والمضامين-، إشراف كروم بومدين، أطروحة مقدّمة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب الأندلسي والحضارة المتوسطيّة، قسم اللّغة والأدب العربي، كلية الآداب واللّغات، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2011م/ 2012م

8- عقون مليكة، إشكالية الامامة في الفكر السياسي العربي الاسلامي – المهدي بن تومرت انموذجا-، إشراف: عبد اللاّوي محمّد، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم، تخصص فلسفة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران، 2012م/ 2013م

9- عومري عقيلة، جدل السلطة العلمية والسياسية في التجربتين المرابطية والموحدية (445- 668هـ/ 1053- 1269م)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث في العلوم الاسلامية، إشراف: سرحان بن خميس، كلية العلوم الاسلامية، قسم اللغة والحضارة الاسلامية، جامعة باتنة1 الحاج لخضر، 2019/ 2020م

10- كرطالي أمين، سلطة شيوخ القبائل العربية في المغرب الأوسط خلال العهد الزياني، أطروحة مقجمة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الوسيط، إشراف مختار حساني، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية، جامعة الجزائر 2 – أبو القاسم سعد الله، 2017م، 2018م

11- محمد عطا الله سالم الخليفات، المغرب والأندلس على عهد الخليفة أبي يعقوب يوسف الموحدي 558هـ- 580هـ/ 1163م – 1184م، إشراف: محمّد نايف العمايرة، رسالة مقدمة إلى كلية الدّراسات العليا استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في التّاريخ، كليّة الدّراسات، جامعة مؤتة، قسم التّاريخ، 2015م

المقالات العلمية:

1- بصديق عبد الكريم، ظاهرة القطيعة والتباعد بين السلطة السياسية والعلماء في المغرب الاسلامي، المجلة التاريخية الجزائرية (ق7-9هـ/13-15م)، المجلد5، العدد1، 2021م

2- بن قري كوثر، الانحراف الأخلاقي في مجتمع الغرب الاسلامي وجهود المتصوفة في معالجته من خلال المدوّنة المنقبية، مجلة الآداب والعلوم الانسانية، مجلد 22، العدد2، 2023م

3- بوتشيش إبراهيم قادري، قراءة في أصول البيعة بالمغرب، عصور جديدة، المجلد7، العدد 26، أفريل 2016م

4- تمورو عبد الصمد، التّقليد العلمي ومجتمع المعرفة في العالم العربي الاسلامي ، من كتاب "مؤسسات العلم والتعليم في الحضارة الاسلامية "، تنيسق : بناصر البعزاتي، ط1، مطبعة النّجاح الجديدة، الدّار البيضاء، 2008م

5- عدالة مليكة، ظاهرة الفقر بالأندلس في العصر الموحدي، مجلة عصور، العدد 24-25، جانفي – جوان 2015م

6- عز الدّين عمر موسى، الرّحلات الأندلسيّة والتّواصل الحضاري " القاضي أبو بكر ابن العربي نموذجاً "، من كتاب الحضارة الاسلامية في الأندلس ومظاهر التّسامح، تقديم محمد مفتاح، تنسيق عبد الواحد أكمير، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2003م

7- عشي علي، التعامل الفقهي مع آفة السّرقة في بلاد المغرب الاسلامي (2هـ- 9هـ / 8م- 15م) صور وتجليات، مجلة الآداب والعلوم الانسانية، المجلد22، العدد1، 2023م

8- غرداين مغنية، عوامل دخول المرابطين والموحدين إلى الأندلس – دراسة مقارنة-، (الأندلس ومسلمو شبه الجزيرة العربية – دراسة سياسية وحضارية)، إعداد وتنسيق عبد الجليل ملاخ وجلول بن قومار، ج1، دار فواصل للنشر والاعلام، غرداية، الجزائر، 2021م

9- مدكور إبراهيم بيومي، " في الفلسفة " من كتاب أثر العرب والاسلام في النهضة الاوروبية، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1970م

10- النّقاري حمو، مجلس المناظرة كمؤسسة للفحص العلمي في الحضارة الاسلامية العربية، من كتاب "مؤسسات العلم والتّعليم في الحضارة الاسلامية "، تنسيق بناصر البعزاتي، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2008م

11- المتوكل هشام، الفقيه والسُّلطان وفق الاصول النظرية السنية، مجلة الحضارة الاسلامية، المجلد 20، العدد الأول، ماي 2019م

الفهارس

فهرس الأعلام

– أ–

ابن الأبار: ص93، 178، 179، 180، 199، 202، 207.

إبراهيم الغسّاني: ص207.

إبراهيم بن محمد الميلي: ص31.

إبراهيم بن همشك: ص114.

أحمد بن عبد الصمد الخزرجي: ص115

أحمد بن عيّاش التّجيبي: ص92.

أحمد بن محمد الهاشمي: ص102.

أحمد بن يحي العبدري: ص133.

أحمد بن يحي التلمساني الونشريسي: ص144.

أدفونش بن شانجة: ص124، 174.

أرسطو: ص81، 83، 84.

إسحاق بن إبراهيم بن يغمور الفاسي: ص178.

أبو إسحاق إبراهيم بن محمد: ص200.

أبو إسحاق إبراهيم بن صناديد: ص108.

أبو إسحاق بن إبراهيم بن محمد: ص154.

أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الذّكواني: ص99.

أبو إسحاق ابراهيم بن عبد الملك: ص107.

أبو إسحاق ابراهيم بن يوسف (ابن المرأة): ص113.

أبو الأصبع بن عبد العزيز الاشبيلي: ص104.

أفلاطون: ص81.

ألفونسو السّادس: ص126.

ألفونسو هنريكير: ص190.

إنوسانت الرّابع: ص122.

أنس بن مالك: ص133.

أيوب بن عبد الله بن أحمد: ص178.

– ب –

ابن بشكوال أبو القاسم: ص75.

أبو بحر الأسدي: ص62.

براز بن محمد المسوفي: ص41، 42، 162.

أبو بكر أحمد بن محمد المخزومي: ص156.

أبو بكر بن الجد: ص49، 55، 62، 104، 105، 108، 111، 153، 162، 163، 173، 197، 201.

أبو بكر بن حبيس: ص41، 162، 190.

أبو بكر بن سمحون: ص75.

أبو بكر الشّاشي: ص29، 55، 61.

أبو بكر بن شجرة: ص162.

أبو بكر عبد الرحمان بن أحمد بن إبراهيم بن أبي ليلى الأنصاري: ص186.

أبو بكر بن العربي: ص42، 49، 54، 56، 60، 61، 62، 68، 72، 74، 84، 94، 99، 102، 108، 132، 143، 162، 164، 182، 183.

أبو بكر بن زهر: ص112.

أبو بكر بن الصائغ: ص63، 78، 80.

أبو بكر ابن طفيل: ص63، 78، 80، 83، 102، 104، 172، 183.

أبو بكر الطرطوشي: ص28، 55، 61، 114، 131.

أبو بكر بن طرخان: ص55

أبو بكر بن عتيق بن عيسى: ص152.

أبو بكر بن عتيق اللاّردي: ص112.

أبو بكر محمد بن خلف اللّخمي: ص89، 98.

أبو بكر بن محمد بن أحمد: ص197.

أبو بكر المرخي: ص177.

أبو بكر بن المرجي: ص108.

أبو بكر بن ميمون: ص93، 106، 111.

أبو بكر الميورقي: ص189.

أبو بكر الوراق: ص24.

أبو بكر يحي بن أحمد: ص170.

أبو بكر يحي بن محمد بن عبد الجبار: ص169.

أبو بكر يحي بن محمّد بن عبد الرحمان بن بقي: ص150.

أبو بكر بن يحي بن أحمد: ص186.

البيدق: ص27، 32.

– ت –

تاشفين بن علي: ص62، 182.

ابن تومرت محمد المهدي: ص15، 20، 27، 28، 29، 30، 31، 32، 33، 34، 35، 36، 37، 38، 39، 40، 44، 45، 49، 54، 55، 58، 59، 65، 68، 73، 95، 96، 97، 103، 110، 136، 150، 161، 162، 183، 185، 188، 190، 193، 194، 203.

ابن تيمية: ص 14

– ج –

ابن جبير الرّحالة: ص199

أبو جعفر الأنصاري: ص202.

أبو جعفر أحمد بن محمد بن عبد الغفور: ص169.

أبو جعفر أحمد بن جريج: ص105.

أبو جعفر أحمد بن ثابت: ص198.

أبو جعفر بن حمدين: ص28، 42، 162.

أبو جعفر بن عطية: ص44، 107.

أبو جعفر الذّهبي: ص198.

الجنيد الامام: ص24.

– ح –

أبو حامد الغزالي: ص12، 29، 48، 55، 61، 80، 81، 85، 97، 99، 102، 114، 188، 201، 203، 206،

ابن الحاج العبدري: ص85.

ابن حبيب القصري: ص202.

ابن حزم: ص186، 203.

ابن حبيش أبو القاسم عبد الرحمان: ص176

ابن حبوس الفاسي: ص43، 164.

أبو حامد الغزالي: ص12، 29، 48، 55، 61، 80، 81، 85، 97، 99، 102، 114، 188، 201، 203، 206،

أبو الحجاج يوسف بن محمد المكلاتي: ص105.

أبو الحسن الأشعري: ص58، 77.

أبو الحسن الاشبيلي: ص101، 104، 153.

أبو الحسن بن الاشبيلي: ص164.

أبو الحسن بن الأخضر: ص62.

أبو الحسن الجياني: ص156.

أبو الحسين بن الحمارة الغرناطي: ص131.

أبو الحسن الزّهري: ص162.

أبو الحسن محمد بن زرقون: ص76، 108، 197، 205.

أبو الحسن سهل بن مالك الأزدي: ص112.

أبو الحسن الشّقوري: ص98.

أبو الحسن علي النّجار (ابن سعدوك): ص90، 151.

أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن هذيل البلنسي: ص155.

أبو الحسن علي بن علي (ابن قطرال): ص109.

أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الرحمان المالكي: ص177.

أبو الحسن علي السّعيد المعتضد بالله المأمون: ص122.

أبو الحسن بن النّعمة: ص 68، 72، 102.

أبو حفص بن عمر: ص169

أبو حفص عمر الهنتاتي: ص44

أبو الحكم بن برجان: ص189.

أبو الحكم بن بطال: ص192

حي بن يقظان: ص183.

– خ –

ابن خلدون عبد الرحمان: ص27، 99، 100.

– د –

داوود بن علي الظّاهري: ص201

ابن دحيّة الكلبي: ص135، 143، 144.

ابن دراج القسطلي: ص127.

– ر –

أبو الرّبيع الكفيف: ص198.

أبو الرّبيع الكلاعي: ص63، 72، 92، 99، 102، 178، 180، 206.

أبو الرّصافي البلنسي: ص44.

ابن رشد الحفيد: ص49، 55، 62، 65، 75، 76، 77، 78، 79، 80، 81، 82، 83، 84، 85، 96، 104، 105، 112، 131، 138، 153، 169، 173، 174، 184، 198، 199، 205،

.206

رشيدة الواعظة: ص 152.

– ز –

أبو زكريا بن غانية: ص171.

أبو زكريا بن يومر الهرغي: ص197.

أبو زكريا يحي الحفصي: ص180.

زياد بن عبد الرحمان بن زياد اللخمي: ص186.

زيان بن مردنيش: ص181.

زينب بنت موسى الضرير: ص59.

– س –

أبو سعيد عثمان بن عبد المؤمن: ص44، 107، 124.

سعيد بن هند: ص46.

أبو سليمان داوود الآندي: ص170.

سليمان الطوفي الحنبلي: ص114.

سيّدة بنت عبد الغني بن علي بن عثمان العبدري: ص155.

ابن سينا: ص80، 81، 85.

– ش –

الشّاطبي: ص84.

– ص –

ابن صاحب الصّلاة: ص58، 59، 104، 162.

أبو الصبر أيوب عبد الله: ص178.

- ط -

أبو طالب عبد الجبار الشّقوري: ص182.

أبو طلحة النّعالبي: ص61.

- ع -

أبو عامر بن الجد: ص192.

أبو العباس أحمد بن إبراهيم: ص156.

أبو العباس أحمد بن أحمد: ص169.

أبو العباس أحمد بن محمد (ابن الحلاّل): ص169، 197، 201،

أبو العباس أحمد بن محمد بن هذيل الأنصاري: ص197.

أبو العباس أحمد بن خليل السّكوني: ص152، 153، 171.

أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي: ص115.

أبو العباس أحمد بن يحي العبدري: ص105، 106.

أبو العباس الجراوي: ص175.

أبو العباس بن العريف: ص189.

أبو العباس القرابي: ص198.

أبو العباس المجريطي: ص104.

ابن عبدون التّجيبي: ص88.

عبد الحق الاشبيلي: ص76، 88.

عثمان بن جامع: ص200.

عبد الرحمان الدّاخل: ص46.

عبد الرحمان بن الحاج الصنهاجي: ص31.

عبد الرحيم بن عبد الرحمان ابن الفرس: ص185.

عبد الرحيم بن الملجوم الفاسي: ص185.

عبد السّلام البرنسي: ص58.

عبد العزيز الصدفي: ص162.

العزيز بن المنصور النّاصر بن علّناس: ص31.

عبد العظيم بن عبد الله البلوي: ص158.

عبد الله بن أبي بكر بن العربي: ص183.

عبد الله بن زرقون: ص42، 108، 163.

عبد الله بن زيدون: ص107

عبد الله بن سهل الغرناطي: ص115.

عبد الله بن فرج بن أحمد (الوراق): ص92.

أبو عبد الله بن الفرس: ص98.

عبد الله بن محسن الونشرسي: ص32.

أبو عبد الله البغدادي: ص151.

أبو عبد الله التّجيبي: ص176.

أبو عبد الله السرقسطي: ص60.

أبو عبد الله السُّلمي: ص70.

أبو عبد الله القليعي: ص60.

أبو عبد الله بن زرقون: ص72.

أبو عبد الله زياد بن عبد الرحمان بن زياد اللخمي (شبطون): ص46.

أبو عبد الله محمد الأنصاري: ص93.

أبو عبد الله محمد القرطبي (الامام): ص70، 132، 144، 165.

أبو عبد الله محمد بن أحمد اللّخمي: ص151، 156.

أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن صالح القيسي: ص158.

أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الحضرمي: ص178.

أبو عبد الله محمد بن حمّاد العجلاني: ص178.

أبو عبد الله محمّد بن عبد الله بن مروان التّلمساني: ص57، 204.

أبو عبد الله محمد بن عبد الرحيم الغرناطي: ص94.

أبو عبد الله محمد بن عبد النّور: ص178.

أبو عبد الله محمّد بن عيّاش التّجيبي: ص154، 206.

أبو عبد محمد بن عيسى (ابن المناصف): ص113، 176.

أبو عبد الله محمد بن منصور الحضرمي: ص29.

أبو عبد الله بن محمد بن يوسف المزدعي: ص68.

أبو عبد الله محمد بن يحي: ص90، 151.

أبو عبد الله محمد اليّحصبي: ص99.

ابن عز النّاس: ص202.

أبو علي عمر الرّندي: ص109.

أبو علي بن حجاج: ص175.

أبو علي بن محمد الأزدي الشلوبين: ص105، 106، 108.

أبو علي الصدفي: ص62.

أبو علي عمر الرّندي: ص109.

أبو علي بن يبقى: ص131.

علي بن أبي بكر: ص200.

علي بن طالب: ص163.

علي بن يوسف: ص34، 35، 36، 47، 110، 122، 182.

علي بن السيّد: ص162

علي بن عيسى بن ميمون: ص41، 162.

علي الجزيري: ص140، 193.

علي الوهيبي: ص192.

أبو عمر بن حربون: ص106.

أبو عمر بن عات: ص178.

أبو عمر بن أحمد بن عبد الملك: ص177.

أبو عمر أحمد بن هارون: ص178.

أبو عمر بن عبد البر: ص75.

أبو عمرو بن حجاج: ص162.

أبو عمرو سليمان بن يحي القيسي: ص147

عمر بن عبد العزيز: ص144.

عمر بن صالح الصنهاجي: ص41، 42، 162.

عمر بن توزرجين: ص107.

أبو العلاء إدريس المأمون ابن المنصور: ص51، 60، 105، 106، 131، 193.

أبو عيسى التّرمذي: ص71

عبد المؤمن بن علي: 15، 31، 38، 39، 40، 41، 42، 43، 44، 45، 50، 55، 58، 59، 65، 68، 93، 96، 97، 101، 104، 106، 107، 118، 123، 130، 134، 153، 157، 162، 163، 165، 168، 190، 191، 192، 196، 197، 200، 201، 203،

عبد الواحد الشرقي: ص32.

عبد اللطيف بن أبي الطاهر أحمد (الذّهبي): ص93.

عماد الدولة أبو النّجا: ص179.

عيسى بن دينار: ص46

عيسى بن علي بن واصل: ص152.

الجنيد الامام: ص24.

- غ -

أبو الغمر بن عزون: ص162، 192.

- ف -

الفارابي: ص79.

فاطمة بنت محمد: ص137.

أبو الفضل بن الفرات: ص61.

– ق –

أبو القاسم أحمد بن عبد الودود: ص169.

أبو القاسم أحمد بن محمد: ص169.

أبو القاسم خلف بن محمد: ص169.

أبو القاسم خلف بن يحي القرطبي: ص109.

أبو القاسم العزفي: ص142.

أبو القاسم بن قسّي: ص41، 188، 189، 196.

أبو القاسم الطرسوني: ص93.

أبو القاسم محمد بن محمد (ابن الحاج): ص113، 163.

أبو القاسم الهوزني: ص60.

القاسم بن محمد (ابن الطيلسان): ص69، 174.

القاسم بن محمد بن أحمد الأنصاري: ص135.

القاضي أبو حفص بن عمر: ص131.

القاضي عيّاض: ص48، 61، 72، 112، 131، 143، 183، 191.

قرغوس بن العباس: ص46.

القّشيري: ص25، 64.

ابن القطان: ص143.

ابن القيّم الجوزية: ص24.

– ك –

ابن الكاتب محمد بن عبدالرحمان: ص90.

الكيّا الهرّاسي: 29.

– م –

مالك بن أنس: ص46، 47، 58، 73، 74، 77، 186.

مالك بن وهيب: ص35، 62،

المبارك بن عبد الجبار: ص29.

أبو محمد أحمد بن علي: ص168.

أبو محمد الرّشاطي: ص63.

أبو محمد عاشر الأنصاري: ص98، 101، 112.

أبو محمد عبد الواحد: ص107.

أبو محمد عبد الحق بن عبد الله الأنصاري: ص113.

أبو محمد عبد الله بن أيوب الأنصاري: ص76، 171.

أبو محمد عبد الله بن علي الرّشاطي: ص177

أبو محمد عبد الله بن عيسى: ص196.

أبو محمد عبد الله بن يحي: ص94.

أبو محمد عبد العزيز بن أبي بكر القرشي المهدوي: ص184.

أبو محمد عبد المنعم ابن الفرس الغرناطي: ص68، 98، 106، 109.

أبو محمد عُليم بن عبد العزيز: ص150، 155.

أبو محمد المالقي: ص164، 173.

أبو محمد بن جبل: ص164.

أبو محمد بن عتاب: ص62

أبو محمد بن عبد الله بن أبي حفص بن علي: ص164، 192.

أبو محمد بن الصفار: ص173.

أبو محمد بن الياسمين: ص99، 105.

محمد البشير: ص38.

محمد بن أحمد (ابن المجاهد): ص186.

محمد بن أحمد بن أبي العافية اللّخمي: ص92.

محمد بن إبراهيم: ص198.

محمد بن سعد بن مردنيش: ص169، 171، 200.

محمد بن عبد المؤمن: ص133.

محمد بن عمر بن عبد المؤمن: ص176.

محمد بن علي بن خلف التّجيبي: ص93.

محمد بن حسن بن محمد بن يوسف بن خلف الأنصاري: ص178.

محمد بن يحي الشلطيشي (ابن القابلة): ص188، 189.

محمد بن يوسف بن عمران المزدعي: ص159.

محمد بن يوسف بن هود: ص193.

محي الدّين ابن عربي: ص19، 73، 85، 132، 174، 176، 184.

أبو مروان الباجي: ص154، 179.

أبو مروان عبد الملك بن مسرّة اليّحصبي: ص 115.

ابن مردنيش: ص118، 172.

المستنصر بالله الموحدي: ص134.

المستنصر بالله الحفصي: ص199، 202، 203.

المستظهر بالله الحفصي: ص207.

أبو المعالي الجويني: ص114.

ابن معيشة: ص185.

ابن المغيلي: ص185.

أبو المكارم هبة الحسين المصري: ص177.

ابن المنذر الأعمى: ص190.

منذر بن سعيد البلوطي: ص201.

المنصور بن أبي عامر: ص120.

أبو موسى هارون بن عبد الله بن محمد بن هارون السُّماتي الاشبيلي: ص151.

أبو موسى عيسى بن عمران: ص173.

موسى بن سعيد: ص41، 42، 162.

المرتضى لأمر الله (الخليفة): ص51، 91، 132، 143،

– ن –

النّاصر بن المنصور (الخليفة): ص105، 176، 185، 200،

نظام الملك السّلجوقي: ص28، 90.

نصر الدّين المقدسي: ص60.

ابن النغريلة: ص123.

– هـ –

ابن هاني العمري: ص93.

هشام بن عبد الرحمان الدّاخل: ص 46.

– و –

أبو الوليد القرطبي: ص200.

أبو الوليد ابن طريف: ص62.

أبو الوليد محمد بن عمر بن المنذر: ص181.

– ي –

أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن: ص44، 51، 55، 59، 63، 78، 83، 89، 104، 107، 112، 118، 119، 122، 125، 126، 129، 153، 158، 165، 172، 173، 175، 176، 184، 186، 202.

أبو يوسف يعقوب (المنصور): ص51، 57، 59، 78، 89، 91، 92، 94، 97، 104، 105، 106، 107، 111، 119، 124، 128، 129، 130، 131، 133، 134، 135، 139، 153، 158، 185، 193، 198، 199، 204، 205.

يحي بن أبي بكر الصحراوي: ص191.

أبو يحي بن أبي محمد: ص174.

أبو يحي بن المنصور: ص184.

يحي بن علي بن غانية المسوفي: ص191.

يحي بن عبد الله بن بكير المخزومي: ص73.

يحي بن يحي اللّيثي: ص46.

يحي بن يومر: ص192.

يوسف عبد الواحد بن المستنصر بالله: ص158.

يوسف بن تاشفين: ص33، 47، 120، 123، 125،

يوسف بن الجزيري الجراوي: ص31.

يوسف بن سليمان: ص43.

فهرس الأماكن:

– أ –

الإسكندرية: ص28، 30، 55، 200.

إشبيلية: ص41، 43، 44، 89، 93، 96، 98، 107، 108، 112، 118، 125، 128، 131، 151، 153، 162، 163، 164، 169، 179، 182، 183، 189، 192، 193، 194، 196، 201، 202.

إفريقية: ص92، 120.

أندة: ص138، 169، 197، 202.

الأندلس: ص28، 33، 43، 44، 46، 47، 48، 50، 51، 53، 55، 56، 62، 63، 78، 88، 89، 91، 92، 93، 96، 97، 99، 102، 106، 107، 113، 118، 119، 120، 121، 122، 123، 124، 125، 126، 128، 129، 133، 137، 138، 150، 157، 158، 168، 170، 173، 174، 177، 181، 182، 186، 188، 189، 191، 192، 193، 194، 196، 201.

ألمرية: ص28، 170، 177، 188، 194، 200.

أليسانة: ص123، 198.

أنيشة: ص178 .

أوريولة: ص169.

– ب –

باجة: ص43.

بجاية: ص30، 40، 199، 202.

برشانة: ص138.

برقة: ص42.

بطليوس: ص43، 181، 194.

بلنسية: ص109، 176، 180، 197، 202.

بلاد السودان: ص128.

بيزة: ص122.

– ت –

تادلا: ص49.

تلمسان: ص40، 58، 96.

تونس: ص180، 199.

تينملل: ص36.

– ج –

الجزيرة الخضراء: ص40، 43، 47، 162، 164، 170، 172، 190، 191، 193.

جزيرة طريف: ص162.

جزيرة شقر: ص155، 194، 197.

جنوة: ص122 .

جيان: ص43، 152، 170، 194.

– د –

دانية: ص147، 180.

– ر –

رندة: ص43، 164.

– س –

سبتة: ص40، 62، 142، 191.

سلا: ص40، 41، 131.

– ش –

شاطبة: ص92، 109، 165، 194.

شريش: ص42، 118، 132، 169، 181، 186.

شلب: ص181، 188، 189، 190، 196.

شنترين: ص119، 177، 181.

شنتمرية: ص43.

– ط –

طرابلس: ص125.

طليطلة: ص115، 126، 181.

طنجة: ص42.

– ع –

العراق: ص29.

– غ –

غرناطة: ص43، 44، 62، 89، 108، 109، 122، 123، 124، 151، 158، 164، 170، 194، 198.

– ف –

فاس: ص40، 89، 96، 193، 201.

– ق –

قادش: ص43، 162.

قرطبة: ص28، 43، 44، 62، 89، 90، 92، 96، 98، 109، 112، 115، 118، 120، 122، 123، 125، 128، 131، 153، 156، 163، 164، 170، 174، 184، 188، 192، 198. قسنطينة: ص30.

قصر أبي دانس: ص128.

قلعة رياح: ص124.

قونكة: ص157.

– ل –

لبلة: ص43، 62، 124، 176، 189، 192، 197.

– م –

ماردة: ص194.

مارتلة: ص189.

مالقة: ص41، 109، 131، 140، 148، 158، 164، 169، 170، 172، 193، 194.

مراكش: ص34، 40، 42، 50، 62، 89، 91، 92، 107، 122، 128، 150، 157، 162، 163، 191، 192، 193، 197، 201.

مرسية: ص62، 68، 98، 109، 113، 147، 150، 169170، 193، 198، 201.

مصر: ص55، 200.

مكة المكرّمة: ص200.

المغرب: ص51، 55، 92، 96، 97، 109، 118، 125، 132، 157، 168.

ملاّلة: ص31، 58.

المهدية: ص30.

ميورقة: ص147.

– و –

وادي آش: ص198.

وهران: ص40.

– ي –

اليمن: ص200.

فهرس المحتويات

- مقدّمة.....1- 8
الفصل التمهيدي .....9 – 25
أولا– السُّلطة 10– 16
1- لغة ..... 10 - 12
2- اصطلاحا ..... 12 - 14
3- مصدر السُّلطة ..... 14 - 16
ثانيا – المعرفة 16- 25
1- لغة 16- 17
2- اصطلاحا 17- 19
3- المعرفة عند ابن تومرت ..... 20 - 21
4- أنواع العرفة ..... 21 - 22
5- المعرفة والعلم ..... 23 - 25
الفصل الأوّل: المعرفة عند الموحدين ..... 26 – 66
أولا – المعرفة وتكوين الدّولة ..... 27 – 39
1- المهدي ابن تومرت وتوظيف المعرفة ..... 27 - 28
1.1- الرّحلة في طلب العلم ..... 28 - 30
2.1- الدّعوة التُّومرتيّة ..... 30 - 31
3.1- ابن تومرت والبُنيّة المعرفيّة 31- 34
4.1- ابن تومرت في حضرة السُّلطان المرابطي ..... 34 - 36
5.1- ابن تومرت وتأسيس السُّلطة المعرفيّة في الشّمال ..... 36 - 39
2- عبد المؤمن بن علي على منهج شيخه ..... 39 - 45
1.2- تأسيس الدّولة الموحدية بالمغرب ..... 39 - 40
2.2- عبد المؤمن يضّم الأندلس ..... 41 - 45

ثانيا– عوامل ازدهار المعرفة وانتشارها عند الموحدين ..... 46 – 57
1- التُّراث المعرفي ..... 46 - 49
2- تشجيع الحكام الموحدين للمعرفة ..... 49 - 52
3- الرّحلة العلمية ..... 53 - 56
4- الأمن السيّاسي والرّخاء الاقتصادي ..... 56 - 57
ثالثا – مكوّنات السّلطة المعرفية في عهد الموحدين ..... 58 – 66
1- الحكام العلماء ..... 58 - 60
2- الفقهاء ..... 60 - 62
3- الفلاسفة ..... 62 - 64
4- المتصوّفة ..... 64 - 66
الفصل الثّاني: الدّور الثّقافي للمعرفي في عهد الموحدين ..... 67 – 116
أولا – الانتاج والتّأليف المعرفي ..... 68 – 86
1- العلوم الدّينية ..... 68 - 77
2- علم الفلسفة ..... 77 - 84
3- علم التّصوف ..... 84 - 86
ثانيا – التّعليم عند الموحدين..... 87 – 103
1- أماكن تلقي العلم ..... 87 - 95
2- مناهج وطرق التعليم عند الموحدين ..... 95 – 103
1.2- مناهج التّعليم 95- 100
2.2- طرق التّعليم 100- 103
ثالثا – المجالس العلمية ..... 104 – 110
1- المجالس السُّلطانية ..... 104 - 107
2- مجالس العلماء ..... 108 - 109
رابعا– المناظرات العلمية ..... 110 – 116
1- المناظرة في حضرة السّلطان ..... 110 - 112

2- المناظرة بين العلماء ..... 112 - 113
3- المناظرة بين المسلمين وأهل الذّمة ..... 113 - 116
الفصل الثّالث: التّأثير الاجتماعي للسُّلطة المعرفية.....117– 158
أولا– تركيبة المجتمع الأندلسي.....118– 129
1- المسلمون 118- 121
2- أهل الذّمة.....121- 125
3 – أقليّات أخرى 125- 129
ثانيا– السُّلطة المعرفية والاصلاح الاجتماعي 130– 140
1- الغناء و الموسيقى 130- 133
2– تعاطي الخمر..... 133- 136
3- السّرقة والحرابة 136- 138
4- الزّنا 138- 140
5- الرّشوة 140- 141
ثالثا– السُّلطة المعرفية وقضايا اجتماعية أخرى 142– 149
1- الاحتفال بالمولد النّبوي الشّريف 142- 144
2- قضية المدجنين 144- 145
3- قضية العبيد 145
4- تنظيم التّعليم 145- 146
5- تنظيم السُّوق ومراقبته 146- 149
رابعا– الأعمال الخيرية 150– 159
1-الوعظ والارشاد 150- 152
2- قضاء حوائج النّاس.....152- 155
3- مساعدة الفقراء والمساكين 155- 159
الفصل الرّابع: المعرفي والسُّلطان بين المرجعية الدّينيّة والمصلحة الدنيوية .....160 – 209
أولا– الدور السيّاسي والعسكري للمعرفي في عهد الموحدين 161– 181

1- الجانب السيّاسي 161- 171
1.1- تأدية البيعة للحكام 161- 165
2.1- تولي المناصب السياسيّة 166- 171
2- الجانب العسكري 172- 181
1.2- الدّعوة إلى الجهاد 172- 177
2.2- المشاركة في المعارك ونيل الشّهادة 177- 179
3.2- حماية البيضة 179- 180
4.2- المرابطة في الثُّغور.....180- 181
ثانيا– معارضة المعرفي للسياسي.....182– 194
1- المعارضة السّلمية.....182- 187
1.1- نقد نظام الحكم 182- 185
2.1- الاعراض عن الخطّط الادارية والسيّاسية 185- 188
2- المعارضة العنيفة (الثّورات).....189- 195
1.2- ثورة المريدين 189- 191
2.2- ثورة القاضي عيّاض 192
3.2- ثورة لبلة 192- 193
4.2- ثورة علي الجزيري 193
5.2- ثورة محمّد بن يُوسف بن هود 193- 195
ثالثا– موقف السياسي من المعرفي 196– 209
1- السّجن والتّعذيب 196- 197
2- النّفي 197- 199
3- الملاحقة 199- 200
4- القتل.....200- 203
5- إحراق الكتب 203- 209
- الخاتمة 210- 212

الملاحق 213- 221
قائمة المصادر والمراجع 222- 243
فهرس الأعلام 244- 260
فهرس الأماكن 261- 264
فهرس المحتويات .....//..... 265-
268